كتاب الاكتفاء

فى مغازى المصطفى والثلاثة الخلفاء

كتاب الاكتفاء

في مغازى المصطفى والثلاثة الخلفاء

للامام ابى الربيع سليمان بن سالم
المشهور بالكلاعى



اعتنى بتصحيحه

هنرى ماسه الأستاذ بكلية الأدب بالجزائر



كلمة المصحح

لا يخفى ان أول من ألف فى السيرة النبوية الامام ابو عبد الله محمد بن اسحاق احد علماء القرن الثانى للهجرة ولكن لم يبلغنا الا ما دوّنه الامام ابو محمد عبد الملك بن هشام احد علماء القرن الثالث وقد أحسن وأجاد وأعجز او كاد

وألّف فيها ايضا ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدى كتابا لم يصل الينا منه الا فصل فى المغازى قد طبع فى كلكتة سنة ١٨٥٥ وجمع كاتب الواقدى ابو عبد الله محمد بن سعد فى كتاب الطبقات اخبار النبى صلى الله عليه وسلم وأخبار المهاجرين والانصار والتابعين وقد طبع فى ليدن بين سنة ١٣٢١ وسنة ١٣٣٨

وأجمع العلماء على ان الاخبار الموجودة فى هذه الكتب مفيدة جدا فى معرفة تاريخ ابتداء الاسلام الا ان الامام الكلاعى رحمه الله

نقل نقولا كثيرة من هذه الكتب ومن كتب اخرى قديمة لم تبلغنا مثل كتاب الواقدى وكتاب الزبير بن ابى بكر القاضي وتاريخ ابى بكر بن ابى خيثمة وميّز رحمه الله بين الغث والسمين وبين اللُّجَيْن واللجين معتمدا على الاحاديث الصحيحة المروية عن فحول الصحابة والتابعين فأصبح تأليفه طلبة الطالب وبغية الراغب وأسماه كتاب المكتفى فى مغازى المصطفى والثلاثة الخلفاء ويقال ان اسمه كتاب الاكتفاء بما تضمّنه من مغازى رسول الله ومغازى الثلاثة الخلفاء وربّما سماه بعضهم السيرة الكلاعية طلبا للاختصار

هذا وقد اعتمدنا فى طبع هذا الكتاب على النسخ الاتية

١ ـ نسخة فى المكتبة الدولية بالجزائر مسجّلة تحت عدد ١٥٨٠ بخط مغربى غليظ فيها ١٩٦ ورقة وفى كل صفحة ٢١ سطرا

٢ ـ نسخة ثانية من المكتبة المذكورة تحت عدد ١٥٨٢ فيها خرم فى اولها ووسطها وغُفَل فى بعض المواضع وهى بخط مشرقى فيها ١٥٤ ورقة فى كل صفحة ٢١ سطرا

والظاهر ان أصل هاتين النسختين واحد

وزيادة على ذلك راجعنا نسختين نفيستين لبعض المكاتب الخصوصية بالجزائر كانتا فى بعض المواضع العمدة الوحيدة والظاهر ان احداهما منقولة عن الاخرى

وقد تعذرت علينا الاستفادة بالنسخ الموجودة فى باريس ولندن وبرلين واكتفينا بما لدينا لنشر هذا الكتاب المستطاب ونرجو من الله تعالى ان ينفع به على كل حال مطالعه ومراجعه من الطلّاب

واما المؤلف فهو الامام ابو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميرى الكلاعى ولد فى بلنسية بالاندلس فى رمضان سنة ٥٦٥ (١٩ مايو ـ ١٨ يونيو ١١٧٠) وقرأ ببلده وبقرطبة وأجيز بإجازات عديدة وولى الخطابة ببلنسية واستشهد بكائنة انيشة فى ٢٠ ذى الحجة سنة ٦٣٤ (٢ دجنبر ١٢٣٧)

وممن أخذ عنه ابن الابار وأبن المواق وابو العباس احمد بن الغماز القاضى وابن مسدى

وله نحو ٢٥ تأليفا اكثرها فى الحديث ومتعلقاته وديوان شعر ومجموع رسائل

﴿ ترجمة الكلاعى ﴾

وقد رأينا من المفيد ان نأتى هنا بما ذكره العلماء من حياته

* * * *

قال ذو الوزارتين ابو عبد الله ابن الخطيب السلمانى

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن احمد بن عبد السلام الحميرى * بلنسى الاصل يكنى ابا الربيع ويعرف بابن سالم .

حاله * كان بقية الاكابر من اهل العلم بصقع الاندلس الشرقى حافظا للحديث مبرّزا فى نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام اسانيده ذاكرا لرجاله ريّان من الادب كاتبا بليغا خطيبا بجامع بلنسية * واستقضى وعرف بالعدل والجلالة وكان من أُولِى العزم والبسالة والاقدام والجلالة والشهامة يحضر الغزوات ويباشر بنفسه القتال ويلبس اللباس الحسن وآخر غزوة شهدها التى قُتل شهيدا بها .

مشيخته ✽ بياض

من روى عنه ✽ بياض

تصانيفه ✽ منها مصباح الظلام فى الحديث ✽ والاربعون عن الاربعين شيخا من الصحابة ✽ والاربعون السباعية ✽ والسباعيات من حديث الصدفى ✽ وحيلة الامالى فى المراقبات العوالى ✽ وتحفة الوراد ونجعة الرواد ✽ والمسلسلات ✽ والاشارات ✽ وكتاب الاكتفاء فى مغازى رسول الله ومغازى الخلفاء ✽ وميدان السابقين ✽ وحلية الصادقين المتصدقين فى غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله ✽ والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة ✽ والاعلام بأخبار البخارى الامام ✽ والمعجم فى مشيخته ✽ وبرنامج روايته ✽ وجنّى الرطب فى سنّى الخطب ✽ ونكتته ✽ ونفثته ✽ والسحر الحلال ✽ وجهد النصيح فى معارضة المعرى فى خطبة الفصيح ✽ والمثل والامتثال المنهج فى ابتداع الحكم واختراع الامثال ✽ ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل على طريقة ابى العلاء المعرى فى ملقى السبيل ✽ ومجاز فتيا اللحن اللاحن الملتحن يشتمل على مائة مسألة ملغزة ✽ ونحت الحب الصميم وزكاة

المنثور المنظوم * والصحف المنشرة فى القطع المعشرة * وديوان رسائله سفر متوسط * وديوان شعره سفر .

شعره * وقال فى الاستعانة بالله والتوكل عليه وعدم الالتفات الى سواه

أمولى الموالى ليس غيرك لى مولى * وما أحد يا رب منك بذا أولى
تبارك وجه نحوه المنى كلها * فاوزعها شكرا وأوسعها طولا
وما هو الا وجهك الدائم الذى * أقلّ .... يخرس القولا
تبرأت من حولى اليك وقوّتى * فكن قوّتى فى مطلبى وكن الحولا
وهب لى الرضى ما لى سواك بمبتغى * ولو لقيت نفسى على نيله الهولا

وفاته * كان ابدا يقول ان منتهى عمرى سبعون سنة لرؤيا رءاها فى صغره فكان كذلك واشتهرت وفاته فى الكائنة على المسلمين بظاهر أنيشة على سبعة أميال منها ولم يزل متقدما أمام الصفوف زحفا الى الكفار ومقبلا على العدو وينادى بالمنهزمين « امِن الجنة تَفرّون » حتى قُتل صابرا محتسبا غداة يوم الخميس لست بقين من ذى حجة سنة أربع وثلاثين وستمائة و رثاه ابو عبد الله بن الابار بقوله

ألما بأشلاء العلا والمكارم * فقدّ بأطراف القنا والصوارم

الاحاطة فى اخبار غرناطة للوزير ابن الخطيب السلمانى من الجزء ١٥ من نسخة الشريف القادرى صاحب نشر المثانى .

٭٭٭

قال بدر الدين ابو البقاء محمد بن ابراهيم بن محمد البُشْتَكِّى المصرى فى مركز الاحاطة بأدباء غرناطة وهو مختصر الاحاطة للوزير ابن الخطيب السلماني عن نسخة باريس :

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن احمد بن عبد السلام الحميرى الكلاعى بلنسى الاصل ابو الربيع عرف بابن سالم بقية الاكابر حافظ للحديث مبرّزا فى نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام اسانيده ذاكرا لرجاله ريّان من الادب خطب ببلنسية واستقضى وكان مع ذلك من اولى الحزم والبسالة والاقدام والجزالة حضر الغزوات و باشر القتال بنفسه وأبلى بلاء حسنا .

وروى عن ابى القاسم بن حبيش وطبقته .

وصنف كتباً منها مصباح الظلم فى الحديث * والاربعون عن اربعين شيخا لاربعين من الصحابة * والاربعون السباعية * والسباعيات من حديث (الصوفى) الصدفى * وحلية الامالى فى الموافقات والعوالى * وتحفة الوراد ونجعة الرواد * والمسلسلات والانشادات * وكتاب الاكتفاء فى مغازى رسول الله ومغازى الثلاثة الخلفاء * وميدان السابقين وحلية الصادقين المصدّقين فى غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله * والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة * والاعلام بأخبار البخارى الامام * والمعجم فى مشيخة ابى القاسم بن حبيش * وبرنامج رواياته * وجنىّ الرطب فى سنىّ الخطب * ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال * وجهد النصيح فى معارضة المعرى فى خطبة الفصيح * والامتثال لمثال المنهج فى ابتداع الحكم واختراع الامثال * ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعرى فى ملقى السبيل * ومجاز فتيا اللحن اللاحن الممتحن مائة مسألة ملغزة * ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم * والصحف المنشرة فى القطع المعشرة * وديوان رسائله سفر .

ومن شعره ما كتب به الى أبى بحر صفوان بن ادريس عقب انفصاله من بلنسية سنة ٥٨٧

أحنّ الى نجد ومن حل فى نجد * وما ذا الذى يغنى حنينىَ أو يُجْدى
وقد أوطنوها وادعين وخلّفوا * محبهم رهن الصبابة والوجد
تبيّن بالبين اشتياقى اليهمُ * ووجدى فساوى ما أجنّ الذى أبْدى
وضاقت علىّ الارض حتى كأنها * وشاح بخصر او سوار على زندى
الى الله اشكو ما ألاقى من الجوى * وبعض الذى لاقيته من جوى يردى
فراق اخلاء وصبّ احبة * كأن صروف الدهر كانت على وعد
فيا سرْحتَى نجد نداء متيم * له ابدا شوق الى سرحتى نجد
ظمئت فهل ظل يبرد لوعتى * ضحيت فهل طل يسكن من وجد
ويا زمنا قد بان غير مذمم * لعل لانس قد تصرّم من بد
ليالى نجنى الانس من شجر المنى * ونقطف زهر الوصل من شجر الصد
وسقيا لاخوان بأكناف حائل * كرام السجايا لا يحولون عن عهد
وكم لى بنجد من سرىّ ممجد * ولا كابن ادريس أخى البشر والجد
اخو همة كالزهر فى بُعد نيلها * وذو خلق كالزهر غب الحيا العد

تجمعت الاضداد فيه حميدة * فمن خالق سبط ومن حسب جعد

ايا راحلا أودى بصبرى رحيله * وقلّل من غربى وثلّم من حدّى

انعلم ما يلقى الفؤاد لبعدكم * ألا مذ نأيتم لا يعيد ولا يبدى

فياليت شعرى هل تعود لنا المنى * وعيش كما نمنمت حاشيتى برد

عسى الله أن يدنى السرور بقربكم * فيبدوَ منا الشمل منتظم العقد

وقال

تولت ليال للغواية جونُ * ووافى صباح للرشاد مُبينُ

وكان شباب أزمعت عنك رحله * وجيش مشيب جهزته منون

ولا أكذب الرحمن فيما أجنه * وكيف وما يخفى عليه جنين

ومن لم يَخَل أن الرياء يشينه * فمن مذهبى أن الرياء يشين

لقد ريع قلبى للشباب وفقده * كما ريع بالعلق الفقيد ضنين

وآلمنى وخط المشيب بلمتى * فخطت بقلبى للشجون فنون

وليل شبابى كان انضر منظرا * وآنق مهما لاحظته عيون

فآهاً على عيش تكدّر صفوه * وأنس خلا منذ صغا وحجون

ويا ويح فودى افوادى كلما * تزيّد شيبى كيف بعد يكون
حرام على قلبى سكون بغرة * وكيف مع الشيب الممض سكون
وقال شباب المرء شعبة جنة * فمالى عرانى للمشيب جنون
وقالوا شجاك الشيب حدثان ما أتى * ولم يعلموا أن الحديث شجون

وقـــال

أمولى الموالى ليس لى غيرك مولى * وما أحد يا رب منك بذا اولى .
تبارك وجه وجهت نحوه المنى * فأوزعها شكرا وأوسعها طولا
وما هو الا وجهك الدائم الذى * أقل حلى عليائه يخرس القولا
تبرأت من حولى اليك وقوّتى * فكن قوّتى فى مطلبى وكن الحولا
وهب لى الرضى ما لى سوى ذاك مبتغى * ولو لقيت نفسى على نيله الهولا

وقـــال

مضت لى سبع بعد عشرين حجة * ولى حركات بعدها وسكون
فياليت شعرى كيف أو اين أو متى * يكون الذى لا بد أن سيكون
وُلد خارج مُرْسِية عشى يوم الثلاثاء مستهل رمضان سنة ٤٦٤ (كذا)

وفاته * كان ابدا يقول منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره فكان كذلك واستشهد فى الكائنة بظاهر أنيشة على نحو سبعة اميال منها لم يزل مقدما أمام الصفوف زحفا الى الكفار مقبلا على العدو ينادى بالمنهزمين « أعن الجنة تفرّون » حتى قتل صابرا محتسبا برّد الله مضجعه غداة يوم الخميس لعشر بقين من ذى الحجة سنة ٦٣٤

ورثاه ابو عبد الله بن الابار بقوله

ألمّا بأشلاء العلا والمكارم * تُقدّ بأطراف القنا والصوارم

وعوجا عليها ماربا ومفازة * مصارع غصّت بالطلى والجماجم

نحيّى وجوها فى الجنان وجيهة * مجاسد من نسج الظبا واللهاذم

مكرّمة حتى عن الدفن فى الثرى * وما يكرم الرحمن غير الاكارم

هم القوم راحوا للشهادة فاغتدوا * وما لهم فى فوزهم من مقاوم

تساقوا كؤوس الموت فى حومة الوغى * فمالت بهم ميل الغصون النواعم

مضوا فى سبيل الله قدما كأنما * يطيرون من اقدامهم بقوادم

يرون جوار الله اكرم مغنم * كذاك جوار الله أسنى المغانم

عظائم راموها فخاضوا لنيلها * ولا روع يثنيهم صدور العظائم

وهان عليهم ان تكون لحومهم * متون الروابى أو بطون التهائم

ألا بأبى تلك الوجوه سواهماً * وإن كنّ عند الله غير سواهم

عفا حُسْنها إلا بقايا مباسم * يعزّ علينا وطؤها بالمناسم

وسؤر أسارير تبين طلاقة * فتكسف انوار النجوم العواتم

لئن وكفت فيها الدموع سحائبا * فَعَن بارقات لُحْن فيها لشائم

و يا بأبى تلك الجسوم نواحلا * بأجرامها نحو الاجور الجسائم

تغلغل فيها كل اسمر ذابل * فجدّل منها كل ابيض ناعم

فلا يبعد الله الذين تقرّبوا * اليه باهداء النفوس الكرائم

مواقف ابرار قضوا من جهادهم * حقوقا عليها كالفروض اللوازم

أصيبوا وكانوا فى العبادة اسوة * شبابا وشيبًا بالغواشى الغواشم

فعامل رمح دقّ فى صدر عابل * وقائم سيف قدّ فى راس قائم

و يا رب صوّام الهواجر واصل * هنالك مصروم الحياة بصارم

ومنقذ عانٍ فى الاداهم راسف * ينوء برجاسى راسف فى الاداهم

أضاعهم يوم الخميس حفاظهم * وكنّهم فى المأزق المتلاحم

سقى الله أشلاء بسفح انيشة * سوافح تزجيها ثقال الغمائم
وصلى عليها أنفسا طاب ذكرها * فطيّب أنفاس الرياح النواسم
لقد صبروا فيها كراما وصابروا * ولا غَرْو إن فازوا بصَفْو المكارم
وما بذلوا إلا نفوسا نفيسة * تحنّ الى الاخرى حنين الروائم
ولا فارقوا والموت يتلع جيده * بحيث التقى الجمعان صدق العزائم
بعيشك طارحْني الحديث وغالِني * اراجع فيها بالدموع السواجم
وما هي إلا غاديات فجائع * تعبّر عنها رائحات مآثم
جلائل دقّ الصبر فيها فلم يطق * سوى غضّ أجفان وعضّ أباهم
أبيت لها تحت الظلام كأنني * رميّ نصال أو لديغ اراقم
أغازل من بَرْح الاسى غير بارح * وازجر من سام البكى غير سائم
وأعقد بالنجم المشرّق ناظرى * فيغرب عنى ساهرا غير نائم
وأشكو الى الايام سوء صنيعها * ولكنها شكوى الى غير راحم
وهيهات هيهات العزاء ودونه * قواصم شتى أردفت بقواصم
ولو برّد السلوان حرّ جوانحى * لأثرن عن طبع سلوّ البهائم
ومن لى بسلوان يحل منفرا * بجاثٍ من الادواء حولىَ جاثم

وبين المنايا والمخادم رمته * سرى فى الثنايا طيبُها والمخادم

بكتنا المعالى والمعالم جهدها * فمن للمعالى بعدها والمعالم

سعيدٌ صعيدٌ لم ترمه قرارة * وأعظِمْ بها وسط العظام الرمائم

كأن دما أذكى أديم ترابها * وقد مازجته الريح مسك اللطائم

يشق على الاسلام إسلام مثلها * الى خامعات بالفلا وقشاعم

كأن لم تبت تغشى السراة قبابها * وترعى حماها الصيد رعْى السوائم

سفحت عليها الدمع أحمر وارسا * كما نثر الياقوت ايدى النواظم

وساهرت فيها الباكيات نوادبا * يؤرّقن تحت الليل ورق الحمائم

وقاسمْت فى حمل الرزية أهلها * وليس قسيم البرّ غير المُقاسم

فواأسفا للدين اعضل داؤه * وأيأس من آسٍ لمسراه حاسم

ويا أسفا للعلم أقوت ربوعه * واصبح مهدود الذرى والدعائم

قضى حامل الآثار من آل يعرب * وحامى هدى المختار من آل هاشم

خبا الكوكب الوقّاد إذ متع الضحى * ليخبط فى ليل من الجهل فاحم

وخابت مساعى السامعين حديثه * كما ساء يوم الحادث المتفاقم

فأىّ بهاء غار ليس بطالع * وأىّ سناء غاب ليس بقادم

سلام على الدنيا اذا لم يلح بها * محيّا سليمان بن موسى بن سالم

وهل فى حياتى متعة بعد موته * وقد أسلمتنى للدواهى الدواهم

فها أنا ذا فى حرب دهر محارب * وكنت به فى أمن دهر مسالم

أخو الغرة التعساء كهلا ويافعا * وأكفاؤه ما بين راضٍ وراغم

تفرّد بالعلياء علما وسؤددا * وحسبك من عالٍ على الشهب عالم

معرّسه فوق السهى ومقيله * وموردهُ قبل النسور الحوائم

متى صادم الخطب الملمّ بخطبه * كفى صادما منه بأكبر صادم

له منطق سهل النواحى قريبها * فإن رمته ألفيت صعب الشكائم

وسحر بيان فات كل مفوّه * فبات عليه قارعا سنّ نادم

وما الروض حلّاه بجوهره الذى * ولا البُرْد وشّته أكفّ الرواقم

بأبدع حسنا من صحائفه التى * تسيّرها اقلامه فى الاقالم

يَمانٍ كلاعىّ نماه الى العلا * تمام حواه قبل عقد التمائم

يروق رواق الملك فى كل مشهد * ويحسن وسْما فى وجوه المواسم

ويكثر اعلام البسيطة وحده * كمال مثال او جمال مقاوم

لعاً لزمان عاثر من خلاله * بواقٍ من الجلّى أصيب بواقم

منـــادٍ الى دار السلام منـــادم * بها الحور واهاً للمنادى المنـــادم

أتـــاه رواه مقبـــلا غيـر مدبـــر * ليحظى بـإقبـال من الله دائـــم

إماما لدين أو قـواماً لدولـــة * تـولّى ولم يـلحقه لومة لائـــم

فإن عابه حُسّاده شَرَقـا بـه * فلن تعدم الحسنـاء ذأماً بذائـــم

فيـا أيهـا المخدوم سامٍ محلـــه * فِدًى لك من ساداتنا كل خادم

ويا أيها المختوم بالفـــوز سعيـــه * ألا انما الاعمال حسن الخواتـــم

هنيئـا لك الحسنى من الله إنها * لكل تـقىّ خيـمه غيـر خائـــم

تبوأت جنات النعيـم ولم تــزل * نـزيـل الثريـا قبلهـا والنعائـــم

ولم تـال عيشـا راضيـا وشهـــادة * ترى ما عداهـا فى عداد المـآثـــم

لعمرك ما يبلى بلاؤك فى العدى * وقد جرّت الابطال ذيل الهزائـــم

وتالله لا ينسى مقامك فى الوغى * سوى جاحد نور الغزالة كاتـــم

لقيت الردى فى الروع جذلان باسما * فبوركت من جذلان فى الروع باسم

وحِمْت على الفردوس حتى وردته * ففزت بأشتات المنى فوز غانـــم

أجدّك لا تـثنى عنـان ولايـــة * أداوى بها برّح الغليـل المـداوم

ولا أنت بعد اليوم واعد هبّة * من النوم تحدونى الى حال حالم
لَسُرْعان ما قوّضت رحلك ظاعنا * وسرت على غير النواجى الرواسم
وخلّفت من يرجو دفاعك بائسا * من النصر أثناء الخطوب الصرائم
كأنىَ للأشجان برق هواجر * بما عادنى من عاديات هواجم
عدمتك مفقودا يعزّ نظيره * فيا عزّ معدوم ويا هون عادم
ورُمْتُك مطلوبا فأعيا مناله * وكيف بما أعيا منالا لرائم
وإنى لمحزون الفؤاد صديعه * خلافا لسال قلبه عنك سالم
وعندى الى لقياك شوق مبرّح * طوانىَ من حامى الجوى فوق جاحم
وفى خلدى والله ثكلك خالد * أليّة برّ لا أليّة آثم
ولو أن فى قلبى لُوابا لسلوة * سلوت ولكن لا سلوّ لهائم
ظلمتك إذ لم أقضِ نعماك حقها * ومثلىَ فى أمثالها غير ظالم
يطالبنى فيك الوفاء بغاية * سموت لها حفظا لتلك المواسم
فأبكى لشلو بالعراء كما بكى * زياد لقبر بين بصرى وجاسم
وأعبد أن يمتاز دونىَ عبده * بعلياء فى تأبين قيس بن عاصم

وهذى المراثى قد وفيت برسمها * مسهّبة جهد الوفىّ المساهم
فمدّ اليها رافعا يد قابل * أكبّ عليها حافظا فم لاثم

***

وقال ابن الابار فى كتاب التكملة لكتاب الصلة (ط مجريط سنة ١٨٨٩ ص ٧٠٨ عدد ١٩٩١ والزيادات ط مجريط سنة ١٩١٥ ص ٥٤٠)

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن احمد الحميرى الكلاعى من اهل بلنسية وأصله من ثغورها الشرقية يكنى أبا الربيع سمع ببلده ابا العطاء بن نذير وابا الحجاج بن ايوب وأبا عبد الله بن نوح وأبا الخطاب بن واجب وغيرهم وتجول فى بلاد الاندلس والعدوة فسمع أبا القاسم بن حبيش وابا بكر بن الجد وابا عبد الله بن زرقون وابا عبد الله بن الفخار وابا محمد بن عبيد الله وابا محمد بن بونه وابا الوليد بن رشد وابا محمد بن الفرس وابا عبد الله بن عروس وابا محمد بن جمهور وابا الحسن نجبة وخلقا وأجاز مغاورا وابا العباس المجريطى وابا بكر بن ابى جمرة وابا الحجاج بن الشيخ وابا جعفر بن حكم وابا بكر بن مفوز وابا القاسم بن سمجون وابا

زكرياء الدمشقي وابا بكر بن زمنين وجماعة سواهم وأجاز له ابو العباس بن مضا وابو محمد التادلى وابو الحسن بن كوثر وابو خالد بن رفاعة وابو محمد عبد الحق الاشبيلى وآخرون ومن اهل المشرق ابو الطاهر بن عوف وابو عبد الله بن الحضرمى وابو القاسم بن جاره وآخرون غير هؤلاء وفى شيوخه كثرة وعنى أتم عناية بالتقييد والرواية وكان إماما فى صناعة الحديث بصيرا به حافظا حافلا عارفا بالجرح والتعديل ذاكرا للموليد والوفيات يتقدم اهل زمانه فى ذلك وفى حفظ أسماء الرجال خصوصا من تأخر زمانه وعاصره * وكتب الكثير وكان حسن الخط لا نظير له فى الاتقان والضبط مع الاستبحار فى الادب والاشتهار بالبلاغة والفصاحة فردا له نهاية فى إنشاء الرسائل مجيدا فى النظم خطيبا فصيحا مفوّها مدركا حسن السرد والمساق لما يقوله مع الشارة الأنيقة والزى الحسن وهو كان المتكلم عن الملوك فى مجالسهم والمنبى عنهم لما يريدونه على المنبر فى المحافل ولى الخطبة بالمسجد الجامع ببلنسية فى أوقات وكان رئيسا فى الحديث والكتابة وله تصانيف وتواليف مفيدة فى فنون شتى منها :

كتاب الاكتفا مما تضمنه من مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفا فى اربعة مجلدات * وكتاب حافل السابقين وحلية الصادقين المصدقين فى ذكر الصحابة الاكرمين ومن فى عدادهم بإدراك العهد الكريم من أكابر التابعين لم يكمله ولو فرغ منه لكان ضعف الاستيعاب لابى عمر بن عبد البر * وكتاب مصباح الظلم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نحا به منحى الشهاب للقضاعى * وكتاب الاعلام بأخبار البخارى الامام ومن بلغت روايته عنه من الاغفال والاعلام * وكتاب المعجم فى ذكر من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة رضى الله عنهم جزء كبير * وكتاب السباعيات المخرجة من حديث ابى على الصدفى ثلاثة أجزاء * واحاديث المصافحة جزء * وجزء آخر فى مثل ذلك من حديث ابى بكر بن العربى * وكتاب الاربعين حديثا عن اربعين شيخا لأربعين من الصحابة فى اربعين معنى جزء مفيد * وكتاب حلية الامالى فى الموافقات من العوالى خرجها من حديثه فى اربعة اجزاء * وكتاب تحية الرواد وتحفة الوراد فى العوالى البدلية الاسناد فى اربعة اجزاء *

وكتاب مشيخة أبى القاسم بن حبيش من تخريجه فى ثلاثة اجزاء
كبار * والمسلسلات من الاحاديث والاثار والانشادات جزء كبير *
وكتاب نكتة الامثال ونفثة السحر الحلال بنى فيه الكلام على التوشيح
بما تضمنه كتاب ابى عبيد من أمثال العرب واضطرار العرب اليها
فى سفر غير كبير * وكتاب جهد النصيح وحظ المنيح من معارضة المعرى
فى خطبة الفصيح سفر * وكتاب الامتثال لمثال المبهج فى ابتداع الحكم
واختراع الامثال جزء كبير * وكتاب مفاوضة القلب العليل ومنابذة
الامل الطويل بطريقة أبى العلاء المعرى فى ملقى السبيل جزء *
وكتاب مجاز فتيا اللحن للاحن الممتحن على طريقة فتيا فقيه
العرب وملاحن ابن دريد جزء * وكتاب الصحف المنشرة فى القطع
المعشرة جزء * ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم جزء *
وكتاب جنى الرطب فى سنى الخطب جزء جمع فيه خطبه فى الجمع
والاعياد وغير ذلك وهى نحو من ثمانين خطبة * وله برنامج فى
روايته حافل * ورسائله مدونة * وله تصانيف سوى ذلك كثيرة
فى الحديث والادب والخطب .

واليه كانت الرحلة فى عصره للاخذ عنه والسماع منه صحبته طويلا وأخذت عنه كثيرا وأجاز لى غير مرة جميع ما رواه وجمعه وأنشأه خطا ولفظا وسمعت منه جل روايته بين قراءة وسماع بلفظه وانتفعت به فى صناعة الحديث كل الانتفاع وأفادنى ما لم يفد احدا مما كان عنده من الغرائب وانشدنى منظومه لا أقله ولما تعرف غرضى على هذا التأليف حضنى عليه وندبنى اليه وأمدنى من تقييداته الصحاح وحكاياته المستظرفة بما شحنته فوائد وكنت قد أفهمته فى اول اشتغالى به عجزى عنه وسألته إعفائى منه ورغبت اليه فى أن يتولاه ليكسوه رائق حلاه فأبى من إعفائى وأنكر أن لا أتحلى به دون أكفائى فعندها شرعت فيه ولم تمض الا مدة يسيرة حتى أطلعته منه على حروف وأبواب فأطال العجب من احتشادى فيها وانتهائى بمعونة الله من ذلك الى تعجيز من رامه قبلى وهو كان السبب فى جمعه والداعى الى تصنيفه والمنهض اليه والمنجد عليه بما حوته خزانة كتبه من الاصول العتيقة والدواوين النفيسة التى تقيدت فيها أسمعة الائمة الاعلام الى غير ذلك من الفهارس والبرنامجات الجمة

الافادة والتي صار بعد وفاته معظم ما كان عنده من ذلك بمنافستي فيه وقد نسبت اليه ما تلقيته عنه وبينت ذلك في تضاعيف الكتاب واعترفت له بالحق فيه ومما قرأت بخطه

وما نعمة مكفورة قد رفعتها * الى غير ذي شكر بما نعتني اخرا
سأثني جميلا ما استطعت فإنني * اذا لم أفد شكرا أفدت به ذخرا

وأنشدنا لنفسه غير مرة

اذا برمت نفسي بحال أحلتها * على أمل ناءٍ فقرّت به النفس
وانزل أرجاء الرجاء ركائبي * اذا نام إلماما بساحتي اليأس
وإن أوحشتني من أماني نبوة * فلي بالرضى بالله والقدر الأنس

مولده بخارج مرسية أول ليلة الثلاثاء مستهل رمضان سنة خمس وستين وخمسمائة وسيق الى بلنسية وهو ابن عامين اثنين ونشأ بها الى أن استشهد بكائنة انيشة على ثلاثة فراسخ من بلنسية مقبلا غير مدبر ضحى يوم الخميس الموفي عشرين لذي حجة سنة اربع وثلاثين وستمائة وهو ابن سبعين سنة الا أشهرا وكان ابدا يحدثنا بأن السبعين

منتهى عمره لرويا رآها فى صغره وكان كذلك وهو آخر الحفاظ المحدثين والبلغاء المترسلين بالاندلس .

قلت أكثر عنه ابن مسدى وقال لم ألق مثله كان مبرزا فى فنون .



وقال شمس الدين الذهبى فى كتاب تذكرة الحفاظ (ط حيدرآباد بغير ذكر تاريخ ج ٤ ص ٢٠٩ عدد ١٤)

الكلاعى الامام العالم الحافظ البارع محدث الاندلس و بليغها ابو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميرى الكلاعى البلنسى ولد سنة خمس وستين وخمسمائة * قال ابو عبد الله وسمع ببلنسية ابا العطاء بن بدير (نخ نذير) وابا الحجاج بن أيوب وارتحل فسمع ابا القاسم بن حبيش وابا بكر بن الجد (نخ الحداد) وابا عبد الله بن زرقون وابا عبد الله بن النجار وابا محمد عبيد الله وابا محمد بن نوبة (نخ بوبة) وابا الوليد بن رشد وابا محمد الفرس وابا عبد الله بن عروس وابا محمد بن جمهور ونجبة بن يحيى وخلقا سواهم

وأجاز له ابو العباس بن مضا وابو محمد عبد الحق الازدى صاحب الاحكام وآخرون .

وعنى أتم عناية بالتقييد والرواية وكان إماما فى صناعة الحديث بصيرا به حافظا حافلا عارفا بالجرح والتعديل ذاكرا للمواليد والوفيات يتقدم اهل زمانه فى ذلك وفى حفظ اسماء الرجال خصوصا من تأخر زمانه وعاصره .

كتب الكثير وكان خطه لا نظير له فى الاتقان والضبط مع استبحاره فى الادب و(الاستهتار =) الاشتهار بالبلاغة فردا فى انشاء الرسائل (محنذا =) مجيدا فى النظم خطيبا فصيحا مفوّها مدركا حسن السرد والمساق لما يفعله من السياقة الانيقة والزى الحسن وهو كان المتكلم عن الملوك فى زمانه المجالس المبين عنهم لما يريدونه فى المحافل على المنابر * ولى خطابة تنيسة (كذا) فى أوقات * وله تصانيف مفيدة فى فنون عديدة * ألّف المكتفى فى مغازى المصطفى والثلاثة الخلفاء فى اربع مجلدات * وله مؤلف حافل فى معرفة الصحابة والتابعين * وكتاب مصباح الظلم يشبه الشهاب * وكتاب

أخبار البخارى * وكتاب الاربعين * وغير ذلك * واليه كانت الرحلة للاخذ عنه انتفعت به فى الحديث كل الانتفاع اخذت عنه كثيرا .

قلت حدث عنه ابو العباس احمد بن العماد (كذا) قاضى تونس وطائفة. قال ابن مسدى لم ألق مثله جلالة ونبلا ورياسة وفضلا وكان إماما مبرزا فى فنون من منقول ومعقول وموزون ومنثور جامعا للفضائل برع فى علوم القرآن والتجويد اما الادب فكان ابن بجدته وهو ختام الحفاظ ندب لديوان الانشاء فاستعفى * أخذ القراءات عن اصحاب ابن هذيل وارتحل وأختص بأبى القاسم بن حبيش بمرسية (أكثرت عنه).

قال ابن الابار كان رحمه الله تعالى أبدا يحدثنا ان السبعين منتهى عمره لرؤيا رآها وهو آخر الحفاظ والبلغاء بالاندلس * استشهد بكائنة أنيشة على ثلاثة فراسخ من مرسية مقبلا غير مدبر فى العشر من ذى الحجة سنة اربع وثلاثين وستمائة * قال الحافظ المنذرى توفى شهيدا بيد العدو وكان مولده بظاهر مرسية فى مستهل رمضان سنة خمس

وستين * سمع بتنيسة (كذا) ومرسية واشبيلية وغرناطة وشاطبة ومالقة وسبتة ودانية * وجمع المجاميع تدل على غزارة علمه وكثرة حفظه ومعرفته بهذا الشأن * كتب الينا بالاجازة سنة اربع عشرة *

***

وقال السيوطى فى كتاب طبقات الحفاظ (ط فوتنفن سنة ١٨٣٣ ج ٣ ص ٥٦ عدد ١٥).

ابو الربيع الامام الحافظ البارع محدث الاندلس وبليغها سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعى الحميرى البلنسى ولد سنة ٥٦٥ وسمع ابا القاسم بن حبيش وخلقا وأجاز له ابن رضا وابو محمد عبد الحق صاحب الاحكام واعتنى بهذا الشان أتم عناية وكان إماما فى صناعة الحديث بصيرا به حافظا عارفا بالجرح والتعديل ذاكرا للمواليد والوفيات مقدم اهل زمانه فى ذلك وفى حفظ أسماء الرجال مع الاستبحار فى الادب والاشتهار بالبلاغة فردا فى (الاشيا =) الانشاء له الاكتفا فى المغازى وكتاب فى معرفة الصحابة والتابعين حافل وغير

ذلك ولد سنة ٥٦٥ مستهل رمضان ومات شهيدا بيد العدو فى عشرى ذى الحجة سنة ٦٣٤ أجاز له المنذرى .

*
* *

وقال القاضى ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمرى فى كتاب الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب (ط فاس سنة ١٣١٦ ص ١٢٥) .

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان يكنى ابا الربيع ويعرف بابن سالم الكلاعى الحميرى كان بقية الاكابر من اهل العلم بصقع الاندلس الشرقى حافظا للحديث مبرزا فى نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لأحكام اسانيده ذاكرا لرجاله ريان من الادب كاتبا خطيبا بليغا خطب بجامع بلنسية واستقضى فعرف بالعدل والجلالة وكان من اولى العزم والبسالة والاقدام يحضر الغزوات ويباشر بنفسه القتال ويبلى البلاء الحسن آخرها الغزاة التى استشهد فيها .

روى عن أبى القاسم بن حبيش وأكثر عنه وابى عبد الله بن زرقون وأبى عبد الله بن حميد وأبى بكر بن الجد وابى محمد بن بونة

وأبى محمد عبد المنعم بن الفرس وأبى بكر بن أبى جمرة وأبى الحسن بن كوثر وأبى خالد بن رفاعة وأبى عبد الله بن الفخار وأبى محمد الصدفى وأبى العباس بن مضى وأبى القاسم بن سمحون وأبى محمد عبد الحق الازدى وأبى الطاهر بن عوف الاسكندرى وغيرهم من اهل المشرق والمغرب .

روى عنه ابو عبد الله بن حزب الله وأبو الحسين بن عبد الملك بن مفوز وابن الابار وابن المواق وابن الغماز وابو محمد بن برطلة وأبو جعفر الطنجالى وأبو الحجاج بن حكم وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

وله تواليف منها * مصباح الظلام فى الحديث * والاربعون عن أربعين شيخا لأربعين من الصحابة * والاربعون السباعية * والسباعيات من حديث الصدفى * وحلية الامالى فى الموافقات العوالى * وتحية الوارد * وتحفة الرائد * والمسلسلة * والاشادات * وكتاب الاكتفا فى مغازى المصطفى والثلاثة الخلفا * وميدان السابقين وحلية الصادقين المصدقين فى غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله * والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة رضى الله عنهم *

والاعلام بأخبار البخاري * والمعجم في مشيخة ابي القاسم بن حبيش * وبرنامج في رواياته * وجنى الرطب في سنى الخطب * ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال * وجهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح * وامتثال المثال في ابتداع الحِكَم واختراع الامثال * ومعارضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة أبي علي المقري في ملقى السبيل * ومجاز فتيا اللحن للاحن الممتحن يشتمل على مائة مسألة ملغزة * ونتيجة الحب الصميم * وزكاة المنظوم والمنثور * والصحف المنتشرة في القطع المعشرة * وديوان رسائل * وديوان شعره .

ومن نظمه رحمه الله تعالى

أحنّ الى نجد ومن حلّ في نجد * وماذا الذي يغني حنيني أو يُجْدِي
وقد أوطنوها وادعين وخلّفوا * محبّهم رهن الصبابة والوجد
وضاقت عليّ الارض حتى كأنها * وشاح بخصر أو سوار على زند
الى الله أشكو ما ألاقي من الجوى * وبعض الذي لاقيته من جوى يردي
فراق أخلاء وصدّ أحبة * كأنّ صروف الدهر كانت على وعد
ليالي نجني الامر من شجر المنى * ونقطف زهر الوصل من شجر الصدّ

ومنهـــا

أتعلم ما يلقى الفؤاد لبعدكم * ألا مذ نأيتم لا نعيد ولا نبدى

عسى الله أن يدنى السرور بقربكم * فيبدو منا الشمل منتظم العقد

وله ايضـــا

أمولى الموالى ليس غيرك لى مولى *
* وما أحد يا رب منك بذا أولى

تبرأت من حولى اليك وقوتى *
* فكن قوتى فى مطلبى وكن الحولا

وهب لى الرضى مالى سوى ذاك مبتغى *
* ولو لقيت نفسى على نيله الهولا

استشهد رحمه الله تعالى فى غزاة سنة أربع وثلاثين وستمائة * مولده بخارج مرسية سنة خمس وستين وخمسمائة ه

*
* *

وقال المقرى فى كتاب نفح الطيب (ط ليدن ١٨٥٨ - ١٨٦١ ج ٢ ص ٥٠٢ , ٦٥٥ , ٦٥٩ , ٧٦٨ ببعض تقديم وتأخير).

كان رحمه الله حافظا للحديث مبرزا فى نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام اسانيده ذاكرا لرجاله ريان من الادب خطب ببلنسية واستقضى وكان مع ذلك من اولى الحزم والبسالة * والاقدام والجزالة * حضر الغزوات وباشر القتال بنفسه وأبلى بلاء حسنا .

وروى عن ابى القاسم بن حبيش وطبقته وصنف كتبا منها : مصباح الظلم فى الحديث * والاربعون عن اربعين شيخا لاربعين من الصحابة * والاربعون السباعية * والسباعيات من حديث الصدفى * وحلبة (حلية) الامالى فى الموافقات والعوالى * وتحفة الورّاد ونجعة الرُّوّاد * والمسلسلات والانشادات * وكتاب الاكتفاء فى مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازى الثلاثة الخلفاء * وميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين فى عرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله * والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة * والاعلام بأخبار البخارى الامام * والمعجم فى مشيخة ابى القاسم بن حبيش * وبرنامج رواياته * وجنى الرطب فى سنى الخطب * ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال * وجهد النصيح فى معارضة المعرى فى خطبة

الفصيح * والامتثال لمثال المبهج فى ابتداع الحكم واختراع الامثال * ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعرى فى ملقى السبيل * ومجاز فتيا اللحن للاحن الممتحن مائة مسألة ملغزة * ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم فى مثال النعل النبوية على لابسها افضل الصلاة والسلام * قال ابن رشيد لو قال وزكاة النثير والنظيم لكان أحسن * وله كتاب الصحف المنشرة فى القطع المعشرة * وديوان رسائله سفر * وديوان شعره سفر.

وكتب الى الاديب الشهير ابى بحر صفوان بن ادريس المرسى عقب انفصاله من بلنسية سنة ٥٨٧

أحن الى نجد ومن حلّ فى نجد * وماذا الذى يغنى حنينى أو يجدى
وقد أوطنوها وادعين وخلّفوا * محبّهم رهن الصبابة والوجد
تبيّن بالبين اشتياقى اليهم * ووجدى فساوى ما أجنّ وما أبدى
وضاقت علىّ الارض حتى كأنه * وشاح بخصر او سوار على زندى
الى الله اشكو ما ألاقى من الجوى * وبعض الذى لاقيته من جوى يردى
فراق أخلاء وصدّ أحبّة * كأن صروف الدهر كانت على وعدى

فيا سرحتىْ نجد نداءَ متيّم * له ابدا شوق الى سرحتى نجد
ظمئت فهل طلّ يبرّد لوعتى * ضحيت فهل ظل يسكّن من وجدى
ويا ذمّنا قد بان غير مذمم * لعل لأنس قد تصرّم من ردّ
ليالى نجنى الانس من شجر المنى * ونقطف ثمر الوصل من شجر الصدّ
وسقيا لاخوان بأكناف حاجر * كرام السجايا لا يحولون عن عهد
وكم لى بنجد من سرىّ ممجّد * ولا كابن ادريس اخى البشر والمجد
اخو همة كالزهر فى بُعد نيلها * وذو خلق كالزهر غبّ الحيا العدّ
تجمّعت الاضداد فيه حميدة * فمن خلق سبط ومن حسب جعد
ايا راحلا اودى بصبرى رحيله * وفلّل من عزمى وثلّم من حدّى
اتعلم ما يلقى الفؤاد لبُعدكم * ألا مذ نأيتم ما يعيد ولا يبدى
فيا ليت شعرى هل تعود لنا المنى * وعيش كما نمنمت حاشيتىْ بُرد
عسى الله أن يدنى السرور بقربكم * فيبدوَ منا الشمل منتظم العقد

وكانت واقعة انيجة التى قُتل فيها الحافظ ابو الربيع الكلاعى رحمه الله يوم الخميس لعشر بقين من ذى الحجة سنة ٦٣٤ ولم يزل رحمه الله متقدما أمام الصفوف زحفا الى الكفار مقبلا على العدو ينادى بالمنهزمين

« أعن الجنة تفرّون » حتى قُتل صابرا محتسبا برّد الله مضجعه وكان دائما يقول إن منتهى عمره سبعون سنة لرويا رآها فى صغره فكان كذلك .

ورثاه تلميذه الحافظ ابو عبد الله بن الابار بقصيدته الميمية الشهيرة التى أولها

أَلِمّا بأشلاء العلى والمكارم * تُقَدّ بأطراف القنا والصوارم
وعوجا عليها مأربا ومفازة * مصارع حصّت بالطلى والجماجم
نُحَيِّ وجوها فى الجنان وجيهة * مجاسد عن نسج الظبى واللهاذم

وهى طويلة .

ومن شعر الحافظ ابى الربيع المذكور

توالت ليال للغواية جُون * ووافى صباح للرشاد مبينُ
ركاب شباب أزمعت عنك رحلة * وجيش مشيب جهّزته مَنون
ولا أكذب الرحمان فيما أجنّه * وكيف ولا يخفى عليه جنين
ومن لم يَخَلْ أن الرياء يشينه * فمن مذهبى أن الرياء يشين
لقد ريع قلبى للشباب وفقده * كما ريع بالعلق الفقيد ضنين

وآلمني وخطّ المشيب بلمّتي * فخطّت بقلبي للشجون فنون
وليلُ شبابي كان أنضر منظرا * وآنق مهما لاحظته عيون
فإيهاً على عيش تكدّر صفوه * وانس خلا منه صفا وحجون
ويا ويح فودي او فؤاديَ كلما * تزيّد شيبي كيف بعدُ يكون
حرام على قلبي سكون بغرّة * وكيف مع الشيب الممض سكون
وقالوا شباب المرء شُعْبة جنة * فما لي عراني للمشيب جنون
وقالوا شجاك الشيب حدثان ما أتى * ولم يعلموا أن الحديث شجون

وقوله

أمولى الموالي ليس غيرك لي مولى * وما احد يا ربّ منك بذا أولى
تبارك وجهٌ وجهتْ نحوه المنى * فأوزعها شكرا وأوسعها طولا
وما هو الا وجهك الدائم الذي * أقلّ حلى عليائه يخرس القولا
تبرّأت من حولي اليك وقوّتي * فكن قوّتي في مطلبي وكن الحولا
وهَبْ لي الرضى ما لي سوى ذاك مبتغى * ولو لقيتْ نفسي على نيله الهولا

وقوله

اذا برمت نفسي بحال احلتها * على أمل ناءٍ فقرّت به النفسُ

وأنزل أرجاء الرجاء ركائبي * اذا رام إلماما بساحتي البأس

وإن أوحشتني من أماني نبوة * فلي في الرضى بالله والقَدَر الأنس

وقوله

إلهي مضت للعمر سبعون حجة * ولي حركات بعدها وسكون

فيا ليت شعري أين أو كيف أو متى * يكون الذي لا بدّ أن سيكون

قال المقري والصواب انهما لغيره كما ذكرته في غير هذا الموضع وانما هما لأبي بكر بن منخل وفيهما ست بعد سبعين حجة .

وقوله

كأنما ابريقنا عاشق * كَلَّ عن الخطو فما أَعْمَلَهْ

غازل من كأسي حبيبا له * فكلما قبّله أخجله

ولما قرأ ابو محمد عبد الله بن مطروح البلنسي صداق إملاك غيّر فيه حال القراءة لفظة غير برفع ما كان منصوبا أو بالعكس أنشد بديهاً بعد الفراغ معتذرا عن لحنه

غيّرت غيراً فصرت غيرا * وهكذا من يجدّ سيرا

فأجابه الحافظ ابو الربيع بن سالم الكلاعى وكان الى جانبه بديهة

ما انت ممّن يُظنّ منه * بذاك جهلا فظنّ خيرا

***

وقال ابو العباس احمد بن خالد الناصرى السلاوى فى كتاب زهر الافنان من حديقة ابن الونان (ط فاس سنة ١٣١٤ ج ١ ص ٣٠٧)

هو الشيخ ابو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان الكلاعى البلنسى الحافظ المشهور عُرف بابن سالم ينتهى نسبه الى ذى الكلاع الحميرى ...

قد كان من أكابر العلماء بصقع الاندلس الشرقى حافظا للحديث مبرزا فى نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام أسانيده ذاكرا لرجاله ريان من الادب كاتبا خطيبا بليغا خطب بجامع بلنسية واستقضى بها فعُرف بالعدل والجلالة وكان مع ذلك من اولى الحزم والبسالة .

قال تلميذه ابو عبد الله ابن الابار واليه كانت الرحلة فى عصره للاخذ عنه والسماع منه وكان يحضر الغزوات ويباشر القتال بنفسه ويبلى البلاء الحسن .

وكانت ولادته خارج مرسية سنة خمس وستين وخمسمائة .

وأخذ عن ابى القاسم بن حبيش وأكثر عنه وابى عبد الله بن زرقون وابى بكر بن الجد وابى محمد الصدفى وغيرهم .

وأخذ عنه ابو عبد الله بن الابار وابو عبد الله بن حزب الله وابو الحجاج ابن حكم وابن الغماز وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

وله تاليف عديدة منها كتاب الاكتفاء فى مغازى المصطفى والثلاثة الخلفاء * ومصباح الظلم فى الحديث * والاربعون عن اربعين شيخا لاربعين من الصحابة * والاربعون السباعية * والسباعيات من حديث الصدفى * وحلية الامالى فى الموافقات العوالى * وتحفة الوارد ونجعة الرائد * والمسلسلات فى الانشادات * وميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين فى عرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله * والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة * والاعلام بأخبار البخارى الامام * والمعجم فى مشيخة ابى القاسم بن حبيش * وبرنامج رواياته * وجنى الرطب فى سنى الخطب * ونكتة

الامثال ونفثة السحر الحلال * وجهد التصحيح فى معارضة المعرى فى خطبة الفصيح * وأمثال المثال فى ابتداع الحكم واختراع الامثال * ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة أبى المعرى فى ملقى السبيل * ومجاز فتيا اللحن وللاحن الممتحن مائة مسألة ملغزة * ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم فى مثال النعل النبوية على لابسها أزكى الصلاة والتسليم قال ابن رشيد لو قال زكاة النثير والنظيم لكان أحسن * وله كتاب الصحف المنشرة فى القطع العشرة * وديوان رسائله سفر * وديوان شعره سفر * واشعاره كثيرة جيدة على طريقة اهل الاندلس لا نطيل بجلبها .

واستشهد رحمه الله فى وقعة انيجة على ثلاثة فراسخ من بلنسية ضحى يوم الخميس المكمل عشرين من ذى الحجة سنة اربع وثلاثين وستمائة ولم يزل رحمه الله متقدما أمام الصفوف زحفا الى الكفار مقبلا عليهم والراية بيده وهو ينادى المنهزمين أمن الجنة تفرون حتى قُتل صابرا محتسبا برّد الله مضجعه وكان دائما يقول ان منتهى

عمره سبعون لرويا رآها فى صغره فكان كذلك ورثاه تلميذه ابو عبد الله ابن الابار بقصيدته الميمية الشهيرة التى يقول فى أولها

أَلِمّا بأشلاء العلى والمكارم * تُقَدّ بأطراف القنا والصوارم

***

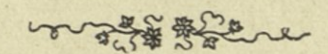
قال الشيخ ابو محمد العربى بن علي المشرفى الحسنى فى كتاب فتح المنان فى شرح قصيدة ابن ونان (نسخة خطية).

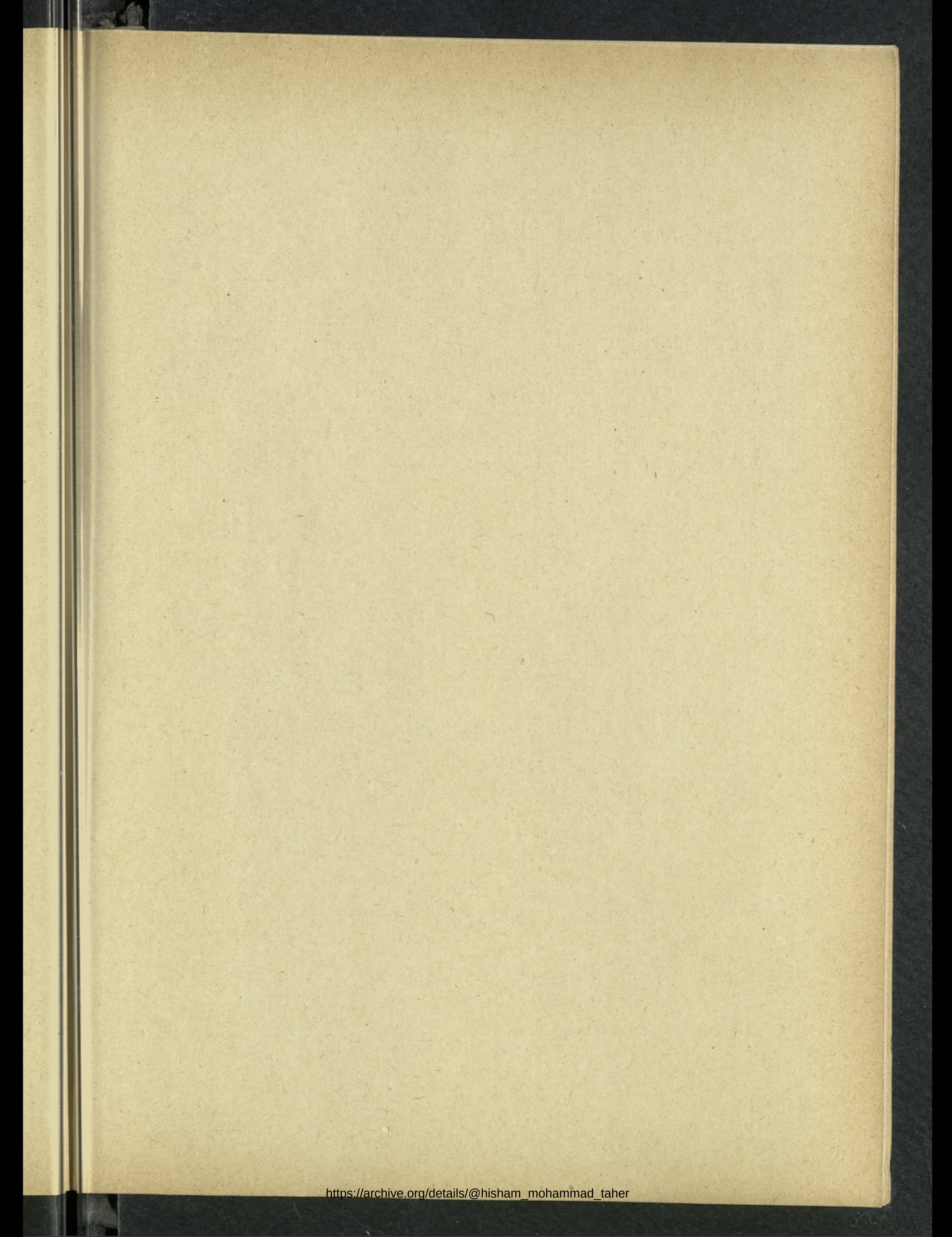
سليمان الكلاعى صاحب السيرة النبوية فى اربعة أسفار سماها بالاكتفاء وشرحها بعض الفاسيين شرحا عجيبا وللفاسيين حاشية صغيرة الجرم كثيرة العلم على الاكتفاء ايضا وقفت عليها وكتبتها لأخينا فى الله السيد محمد الشريف البقالى زمن كنت بقصر كتامة مرشحا للتدريس جاء بها من خزانة سيدى العربى الساحلى وفى سيرة الكلاعى هذه أحقّ أن ينشد قول القائل

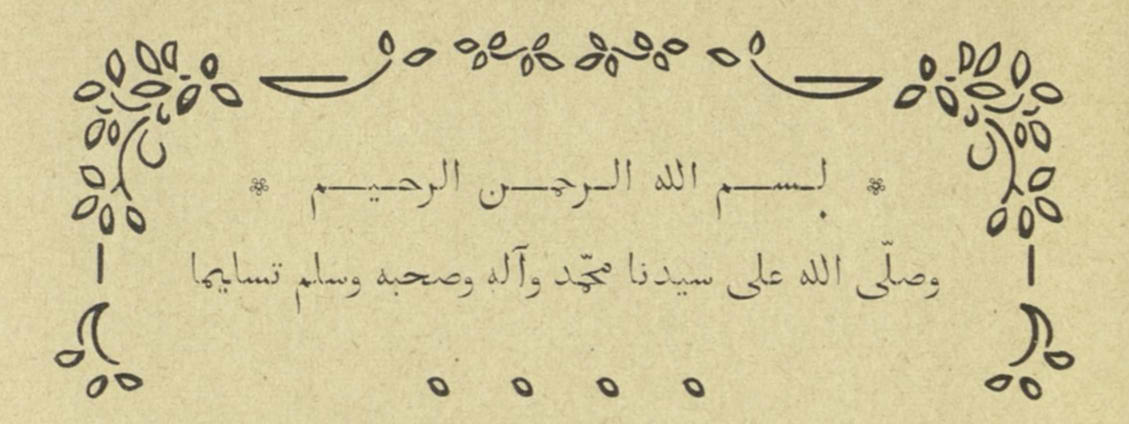
بأخبار خير الرسل قد ملأ الأذنا

***

هذا وقد ترجمه باللغة الاسبانية المستشرق پونس بويقس فى كتابه الاجتهاد فى التعريف بعلماء التاريخ والجغرافية من عرب الاندلس وبيان تاليفهم (ط مجريط سنة ١٨٩٨ ص ٢٨٣ وعدد ٢٣٩) وترجمه ايضا باللغة الفرنسية الشيخ ابن ابى شنب فى تعليقاته على ترجمته لاجازة سيدى عبد القادر الفاسى (ط باريس سنة ١٩٠٧ عدد ٣٣٤) وما ذكرناه من حياة الكلاعى آنفا اختصرناه مما قاله فيه .







قال الشيخ الامام

ابو الربيع سليمان بن موسى الكلاعى

رحمه الله

الحمد لله الذى منّ علينا بالاسلام * وأكرمنا بنبيه محمد عليه افضل الصلاة والسلام * وجعل آثاره الكريمة * ضالّتنا المنشودة * والاقتداء بِهَدْيه الأهدَى * ونوره الأوضح الأبدى * غايتنا المقصودة * وأمنيّتنا المودودة * وأنعم على قلوبنا بالارتياح لذكره * والاهتزاز عند سماع خبرٍ عنه مَصْدَرُه * أو اليه منتهاه * وانه لأثر رجاءٍ فى هذه القلوب البطّالة * وأثارة خير يرجَى أن يوردها من مشارع الجهالة الضالّة * فان الارتياح للذُنوّ شهادة الحبّ وامارة المحبّ * وقد روى عنه صلوات الله عليه

نقلة السنّة * ان مَن أحبّه كان معه فى الجنّة * فنسئل الله تعالى ان يكتبنا فى مُحِبّيه حقيقةً * ويسلك بنا من الوقوف عند مقتضيات أوامره ونواهيه طريقةً بالسعادة خليقةً * فما نزال طالبين ذلك من أكرم مطلوبٍ لديه * راغبين فيه الى خير مرغوب اليه * وإن لم نكن اهلاً للاسعاف بتقصيرنا فى الأعمال * فانّه جلّ جلاله أهل الجود والافضال * نصلّى قبل وبعد على هذا النبى المبارك الكريم * صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين * وصحبه المتقين * خير صحب وخير آل.

وهذا كتاب ذهبتُ فيه الى ايقاع الإقناع * وإمتاع النفوس والأسماع * باتّساق الخبر عن سيرة رسول الله صلعم وذكر نسبه ومولده وصفته ومبعثه وكثير من خصائصه وإعلام نبوّته ومغازيه وأيامه من يوم مولده الى ان استأثر الله به وقبض روحَه الطيّبة اليه * صلوات الله وسلامه وبركاته عليه * مقدّماً لذلك ما يجب تقديمه ومتمّماً من ذكر أوّليّته المباركة بلذاً ومحتدِاً بما يحسن علمُه وتعليمُه * ملخّصاً جميعه من كتب أئمّة هذا الشان الذين صرفوا اليه اعتناءهم واستوفوا فيه آناءهم ككتاب محمد بن اسحاق الذى تولّى عبد الملك بن هشام

تهذيبه واختصاره وكتاب موسى بن عقبة الذى استحسن

الائمّة اقتصاده واختصاره وغيرهما من المجموعات التى لا يذأم الانصافُ

قصدَ جامعها ولا يذمّ الاختبارُ اختيارَهُ ولاكن عَظُمَ المُعَوّل * بحكم الخاطر

الاول * على كتاب ابن اسحاق اياه أردتُ * وتجريده من اللغات وكثير

من الأنساب والأشعار قصدتُ * وعلى ترتيبه غالباً جريتُ * ومنزعه فى

اكثر ما يخصّ المغازى تحرّيتُ * فانّه الذى شرب ماء هذا الشان

فأنقع * وحلّ كتابه من نفوس الخاص والعام أجلّ موقع * الا أنه تخلّله

كما أشرنا اليه قبل اشياءُ من غير المغازى تقدح عند الجمهور فى امتاعه *

وتقطع بالخواطر المستجمعة لسماعه * وإن كانت تلك القواطع عريقةً

فى نسب العلم * وحقيقةً بالتقييد والنظم * فعَسَى ان يكون لها

مكان هو بإيرادها أخصّ * اذ لكلّ مقام مقال لايحسن فى غيره الإيراد له

والنصّ * ولذلك نَوَيتُ فيه ان أحذف ما تخلّله من مُشبَع الأنساب

التى ليس احتياجُ كل الناس اليها بالضرورى الحثيث * وتفسير

اللغات المفرق اعتراضها اتّصال الأحاديث * حتى لا يبقى الا الأخبار

المجرّدة * وخلاصة المغازى التى هى فى هذا المجموع المقصودة المعتمدة *

ظنًّا منى انه اذا أذن الله فى تمامه * وتكفّل تعالى بتيسير محاولته وفق المأمول وتقريب مرامه * استأنفت النفوس له قبولاً * وعليه اقبالاً * ولم يزده هذا النقص لدى جمهورهم الاّ كمالاً .

ثم بدا لى ان أزيد على هذا المقدار * ما يحسن فى هذا المضمار * وأعوض مما حذفتُ منه من اللغات والانساب والاشعار * بما تكون له ان شاء الله مزية الأخبار * ويروق عليه رونق الاثار * منتقياً ذلك من الدواوين التى طار بها فى الناس طائر الاشتهار * ومتخيّراً له من الأماكن التى لا يستقلّ بحصْر فوائدها وانتقاء فرائدها كل مختار * ككتاب ابن عُقبة وقد سميتُه فانه وإن اختصره جدّا فانه ابضا احسن العباره * وأتى بمواضع من المغازى حواها بسْطه وجاها اختصاره * وسأضعُ على كثير منها ميسمه * وأرسمها فى هذا المختصر على نحو ما رسمه .

وقد وقفتُ على كتاب محمد بن عمر الواقدى فى المغازى ولم يحضرنى الان لاكنّى رأيتُه كثيرا ما يجرى مع ابن اسحاق فاستغنيتُ عنه به لفضل فصاحة ابن اسحاق فى الايراد * وحسن بيانه الذى

لا يُفقَد معه استحسان الحديث المعاد ٭ وللواقدى ايضا كتاب المبعث وهو مشبع فى بابه ٭ مُمتِع باستيفائه واستيعابه ٭ وقد نقلتُ هنا منه جُمَلاً تناسب الغرض المسطور ٭ وتصدّ المعترض ان يجور ٭ وكذلك كتاب الزبير بن ابى بكر القاضى رحمه الله فى أنساب قريش وهو كما سمعتُ شيخنا الخطيب ابا القاسم بن حبيش رحمه الله يحكى عن شيخه ابى الحسن بن مغيث انه كان يقول فيه هو كتابُ عجب لا كتاب نسبٍ التقطتُ ايضا من دُرَره نفائس مُعجبة ٭ وتخيّرتُ من فوائده نُخَباً لِمتخيّرها موجبة ٭ ومثله التاريخ الكبير لابى بكر بن ابى خيثمة وناهيك به من بحر لا تكدّره الدلاء ٭ وغَمْرٍ لا ينفده الأخذ الدرّاك ولا يستنزفه الورد الولاء ٭ وكم شيء استحسنه من غير هذه الكتب المسمّاة فأنظمه فى هذا النظام ٭ ويضطرّ الى الافادة به مساق الكلام ٭ إما متمّماً لحديث سابق ٭ وإما مفيداً لغرض تقدّمه مطابق ٭ وإن لم يكن بينهم فى الاحاديث اختلاف يُشعِر بنقص فكثيراً ما أدخِل حديث بعضهم فى حديث بعض ليكون المساق أبيَن ٭

والاتّساق أحسن * وإن عرض عارض خلاف فالفصل حينئذ ارفع للاشكال * وأدفع للمقال * وربّما فصلتُ بين بعض احاديثهم وان اشتبهتْ معانيها بحسب ما تدعو اليه ضرورة الموضع * او تحمل على اعادته حلاوة الموقع * وكل ذلك يشهد الله ان المراد فيه بالقصد الأول وجْهه الكريم * واحسانه العميم * ورحمته التى منها شقّ تعالى لنفسه انه الرحمن الرحيم *

ثم القصد الثانى متوفر على ايثار الرغبة فى ايناس الناس بأخبار نبيهم صلى الله عليه وسلم * وعمارة خواطرهم بما يكون لهم فى العاجل والآجل أنفع وأسلم * وقد عمّ عليه الصلاة والسلام ببركة دعائه سامعَ حديث ومبلّغه وقال صلعم ما أفاد المسلمُ أخاه المسلمَ أفضل من حديث حسن بلغه فبلّغه ولا أحسن بعد كتاب الله الذى هو أحسن القصص وأصدق القصص وأفضل الحصص وأجلى الاشيـــاء للغصص من أخبار رسول الله التى بالوقوف عليها تُوجَد حلاوة الاسلام * ويُعرَف كيف تمهّدت السبيل الى دار السلام * فانه لا يخلو الناظرون فى هذا الكتاب، من ان يسمعوا ما صنع الله لرسوله صلعم فى اعداد تنزيله

فيستجزلوا ثواب الفرج بنصر الله او يسمعوا ما امتحنه الله به من المِحَن التى لا يُطيق احتمالها الا نفوس انبياء الله بتأييد الله فيعتبروا بعظيم ما لقيه من شدائد الخطوب * و يصطبروا لِعوارض الكروب * تأدّباً بآدابه وجرياً فى الصبر على ما يُصيبهم والاحتساب على ما ينوبهم على طريقة صبره واحتسابه وتلك غاية لن نبلغ عفوَها بجهدنا * ولن نَصِل أدناها بنهاية ركضنا وشدّنا * وانما علينا بذل الجهد فى قصد الاهتداء * وعلى الله سبحانه المعونة فى الغاية والابتداء *

واذا استوفيتُ بفضل الله تعالى طاق هذا المعنى كما نويتُ * وبلغتُ حاجة نفسى منه وقضيتُ * فلى نيّة إن ساعدتنى المشيئة عليها فى أن أصِلَ هذا الغرض المتقدّم من ذكر مغازى رسول الله صلعم بذكر مغازى الخلفاء الثلاثة الأُوَل رضى الله عنهم منتحلاً على رجاء معونة الله أسبابها ومنتخلاً من كتاب شيخنا الخطيب ابى القاسم رحمه الله ومن غيره مما هو فى نحو معناه صفوها ولبابها لتنتظم الفائدتان معاً * ويكون الخبر عن مغازى رسول الله صلعم ومغازى خلفائه الذين بِهديهم الايتمام فى مكان واحد مجتمعاً * وأرجو بحول الله الذى

له الطول * وبيده القوة والحول * ان يكون هذا المجموع كافياً فى البابين * وافياً بالغرضين المتباينين *

ولذلك ترجمته بكتاب الاكتفاء بما تضمّنه من مغازى رسول الله صلعم ومغازى الثلاثة الخلفاء * وفضله جلّ جلاله نِعْمَ الكفيل ان يجزى به خير الجزاء * ويجعله من عُددنا النافعة يوم اللقاء * فهو عزّ وجهه الملجأ والمعوّل * وبه تعالى استعينُ وعليه أتوكّل * لا اله الا هو سبحانه هو حسبى واليه أنيب .

*
* *

ذكر نسب رسول الله

واكرم الخلق على الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما وكيف
طهّره الله نفسا وخيما وشرّفه حديثا وقديمــا وألقى الى آبائه
الاقدمين من الدلائل على اصطفائه اياه فى الآخرين
وابتعاثه له رحمةً للعالمين ما صيّره لديهم قبل
وجوده بطوائل السنين معلومــا صلعم .

فى الصحيح من حديث واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلعم
ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل
بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشاً واصطفى من قريش بنى
هاشم .

وفى حديث عن عبد الله بن عباس ان رسول الله صلعم قال لم يزل
الله عز وجل ينقلنى من الأصلاب الطيّبة الى الأرحام الطاهرة صفياً
مهذّباً لا تتشعّب شعبتان الاّ كنتُ فى خيرهما .

وخرّج ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذى من حديث المطّلب
ابن ابى وداعة ان رسول الله صلعم قام على المنبر فقال مَن انا فقالوا

انت رسول الله عليك السلام قال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم فرقةً ثم جعلهم فرقتين فجعلنى فى خيرهم فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتاً فجعلنى فى خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً .

وفى رواية فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً وصدق صلعم والصدق شيمتهُ وفوق العالمين طرا قدْره الرفيع وقيمته هو أشرفُهم حسباً وأفضلهم نسباً وأكرمهم أماً وأباً هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف وهو المغيرة بن قُصَىّ واسمه زيد بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان هذا الصحيح المجمع عليه فى نسبه وما فوق ذلك مختلف فيه ولا خلاف فى ان عدنان من ولد اسماعيل نبىّ الله ابن ابراهيم خليل الله عليهما السلام وانما الاختلاف فى عدد من بين عدنان واسماعيل من الآباء فمقلل ومكثر وكذلك من ابراهيم الى ادم عليهما السلام لا يعلم ذلك على حقيقته الا الله تعالى .

روى عن ابن عباس قال كان النبى صلعم اذا انتهى الى عدنان أمسك ثم يقول كذب النسابون قال الله تعالى وقروناً بين ذلك كثيراً (١).

ومن عدنان تفرّعت القبائل من ولد اسماعيل فولد عدنان رجلين معدّ بن عدنان وعكّ بن عدنان فصارت عكّ فى دار اليمن لان عكاً تزوّج فى الأشْعَريين منهم وأقام فيهم فصارت الدار واللغة واحدةً والاشعريون هم بنو أشعَر بن نبْت بن أُدَد بن زيد بن مِهسَع بن عمرو بن عريب بن يشجُب بن زيد بن كهْلان بن سبأ بن يشجب بن يعرُب بن قحطان وقحطان هو عند جمهور العلماء بالنسب ابو اليمن كلها وإليه يجتمع نسبها والعرب كلها عندهم من ولد اسماعيل وقحطان وبعض اهل اليمن يقول قحطان من ولد اسماعيل واسماعيل ابو العرب كلها فالله اعلم .

واما معدّ فذكر الزبير بن ابى بكر رحمه الله ان بخت نصر لما امر بغزو بلاد العرب ادخل الجنود عليهم فيها وقتل مقاتلتهم لانتهاكهم معاصى الله واستحلالهم محارمه وقتلهم أنبياءه وردّهم رسالته

---

(١) س ٢٥ آ ٤٠ .

أمر ارمياء بن حلقيا وكان فيما ذُكر نبيئاً من أنبياء بنى اسرائيل فى ذلك الزمان ان ايتِ معد بن عدنان الذى من ولده محمد خاتم النبيين فأخرجه من بلاده واحمله معك الى الشام وتولّ أمره قبلك ويقال بل المحمول عدنان والاول اكثر .

وفى حديث عن ابن عباس ان الله بعث مَلَكَين فاحتملا معدًّا فلما ادبر الأمر ردّاه فرجع الى موضعه من تهامة بعد ما رفع الله بأسه عن العرب فكان بمكّة وناحيتها مع أخواله من جُرْهُم وبها منهم بقيةٌ هم ولاة البيت يومئذ فاختلط بهم وناكحهم .

فولد معد بن عدنان نفراً منهم قضاعة وكان بِكْره الذى به يُكنى فيما يزعمون وقنص ونزار وإياد فأما قضاعة فتيامنتْ الى حِمْيَر بن سبا وانتمت الى ابنه مالك بن حمير حتى قال قائل منهم يفخر بذلك

نحن بنو الشيخ الهِجان الأَزهَر * قضاعة بن مالك بن حمير
النسب المعروف غير المنكر

وأنكر كثير من الناس منتماهم هذا وجرتْ بينهم وبين من قال به من القُضاعيين فى ذلك أقاويل معروفة وأشعار محفوظة .

قال الزبير ولم يجتمع رأى قضاعة على الانتساب فى اليمن بل أهل العلم والدين مقيمون على نسبهم فى معدّ .

واما قنص بن معد فهلكتْ بقيّتهم فيما زعموا وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة واحتج من قال ذلك بأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أُتى بسيف النعمان بن المنذر دعا جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى فسلّحه اياه ثم قال ممن كان يا جبير النعمان بن المنذر فقال كان من أشلاء قنص بن معد وكان جبير أنسب قريش لقريش والعرب قاطبةً وكان يقول انما أخذتُ النسب عن ابى بكر الصديق وكان ابو بكر رضى الله عنه أنسب العرب .

وقد قيل فى نسب النعمان غير ذلك ممّا سيأتى ذكره عند تأدية الحديث اليه ان شاء الله .

وقد ذكر ايضا فى بنى معدّ الضحّاك بن معدّ ذكر الزبير بإسناد
له الى مكحول قال اغار الضحّاك بن معدّ على بنى اسرائيل فى
اربعين رجلا من بنى معدّ عليهم دارئع الصوف خاطمى خيلهم
بحبال الليف وقتلوا وسبوا وظفروا فقالت بنو اسرائيل يا موسى انّ
بنى معدّ أغاروا علينا وهمُ قليل فكيف لو كانوا كثيراً وأغاروا علينا وأنت
بيننا فادعُ الله عليهم فتوضّأ موسى وصلّى وكان اذا أراد حاجةً من
الله تعالى صلّى ثم قال يا رب انّ بنى معدّ أغاروا على بنى اسرائيل
فقتلوا وسبوا وظفروا وسألونى ان أدعوك عليهم فقال الله يا موسى
لا تدعُ عليهم فانّهم عبادى وانهم ينتهون عند اوّل أمرى وانّ فيهم نبيًّا
أُحِبُّه وأحبُّ أمّتَه قال يا رب ما بلغ من محبّتك له قال أغفرُ له
ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر قال يا رب ما بلغ من محبّتك لِأُمّته قال
يستغفرونى مستغفرهم فأغفر له ويدعونى داعيهم فاستجيبُ له
قال يا ربّ فاجعلْهم من أُمّتى قال نبيّهم منهم قال يا رب فاجعلْنى
منهم قال تقدّمتَ واستأخروا .

قال الزبير وحدّثنى على بن المغيرة قال لمّا بلغ بنو معدّ عشرين

رجلاً أغاروا على عسكر موسى عمّ فدعا عليهم فلم يُجَب فيهم ثم أغاروا فدعا عليهم فلم يُجَب فيهم ثلاث مرات فقال يا رب دعوتُك على قوم فلم تجبني فيهم بشيء فقال يا موسى دعوتني على قوم منهم خيرتي في اخر الزمان .

واما نزار بن معدّ واسمه مشتق بن النزر وهو القليل فيقال ان اباه معدّا لما ولده نظر الى نور بين عينيه ففرح بذلك فرحاً شديداً ونحر وأطعم وقال انّ هذا كلّه لنذر في حقّ هذا المولود وما كان الذي رآه الا نور النبوّة الذي لم يزل ينتقل في الأصلاب حتى انتهى الى نبيّنا محمد صلعم فطبق الأرض نوراً وهدى الله به مَن أَراد سعادتَه من عباده صراطاً مستقيماً وكلّ هذه الأنوار والاثار شاهدة له عمّ بِعظيم عناية الله وكريم المكانة عنده فلم تزل بركته صلعم متعرفة في ابائه الماضين وظاهرة على أسلافه الاكرمين تشير المخائلُ اللائحة فيهم اليه وتدلّ الدلائلُ الواضحة في اوّلهم عليه صلوات الله وبركاته عليه .

فولد نزار بن معدّ مُضَراً وربيعة وأنماراً وإياداً واليه دفع أبوه حجابة الكعبة فيما ذكر الزبير وأمّهم سَودة بنت عك بن عدنان وقيل هي أم مُضَر خاصّة وأمّ اخوته الثلاثة أختها شُقَيقَة ابنة عك بن عدنان.

وقد قيل انّ اياداً شقيق لِمُضَر أمّهما معاً سودة فأنمار هو ابو بجيلة وخَثعَمَ وقد تيامنتْ بجيلة الا ما كان منها بالشام والمغرب فانهم على نسبهم الى أنمار بن نزار وجرير بن عبد الله صاحب رسول الله صلعم سيدٌ من سادات بجيلة وله يقول القائل

لولا جريرٌ هلكتْ بجيلهْ * نعْمَ الفتى وبئست القبيلهْ

وكذلك تيامنت الدار بِخَثعَم وهم بنو أفتل بن أنمار وانّما خَثعَم جبل تحالفوا عنده فسُمّوا به وهم بالسراة على نسبهم الى أنمار وإذا كانت بين مُضَر واليمن فيما هنالك حربٌ كانت خَثعَم مع اليمن على مضر.

ويروى ان نزاراً لمّا حضرته الوفاة قسم ماله بين بنيه الأربعة مُضَر وربيعة وإياد وأنمار فقال هذه القبّة لقبة كانت له حمراء من ادم وما اشبهها من المال لِمُضَر وهذا الخباء الأسود وما أشبهه لِربيعة وهذه الخادم وكانت شمطاء وما أشبهها لإياد وهذه البدرة والمجلس لِأنمار يجلس فيه وقال لهم إن أشكل عليكم الأمر فى ذلك واختلفتم فى القسمة

فعليكم بالأفعى الجُرهُمى وكان بنجران فاختلفوا بعده وأشكل امر القسمة عليهم فتوجّهوا الى الافعى فبينما هم فى مسيرهم اليه اذ رأى مُضر كلأ قد رُعى فقال ان البعير الذى رعى هذا لأعور فقال ربيعة وهو أزور وقال اياد وهو أبتر وقال أنمار وهو شرود فلم يسيروا الا قليلا حتى لقيهم رجل تُوضع به راحلته فسألهم عن البعير فقال له مضر أهو أعور قال نعم قال ربيعة أهو أزور قال نعم قال اياد وهو أبتر قال نعم قال أنمار وهو شرود قال نعم هذه والله صفة بعيرى دلّونى عليه فحلفوا له ما رأوه فلزمهم وقال كيف اصدّقكم وانتم تصفون بعيرى بصفته فساروا حتى قدموا نجران فنزلوا بالافعى الجرهمى فنادى صاحب البعير بعيرى وصفوا لى صفته ثم قالوا لم نره فقال لهم الافعى كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانباً ويدع جانباً فعرفت انه أعور وقال ربيعة رأيت احدى رجليه ثابتة الاثر والاخرى فاسدة الاثر فعلمت انه أفسدها بشدّة وطئه لازوراره وقال اياد عرفت بتره باجتماع بعره ولو كان ذيّالا لمصع به وقال أنمار عرفت انه شرود انه كان يرعى فى المكان الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان أرقّ منه وأخبث قال الشيخ

ليسوا باصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم مَن هم فأخبروه فرحّب بهم وقال تحتاجون اليّ وأنتم كما أرى فدعا لهم بطعام فأكل وأكلوا وشرب وشربوا فقال مضر لم أر كاليوم خمراً أجود لولا انها نبتتْ على قبر وقال ربيعة لم أر كاليوم لحماً أطيب لولا انه رُبّى بِلبن كلبة وقال اياد لم أر كاليوم رجلا أسرى لولا انه ليس لابيه الذى يدعى له وقال أنمار لم أر كاليوم كلاماً أنفع فى حاجتنا وسمع صاحبهم كلامهم فقال ما هؤلاء الا شياطين ثم أتى أمه فسألها فأخبرته انها كانت تحت ملك لا يولد له فكرهت ان يذهب المُلك فأمكنتْ رجلا نزل بهم من نفسها فوَطِئها فجاءت به وقال للقهرمان الخمر التى شربناها ما أمرها قال من حبلة غرستُها على قبر أبيك وسأل الراعى عن اللحم فقال شاة أرضعناها من لبن كلبة ولم يكن يلد يومئذ فى الغنم غيرها فأتاهم فقال قصّوا علىّ قصّتكم فقصوا عليه ما أوصى به أبوهم وما كان من اختلافهم فقال ما أشبه القبّة الحمراء لِمُضَر فصارتْ له الدنانير والإبل وهى حُمْر فسُمّيت مضر الحمراء قال وما أشبه الخباء الاسود من دابّة ومال فهو لربيعة فصارت له الخيل وهى دُهْم فسُمّى ربيعة الفرس قال وما أشبه الخادم

وكانت شمطاء من مال فيه بلق فهو لاياد فصارت له الماشية البلق وقضى لأنمار بالدراهم والارض فساروا من عنده على ذلك وكان يقال لمضر وربيعة هما الصريحان من ولد اسماعيل .

وروى ميمون بن مهران عن عبد الله بن العباس ان رسول الله صلعم قال لا تسبّوا مضر وربيعة فانهما كانا مسلمين وقال صلعم فيما روى عنه اذا اختلف الناس فالحق مع مضر وسمع عم قائلا يقول :

انّى امرؤ حميرىّ حين تنسبنى ❊ لا من ربيعة آبائى ولا مُضرا

فقال صلعم ذلك أبعد الك من الله ومن رسوله .

ومما يؤثر من حكم مضر بن نزار ووصاياه مَن يزرع شرّا يحصد ندامة وخير الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على مكروهها فيما أصلحكم واصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد الا صبر فواق .

فولد مضر بن نزار رجلين الياس بن مضر وعيلان بن مضر ❊ قال الزبير وأمّهما الحنفاء بنت اياد بن معدّ ❊ وقال ابن هشام أمهما جُرهُمية ❊

ولما ادرك الياس بن مضر انكر على بني اسماعيل ما غيّروا من سُنَن آبائهم وسيرتهم وبان فضله عليهم ولان جانبه لهم حتى جمعهم رأيه ورضوا به رضًى لم يرضوه بأحد من بني اسماعيل بعد أُدَد فردّهم الى سنن آبائهم حتى رجعت سنّتهم تامّة على أوّلها وهو أول من أهدى البُدُن الى البيت او في زمانه وأول من وضع الركن للناس بعد هلاكه حين غرق البيت وانهدم زمن نوح عم فكان أول من سقط عليه الياس او في زمانه فوضعه في زاوية البيت للناس.

فولد الياس بن مضر ثلاثة نفر مُدرِكة وطابخة وقمْعة وأمّهم خِندِف بنت حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قضاعة واسمها ليلى. واسم مدركة عامر واسم طابخة عمرو واسم قمعة عُمَير وانما حالت اسماؤهم الى الذي ذكرنا اوّلا عنهم فيما ذكروا ان أرنباً أنفرت إبل الياس بن مضر فصاح ببنيه هولاء ان يطلبوا الابل والارنب فأما عمير فاطّلع اى جلس ثم قمع فسُمّى قمعة وخرج عامر وعمرو في اثار الابل وخرجت امهم ليلى تسعى خلفهم فقال لها زوجها الياس اين تُخَنْدِفين اى اين تسعين فسُميت خِندِف ومرّ عامر بظبي فرماه عمرو

فقتله ويقال بل رمى الارنب التى أنفرت الابل فقال له عامر اطبخ صيدَك وأنا أكفيك الابل فطبخ عمرو فسُمّى طابخة وأدرك الابل عامر فسمى مدركة واشتهر بنو خندف هولاء بأمّهم خندف للذى صار من فعلها فى الناس وذلك انه لما مرض زوجها الياس وجدتْ لذلك وجداً شديداً ونذرت إن هلك أن لا تقيم فى بلد مات فيه ولا يظلّها بعده بيت وان تسيح فى الارض وحرّمت الرجال والطيب فلما هلك الياس خرجت سائحة فى الارض حتى هلكت حزْناً وكانت وفاته يوم الخميس فكانت كلما طلعت الشمس من ذلك اليوم بكَتْه حتى تغيب فصارت خندف وما صنعتْ عجباً فى الناس يتحدّثون به ويذكرونه فى أشعارهم فقيل لرجل من اياد او همْدان وقد هلكت امرأته ألا تبكي عليها فقال لو كان ذلك يردّها لفعلتْ كما فعلت خندف على الياس ثم اندفع يقول

ولو انه يُغني بكيتُ كخندف * على الياس حتى ملّها الشرّ تَنْدُبُ
اذا مونسٌ لاحتْ خراطيم شمسه * بكتْ غُدْوَةً حتى ترى الشمسَ تَغْرُبُ
ولمْ تَرَ عيناها سِوَى الدّفن قبرُه * فساحتْ وما تدرى الى اين تذهب

فلم يُغنِ شيئاً طول ما بلغتْ به * وما طالها دهرٌ وعيشٌ معذّب

وفقدت امرأةٌ من غسّان أخاها ثم أباها فمكثت دهراً تبكي عليهما فنهاها قومُها فقالت

تَنْهونَ سَلْمى إذ بكَتْ أباها * وقبْل ما قد ثكلَتْ أخاها

فحوّلوا العذْل الى سِواها * عَصَتْكُمُ سَلْمَى الى هواها

كما عَصَتْ خِنْدِفُ مَنْ نَهاها * خلّتْ بَنِيها أسَفاً وراها

تبكي على الياس فما أتاها

فولد مدركة بن الياس نفراً منهم خُزَيمة بن مدركة وهُذَيل بن مدركة وأمهما امرأة من قضاعة قيل هي سلمى بنت سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وقيل غير ذلك .

فولد خزيمة بن مدركة كنانة وأسداً وأسدة والهُون وأمّ كنانة اسمها عُوانة بنت سعد بن قيس بن غيلان بن مضر وقيل هند بنت عمرو بن قيس بن غيلان قرأتُه بخطّ احمد بن يحيى بن جابر وأمّ سائر بنيه برّة بنت مُرّ أخت تميم بن مر بن أدّ بن طابخة .

فولد كنانة بن خزيمة جماعة منهم النضر وبه كان يُكنى ونُضير ومالك وملكان وعمرو وعامر وامّهم برّة بنت مرّ خلف عليها كنانة بعد أبيه خزيمة على ما كانت عليه الجاهلية تفعله اذا مات الرجل خلف على زوجته بعده أكبر بنيه من غيرها فنهى الله عن ذلك بقوله ولا تنكحوا ما نكح أبآؤكم من النسآء الا ما قد سلف (١) ويقال ان برّة هذه لما أُهْدِيَتْ اوّلا الى خزيمة بن مدركة قالت له انى رايت فى المنام كأنى ولدتُ غلامين من خلافٍ بينهما سابياء فبينا أنا أتأمّلهما اذا احدهما اسدٌ يزأر واذا الاخر قمر يُنير فأتى خزيمة كاهنةً بتهامة فقصّ عليها الرؤيا فقالت لئن صدقت رؤياها لَتَلِدَنّ منك غلاماً يكون لولده قلوب باسلة ثم لَتموتنّ عنها فيخلف عليها ابن لك فتلد منه غلاماً يكون لولده عدل وعدد وقروم مجد وعزّ الى اخر الدهر ثم توفّى خزيمة فخلف عليها كنانة بعد أبيه فولدتْ له النضر واخوته وانما سمّى النضر لنضارة وجهه وجماله وأُتى أبوه

---

(١) س ٤ آ ٣٦

كنانة بن خزيمة وهو قائم فى الحجر فقيل له تخيّرْ يا أبا النضر بين الصهيل والهدر وعمارة الجدر وعز الدهر فقال كلّ يا ربّ فصار هذا كله فى قُرَيش والنضر هو جماع قريش فى قول طائفة من اهل العلم بالنسب والاكثر على ان فِهْر بن مالك بن النضر هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشيّ ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى. وذكر الزبير ان هذا هو رأى كل من ادرك من نُسّاب قريش

فولد النضر بن كنانة مالكا ويَخلُد والصلْت

فولد مالك بن النضر فِهْر بن مالك وأمه جَندَلة بنت الحارث ابن جندل بن عامر بن سعد بن الحارث بن مِضاض الجرهمى وهو جماع قريش عند الاكثرين قال الزبير قد اجمع النُسّاب من قريش وغيرهم ان قريشاً انما تفرّعت عن فِهر ويقال ان قريشا هو اسمه الذى سمّته به امّه ولقبته فهراً

فولد فهر بن مالك غالباً ومُحارباً والحارث وأسداً واختهم جندلة وامّ جميعهم ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة

ولما حضرت الوفاة فهر بن مالك قال لابنه غالب يا بُنَىَّ ان فى الحزن إقلاق النفوس قبل المصائب فاذا وقعت المصيبة برد حرّها وانما القلق فى غليانها فإذا انا متّ فبرد حرّ مصيبتك بما ترى من وقع المنية امامك وخلفك وعن يمينك وعن شمالك وما ترى من آثارها فى مجيىء الحياة ثم اقتصرْ على قليلك وإن قلّت منفعته فقليل ما فى يدك اغنى لك من كثير أخلق وجهك وان صار اليك

فولد غالب بن فهر لُوَيًا وتَيماً وهو الادرم كان منقوص الدقن ويقال لقومه بنو الادرم وأمهما فى قول بن اسحاق سَلمى بنت عمرو الخزاعى وفى قول الزبير عاتكة بنت يَخلُد بن النضر

ورُوى ان لؤى بن غالب قال لابيه وهو غلام حدث يا أبت مَن رَبّ معروفه قَلَّ إخلافه وخصر ماؤه ومَن أخلقه أخمله واذا أُخمِل الشىء لم يُذكر وعلى المولى تكبير صغيره ونشره وعلى المولى تصغير كبيره وستره فقال له أبوه غالبُ انى لأستدلّ بما أسمع من قولك على فضلك وأستدعى لك به الطول على قومك فان ظفرتَ بِطولٍ فعُدْ على

قومك بفضلك وكفّ غرب جهلهم بحِلمك ولمّ شعثهم برفقك فانما يفضل الرجال الرجال بأفعالها ومَن قايسها على أُوزانها أسقط الفضل ولم تَعُلُ به درجةٌ على احد وللعلياء أبداً على السفلى الفضل

فولد لؤى بن غالب كعباً وعامراً وسامة وعَوفاً وسعداً وخزيمة فدخل بنو خزيمة فى شيبان ويُسمّون فيهم بعائذة وهى امرأة من اليمن كانت أمّ بنى عُبيد بن خزيمة فنُسبوا اليها وكذلك دخل بنو سعد أيضا فى شيبان ويُسمّون فيهم بِبُنانة حاضِنَةٍ كانت لهم من قضاعة وقيل من النَمِر بن قاسِط فنُسبوا اليها . وأما سامة بن لؤى فخرج الى عمان ويزعمون ان عامر بن لؤى أخرجه وذلك انه كان بينهما شىء ففقأ سامةُ عين عامر فأخافه عامر فخرج الى عمان فيزعمون ان سامة بن لؤى بينا هو يسير على ناقته اذ وضعتْ رأسها ترتَع فأخذتْ حيةٌ بمشْفرها فهصرتْها حتى وقعت الناقة لشِقّها ثم نهشتْ ساقه فقتلتْه فقال سامة حين احسّ بالموت فيما يزعمون

عَينِ فَابكِي لِسامةَ بن لؤىٍّ * عَلِقَتْ ما بِسامةَ العلّاقَهْ

لا أرى مثل سامة بن لؤيّ * يومَ حلّوا به قتيلاً لناقه

بَلّغا عامراً وكعباً رسولاً * ان نفسي اليهما مشتاقه

ان تكن في عُمان داري فانّي * غالبيٌّ خرجتُ من غير فاقه

رُبَّ كاسٍ هَرَقْتَ يابن لؤي * حَذَرَ الموت لم تكن مهْراقه

رُمْتَ دفْعَ الحُتوف يابن لؤي * ما لِمَن رام ذاك بالحَتْف طاقه

وعَدُوسَ السُرَى تركتَ رديّاً * بعد جدّ وجِدّة ورَشاقه

قال ابن هشام وبلغني ان بعض ولده اتى رسول الله صلعم فانتسب له الى سامة بن لؤي فقال رسول الله صلعم أ الشاعر فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردتَ قوله

رُبَّ كاسٍ هَرَقْتَ يابن لؤي * حَذَرَ الموت لم تكن مهراقه

قال أجَلْ قال ابن اسحاق واما عوف بن لؤي فانه خرج فيما يزعمون في ركْب من قريش حتى اذا كان بأرض غطفان بن قيس بن عيلان أُبطِئ به فانطلق من كان معه من قومه فأتاه ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيث بن غطفان فحبسه والتاطه وآخاه

و زوّجه فانتسب بتلك المواخات الى سعد بن ذبيان بن ثعلبة وثعلبة يزعمون هو القائل

إِحْبِسْ عَلَيّ ابنَ لؤيّ جَمَلَكْ * تَرَكَكَ القومُ ولا مُتْرَكَ لكْ

ويُروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لو كنتُ مدّعياً حيًّا من العرب او مُلحَقهم بنا لادّعيتُ بنى مُرّة بن عوف انا لنعرف منهم كالأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وُقع يعنى عوف بن لؤى وهم فى نسب غطفان مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان وهم يقولون اذا ذُكر لهم هذا النسب ما نُنكِره ولا نَجحَدُه وانه لأَحَبُّ النسب الينا. وقيل ان عمر بن الخطاب قال لرجال من بنى مرة ان شئتم ان ترجعوا الى نسبكم فارجعوا اليه وكان القوم اشرافاً فى غطفان هم سادتهم وقادتهم منهم هَرِم بن سِنان بن ابى حارثة واخوه خارجة بن سنان والحارث بن عوف والحُصين بن الحُمام وهاشم بن حرملة قوم لهم صيتٌ وذِكر فى غطفان وقيس كلها فأقاموا على نسبهم على ان الحصين بن الحمام قد تخيّر فى هذا واختلف رأيه فلما سمع

قول الحارث بن ظالم أحد بني مرة بن عوف حين هرب من النعمان ابن المنذر ولحق بقريش

فما قومي بثعلبة بن سعد * ولا بفزارة الشُّعْرِ الرقابا

فقومي ان سالت بنو لؤيّ * بمكة علّموا مُضَرَ الضِرابا

سَفِهْنا باتّباع بني بَغيض * وترك الأقربين لنا انتسابا

سَفاهةَ مُخْلِفٍ لمّا تروّى * هَراقَ الماءَ واتّبَعَ السرابا

فلو طُوِّعْتُ عمْرَكَ كنتُ منهم * وما أُلْفِيتُ انتجِعُ السحابا

قال الحصين بن الحمام يرد عليه وَينْتَمِي الى غطفان

ألا لَسْتُمُ منّا ولسنا اليكم * بَرِئْنا اليكم من لؤيّ بن غالب

أقمنا على عزّ الحجاز وانتم * بِمُعْتَلَجِ البطحاء بين الاخاشب

يعني قريشاً ثم ندم الحصين على ما قال وعرف صدق الحارث فأكذب نفسه وقال

نَدِمتُ على قولٍ مَضَى كُنتُ قُلْتُهُ * تبيّنتُ فيه انه جِدّ كاذبِ

فليتَ لِسانى كانَ نِصفَين منهما * بَكيمٌ ونصفٌ عندَ مَجرَى الكواكب

أبونا كِنانيّ بمكّة قَبرُه * بمُعتَلَج البطحاء بين الاخاشب

لنا الرُّبْعُ من بيت الحرام ورائثٌ * ورُبْعُ البِطاح عند دار ابن حاطب

يعنى ان بنى لؤى كانوا أربعة كعب وعامر وسامة وعوف وفى بنى مرة بن عوف كان البسل وذلك ثمانية أشهر حُرُم لهم من كل سنة من بين العرب يسيرون به الى اى بلاد العرب شاءوا ولا يخافون منهم شيئاً قد عرفوا ذلك لهم لا يدفعونه ولا ينكرونه وكان سائر العرب انما يأمنون فى الاشهر الحرم الاربعة فقط

وذكر الزبير عن ابى عبيدة انه كانت لقريش فى هذا مزيّة على سائر العرب قاطبةً وذلك ان العربى لم يكن يخرج من داره فى غير الاشهر الحرم الا فى جماعة وكان القرشى يخرج حيث شاء وأنّى شاء فيقال رجل من اهل بيت الله فلا يعرض له عارض ولا يُريبه احد بمكروه ويُعظمه مَن لقيه او ورد عليه ولذلك قال من قال منهم القرشى بكل بلدٍ حرامٌ

واما كعب بن لؤى وعامر بن لؤى فهما اهل الحرم وصريح ولد لؤى وكان كعب منهما عظيم القدر فى العرب وأرّخوا بموته إعظاماً له الى ان كان عام الفيل فأرّخوا به وكان بين موته والفيل فيما ذكروا خمس مائة سنة وعشرون سنة وكان يوم الجمعة يُسمّى العروبة فسمّاه كعبُ الجمعةَ لاجتماع قومه اليه فيه يخطبهم ويذكرهم فيقول لهم فيما يقول ايها الناس اسمعوا وعُوا وافهموا وتعلّموا ليلُ ساجٍ ونهارُ ضاحٍ والسماء بناءٌ والارض مهادٌ والنجوم أعلام لم تُخلَق عبثاً فتضربوا عن أمرها صفحاً الآخرون كالاوّلين والدار أمامكم واليقين غيرُ ظنّكم صِلوا أرحامَكم واحفظوا أصهاركم واوفوا بعهدكم وثمّروا أموالكم فانها قوام مروأتكم ولا تصونوها عما يجب عليكم واعظموا هذا الحرم وتمسّكوا به فسيكون له نبأٌ عظيم وسيخرج به نبىء كريم ثم انشد أبياتاً منها

صُروفٌ وانباءٌ تقلّب أهلها * لها عُقْدة ما يستحيل مريرُها

على غفلةٍ يأتى النبىّ محمد * فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرُها

ثم يقول

يا ليتَنى شاهدٌ فَحْواءَ دَعْوتِه * حين العشيرة تبغى الحقّ خذْلانا

أمَا والله لو كنتُ ذا سمْع وبصر ويد ورجْل لَتَنَصّبتُ فيها تنصّب الفحل ولَأنْ قلتُ فيها بإرقال الجمل فرحاً بدعْوته جذلا بصرخته

فولد كعب بن لؤى مُرّة وهُصَيصاً وعديا وأمهم وَحْشيّة بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك وقيل ان أم عدى وحده امراة من فهر وهى حبيبة بنت بجالة بن سعد بن فهر بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار

فولد مرة بن كعب كِلاباً وتَيْماً ويَقَظَة

فولد كلاب رجلين قُصَيًّا وزُهرة وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل احد الجَدَرَة من خَثْعَمَة الازد من اليمن حلفاء فى بنى الديل من بكر بن عبد مناة بن كنانة ويقال خثعمة الازد واسم سيل خير وانما سُمى سيلا لِطوله وسيل اسم جبل وهو خير بن حمالة بن عوف بن غنْم بن عامر الجادر بن عمرو بن خثعمة بن يشكر بن مبشّر بن صعب بن دُهمان بن نصر بن الازد وسُمى عامر الجادر لانه بنى جدارا للكعبة كان وهى من سيل اتى أيام وِلاية جُرْهُم البيت وكان عامر تزوّج منهم بنت الحارث بن مضاض وقيل لولده الجدرة لذلك

وذكر الشرقى بن القطامى ان الحاجّ كانوا يتمسّحون بالكعبة ويأخذون من طينها وحجارتها تبرّكاً بذلك وان عامراً هذا كان موكّلا بإصلاح ما شعِثَ من جُدُرها فسُمى الجادر فالله اعلم * وسعد بن سيل جدّ قصى بن كلاب بن مرة هو اول من حلّى السيوف بالفضّة والذهب وأهدى الى كلاب بن مرة مع ابنته فاطمة سيفين مُحلّيين فجُعِلا فى خزانة الكعبة * وقُصَىّ هو الذى جمع الله به قريشاً وكان اسمه زيد فسمى مجمّعاً لما جمع من امرها وسمى قصيّا لتقصّيه عن بلاد قومه مع أمّه فاطمة بعد وفاة ابيه كلاب بن مرة وحديثه فى ذلك طويل وسنذكره إن شاء الله تعالى عند ذكر ولايته البيت وهناك نذكر مأثره وعظيم غنائه فى إقامة أمر قومه ان شاء الله تعالى فانّ القصد هنا الإيجاز ما أمكن فى ايراد هذا النسب المبارك لتتحصّل لسامعه الفائدة بانتظامه واتّصاله ولا يضلّ ذلك عليه بما يتخلّل اثناءه من القواطع التى تباعد بين أطرافه

فولد قصى بن كلاب اربعة نفر وامراتين عبد مناف وعبد الدار وعبد العُزّى وعبداً وتَخمُر وبرّة وأمّهم جميعاً حُبّى بنت حُلَيل بن

حَبَشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى وساد عبد مناف فى حياة أبيه وكان مُطاعاً فى قريش وهو الذى يُدعَى القمر لجماله واسمه المغيرة

وذكر الزبير عن موسى بن عقبة انه وُجِد كتابٌ فى حجر فيه انا المغيرة بن قصى آمُرُ بتقوى الله وصِلَة الرَحِم واياه عَنَى القائل بقوله

كانتْ قُرَيشٌ بَيضةً فتَفَلَّقَتْ * فالمُحُّ خالِصُه لِعَبْدِ مناف

فولد عبد مناف أربعة نفر هاشماً وعبد شمس والمطّلب ونوفلاً وكلهم لعاتكة بنت مرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر الا نوفلا منهم بأنه لواقدة بنت عمرو المازنيّة مازن بن منصور بن عكرمة

فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة عبد المطلب وأسداً وأبا صيفيّ ونضلة والشفاء وخالدة وضعيفة ورُقيّة وحيّة وأم عبد المطلب منهم سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خِراش ابن عامر بن غنم بن عدى بن النجّار

فولد عبد المطلب عشرة نفر وستّ نسوة العباس وحمزة وعبد الله وأبا طالب واسمه عبد مناف والزبير والحارث وهو أكبرهم والحجل والمقوّم وضِرارا وعبد العزى وأبا لهب وصفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأُمَيمة وأروى وبرّة فأمّ عبد الله وأبى طالب وجميع النساء غير صفيّةُ فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤى

فولد عبد الله بن عبد المطلب محمداً صلعم رسول الله خاتم النبيين، وسيّد الاوّلين والاخرين، ونُخبة الخلق أجمعين، فنسبه صلعم أشرف الانساب، وسببه الى الله سبحانه باصطفائه اياه واختياره له أفضل الاسباب، وبيته فى قريش أوسط بيوتها الكريمة، وأعرق معادنها الكريمة، لم تخلُ قط مكة من سيّد منهم او سادات يكونون خير جيلهم ورؤساء قبيلهم حتى اذا درجوا سما قُسماؤهم فى المجد الصميم، وشُركاؤهم فى النسب الكريم، الى ذلك المقام وعرجوا فصبحوا على ذلك الزمان لِواؤهم على من ناواهم منصور، وسودد البطحاء عليهم مقصور، والعيون اليهم اتيةٌ سلكوا صور، ثم اتى الوادى

فطمّ على القرىّ وشدّ الله اركان مجدهم العريق العتيق بهذا النبى الامّى فاحتازوا المجد عن آخره ، وفازوا من شرف الدين والدنيا بما تعجز ألسنةُ البلغاء عن أدنَى مفاخره ،

وأمه صلعم هى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب قسيمة أبيه من هذا الاب ، وكريمة قومها أولى المكان النبيه والنسب ، وحسْبُها من الشرف المتين ، والكرم المبين ، والفخر الممكن غاية التمكين ، ان كانت أمّاً لخاتم النبيين · صلى الله عليه وعلى اله أجمعين ، فكيف ولها من قصاعة الحسب المحسب ، وعتاقة المنسب والمنصب ، ما يقف عند النطاح ، ويعترف له قريش البطاح ، فرسول الله صلوات الله وبركاته عليه ، خِيرة الخير من كلا طرفيه ، وقد اعتنى الناس بنسبه الكريم نثراً ونظماً ، ونقّبوا عن آبائه الامجاد وأمّهاته الطاهرات الميلاد أباً فأباً وأماً فأماً ، فرادوا من ذلك الفخار حدائق غُلباً · وشادوا من شرف تلك الاثار مراقى شمّاً ، وقد تقدّمتْ من ذلك نبذ منثورة أثناء الكلام نثر الورد ، وسياتى ان شاء الله تعالى

منظومة مع اشكالها نظم العقد ، فى قصيدة فريدة مفيدة لابى عبد الله ابن ابى الصلت الخصال خاتمة رؤساء الادب والعلماء المبرزين فى هذا الباب سمّاها معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب فى ذكر نسب رسول الله صلعم ومعجزاته ومناقب أصحابه قرأتُها على شيخنا الخطيب ابى القاسم بن حُبَيش رحمه الله فقد رأيت ان أورد هنا ما يختصّ بهذا النسب الكريم على اختصار يَفِى ان شاء الله بالغرض المروم اذ الكلام المنظوم أعذب جرياً على الالسن ، وأهذب رأياً فى الافادة بالمستحسَن ، وأوّلها :

اليك فهمّى والفؤاد بِيَثْرِب * وان عاقنى عن مطّلع الوحى مغربى
أعلّل بالامال نفساً اغرّها * بتقديم غاياتى وتأخير مذهبى
ودينى على الايام زورة أحمدٍ * فهل ينقضى دينى ويقرب مطلبى
وهل أرِدَنْ فضْل الرسول بطيبةٍ * فيا برْد احشائى ويا طيب مشربى
وهل فضلتْ من مركب العمر فضلةٌ * تبلّغنى ام لا بلاغَ لمركبى
الا ليت زادى شرْبة من مياهها * وهل مثْلها ريًّا لغُلّة مذنب

ويا ليتنى فيها الى الله صابرٌ * وقلبى عن الايمان غير مقلّب
وإنّ امرأ وارى البقيع عظامه * لفى زمرة تُلقى بسهلٍ ومرحب
وفى ذمّة من خير مَن وَطِئ الثرى * وَمَن يَعتلِقه حبلُه لا يعذّب
ومالى لا أَشرِى الجنان بعزمةٍ * يَهونُ عليها كلّ طامٍ وسبسب
وما ذا الذى يَثنِى عِنانى وإنّنى * جَوّابُ آفاقٍ كثيرُ التقلّب
أَفَقرٌ ففِى كفّىَ لله نِعمةٌ * وبَينٌ فقد فرّقتُ بين بنى أب
وقد مرنتْ نفسى على البُعد وانطَوتْ * على مثل حدّ السمهرىّ المدرّب
وكم غُربة فى غير حقّ قطعتُها * فَهَلّا لِذات الله كان تغرّبى
وكم فاز دُونى بالذى رُمْتُ فائزٌ * وأخطأنى ما ناله من تقرّب
أراه وأهوى فعله البرّ قاعداً * فيا قَعدىّ البرّ قم وتلبّب
أمانىّ قد افنى الشبابَ انتظارُها * وكيف بما أَعيا الشبابَ لأشيب
وقد كنتُ أسرى فى الظلام بأدهم * فها انا أغدو فى الصباح بأشهب
فمَنْ لى وأَنّى لى بريحٍ تحطّنى * الى ذروة البيت الرفيع المطنّب
الى الهاشمىّ الأبطحىّ محمّد * الى خاتم الرسل المكين المقرّب

الى صفوة الله الامين لِوَحْيِه * ابى القاسم الهادى الى خير مشعب
الى ابن الذبيحَيْن الذى صِيغ مجْدُه * ولمّا تُصَغْ شمسٌ ولا بدْرُ غيهب
الى المنتقى من عهد آدم فى الذَرَى * يردَّد فى سرّ الصريح المهذّب
الى مَن تولّى اللهُ تطهيرَ بيته * وعصْمَتَه من كل عِيصٍ مُؤَشَّب
فجاء بَرِىّ العرْض من كل وصْمة * فما شِئْتَ من أمٍّ حَصانٍ ومن أب
كروْض الرُبَى كالشمس فى رونق الضُحَى * كناشىء ماء السحْب قبل التصوّب
عليه من الرحمن عين كلاءةٍ * تجنِّبه إلمامَ كل مجنَّب
اذا أعرضتْ اعراقُه عن قبيلةٍ * فما أعرضتْ الا لِأمرٍ مغيَّب
وما عبرتْ الا على مسلك الهُدَى * ولا عثرتْ الا على كل طيّب
فمَن مثل عبد الله خير لِذاته * وآمنةٍ فى خير عزّ ومنْصب
اذا اتّصلتْ جاءتْك أفلاذ زُهْرةٍ * كأسْد الشرى من كل أشْرس أغلب
ولا خال الا دون سعْد بن مالك * ولو كان فى عليا معدّ ويَعْرُب
ومَن ذا له جدّ كشيْبة ذى الندى * وساقى الحجيج بين شرْقٍ ومغْرب
له سؤْدَدُ البطحاء غير مدافع * وحرمة ما بين الصفا والمحصّب

ابو الحارث السامى الى كل ذروة * يقصّر عن إدراكها كل كوكب

به وبما فى بردِه من أمانة * حمى اللهُ ذاك البيت من كل مرهب

وأهلك بالطير الأبابيل جمعهم * فيا لهم من عارض غير خلّب

وفيما رآه شيبة الحمد آيةٌ * تلوح لعين الناظر المتعجّب

وفى ضربه عنه القداح مروّعًا * ومن يُرْمَ بين العين والأنف يُرهَب

وما زال يرمى والسهامُ تُصيبُه * الى ان وَقَتْه الكوم من نسل أرحب

وكانوا أناساً كلّما أمّهم أذًى * تكشّف عن صُنعٍ من الله معجب

وعاش بنو الحاجات فيهم وأخصبوا * وإن أصبحوا فى منزلٍ غير مُخصِب

وعمرو المعالى هاشمٌ وثريده * بمكّة يدعو كل أغبر مجدب

بمَثنى جفان كالجوابى مُنيخة * مُلئن عبيطات السنام المرغّب

هو السيّد المتبوع والقمر الذى * على صفحتيه فى الرضى ماء مذهب

بنى الله للاسلام عِزًّا بصِهره * الى منتهى الاحياء من آل يثرب

وعبدُ مناف دوحة الشرف التى * تفرّع منها كل أروَع مِحرَب

مُطاعُ قريشٍ والكفيلُ بعزّها * ومانعُها من كل ضيمٍ ومنهب

وزَيْدُ ومَن زَيدُ قُصَيٌّ مجمّع * سمعْتَ وبلّغنا وحَسْبُك فاذهب
به اجتمعتْ أحياءُ فِهْرٍ وأحرَزَتْ * ثراثَ أبيها دون كل مُذَبْذَب
وأصبح حُكمُ الله فى آل بيته * فهُمْ حَولَه من سادنين وحُجَّب
وما أسلمتْه عن تراضٍ خزاعةٌ * ولكن كما عضّ الهناء بأجْرب
ولاذتْ قريشٌ من كلاب بن مرّة * بجزْل حكاكٍ او بعرْق مرحّب
ومُرّةُ ذو نفس لدى الحرب مُرّةٍ * وفى السلْم نفسُ الصبر خدّى المروّب
وكعْبُ عقيد الجود والحلْم والنهى * وذو الحِكَم الغرّ المبشّر بالنبى
خطيبُ لُؤَىٍّ واللواء بكفه * كخطْبة نادٍ او كخطبة مقْنب
وأوّلُ مَن سمّى العروبة جُمْعَةً * وصدّر امّا بعد يلْحى ويطب
وأرّخ آل الله دهْراً بموته * سنين سُدًى يُتْعِبْنَ كفَّ المحسِّب
وأَضْحَى لؤىّ غالباً كل ماجد * ومَن غالبٌ يُنْميه للمجْد يغْلب
وفِهْرٌ ابو الاحياء جامعُ شمْلها * وكاسِبُها من فخْره خير مكْسَب
تقرّش فامتازَتْ قُريشٌ بفضله * وساد فسدّوا خلّة المتأوب
وغادَرَه اسْماً فى الكتاب منزّلا * يمرّ به فى آية كل مُعْرِب

ومالكُ المُربى على كل مالك * فتى النصر حابته السيادة بالحبّ
هو الليثُ في الهيجاء والغيثُ في النَدَى * وبدْرُ الدياجى حين يَسْرى ويَحْتَبى
تردّى بفضفاض على المجد نسْجُه * وليس عليه فليجرّ ويسحب
وأعرَضَ بَحْرٍ من كِنانةَ زاخرٌ * يُساقُ الى أمواجه كل مِذْنَب
وخُيّرَ حِلْماً في الصهيل او الرغا * او البيت اوعِزّ على الدهر مُصْحَب
فلم يقتصِرْ واختارَ كلاّ فحازه * الى غاية العزّ المديد المعقّب
له البيتُ محجوباً وعِزٌّ مخلَّدٌ * وأجْرَدُ يَعْبوبُ الى جنب أصْهَب
وخزّم آنافَ العُداة خُزَيْمةٌ * فلاذوا بأخلاق الزلول المقرّب
حطيمٌ لِسَلْمَى بنت سُود بن أسلم * لِكلّ قُضاعىّ كريمٍ معصّب
ومُدْرِكَةٌ ذو اليُمْن والنجح عامرٌ * وخير مسمًّى في العُلَى وملقّب
تراه مطلاّ اذ تقمّع صِنْوُه * ففازَ بقِدْحٍ ظافرٍ لم يُخَيّب
لأمّ الجبال الشمّ والقطر والحصى * خِنْدِفَ ان تستركب الارض تركب
وألياسُ مأوى الناس في كل أزْمةٍ * ومَهْرَبُهم في كل خوف ومَرْهَب
وزاجرُهم اذ بدّلوا الدين ضلّةً * وأضحوا بلا هادٍ ولا متحوّب

وجاءهُمُ بالركن بعد هلاكه * وقد كان في صدْعٍ من الارض أنكب

وما هو الا مُعْجِزٌ لنبوّةٍ * وبُشرَى وعُقبَى للبشير المعقّب

وحَجَّ وأهدى البدن اوّل مُشْعِرٍ * لها وفُروض الحجّ لم تترتّب

وكم حكمةٍ لم تَسْمَع الأذْنُ مِثلَها * لها إن تَلُحْ في ناظر العين تكتب

الى قُنُصٍ تَنْميهِ سوداء بنْتِه * كلا طَرَفَيهِ من معدّ لِمَنْسب

وفي مُضَرٍ تاهَ الكلامُ وأقبلَتْ * مآثِرُ سدّتْ كل وجْهٍ ومَذْهَب

فجئنَ وكاثرْنَ النجومَ بجمْعها * بأكثر منها في العديد وأثقب

هناك أتى الاله مَن شاء فضلَه * وقيلَ لهذا سِرٌ وللآخر اركب

وكانا شقيقىْ نبْعةٍ فتفاوتا * لِعلْمٍ وحُكْمٍ ما له من معقّب

وما منهما الاّ حنيفٌ ومسلمٌ * على نهْج اسماعيلَ غير منكّب

وقد سلّم الأفعَى بِنَجْرانَ حُكْمَه * اليهم ولم يَنْظُرْ الى متعقّب

رأى فَطِناً أبْدَتْ له عن نجاره * وكان لِنبْع فاستحال لاثأب

وتلك علامات النبوءة كلها * تُشير الى منظورها المتقرّب

وقال رسول الله مهْما اختلَفْتُمُ * ولم تعرفوا قصْد السبيل الملحّب

ففى مُضَرٍ جرثومة الحق فاعمدوا ❊ الى مضرٍ تُلفوه لم يتقلب

وما سيّدُ الا نِزارُ يفوته ❊ ومَن فاته بدرُ الدُجى لم يؤنب

قريعُ مَعَدٍّ والذى سدّ فَقْدَه ❊ متى يأتهم شَعْبٌ من الدهر يرأب

ابو أبْحُر الدنيا وأطوادها التى ❊ بها ثبتت طرًّا فلم تتقلب

ولم يَكْفِهِ حتى اعانت معانةٌ ❊ بكل عتيق جُرهُمِىّ مهذَّب

وجاء معدٌّ والسماءُ شموسُها ❊ وأقمارُها فى ذيله المتسحّب

وبين يديه الأنجُم الزُهْرُ بثّها ❊ على الارض حتى لا مساغ لأجنبى

وقِدْماً تحفّى اللهُ من بُخْت نَصَّرٍ ❊ به والوَرَى من هالكٍ ومعذَّب

وجَنَّبَه ارضَ البوار وحازه ❊ الى معْقل من حرْزه متأشّب

وحلّ بأرْمينيّةٍ تحت حفْظه ❊ لدى مَلِكٍ عن جانبَيْه مذبّب

فلمّا تجلّى الله أسْرَى بعبْده ❊ الى حَرَمٍ أمْنٍ لأبنائه اجْتُبِى

وقد كان رَدَّ اللهُ عنهم كليمَه ❊ ليالِىَ يدعو دعْوة المتغضِّب

وجاء بنو يعقوب يشكون منهُمُ ❊ ينادونه هذا قتيل وذا سُبِى

فقال له لا تَدْعُ مُوسَى عليهِمُ ❊ فمِنهُم نبىٌّ أصْطَفيه وأجْتَبِى

أُحِبُّهُمُ فيه رِضًى وأُحِبُّه * كذلك مَن أحْبَبْتُهُ يُكرَم ويُحبَب

وأغفِرُ إن يستغفروني ذنوبَهم * ومهما دعا داعٍ أجِبْه وأقرب

فقال إذاً فاجْعَلْهُمُ ربّ أمّتي * فمَن تَرضه يا ربّ يَرضَ ويرغب

فقال لهم في آخر الدهر صفْوَتي * يفضّون اعدائي ويستنصرون بي

دعائمُ ايمانٍ وأركانُ سُودَدٍ * مَضَتْ فعلاها مَهْدُدُ آبنةُ جَلْحَب

ومَعْدُ عدْنان الى حَرْم آدم * بأبْيَنَ من قصْد الصباح وأنْحَب

ونهْيُ رسول الله صدّ وجوهَنا * وكان لنا في نظْمها شدُّ مُلهب

والّا فأُدّ بن الهُمَيسِع ماثلٌ * ونَبْتُ بن فَيدارٍ سُلالةُ أشجب

وواجَهَ أعراق الثرى كل مَن يَرَى * وأسمع اسماعيل دعوةَ مطنب

وقام خليل الله يَتلوه آزرٌ * أغرّ صباحيٌّ لأدْهَم غَيهَب

الى الناحر بن السارغ القَمْر يَرتقي * وللراغ ثم القاسم الطاهر الأب

ويعْبر ينميه الى المجْد شالخٌ * الى الرافد الوهّاب برّك وطيّب

لِسام ابي السامِينَ طُرًّا سمابهم * بنُوحٍ لِمَلْكان العُلى لمثوّب

لإدْريسَ ثم اليارد بن مَهْلائلٍ * لِقينان ثم الطاهر المتطيّب

الى هِبَة الرحمن شِيث بن آدم * ابى البَشَر الأعَلى لِطِينٍ لاُثلَب
فمِنْه خُلِقْنَا ثم فيه مَعادُنا * ومنه الى عَدْن فسَدِّدْ وقَرِّبِ

وهنا انتهى، ما يخص المنتمى الأعلى، من هذه الكلمة التى فرى ناظمها فى الاحسان الفرى، فاقتصرتُ منها على ما وَفَى بالغرض المقصود، واستوفى رجال النسب المجيد، والحسب التليد، تعجيلا لقرى المستفيد، واكتفاءً من القلادة بالقدْر المحيط بالجيد، وانّها ان شاء الله لكافيةٌ فى الباب، ومُقدّمَةٌ فى الكلام اللباب، وتحفةٌ انّما يعرف قدرها أولو الألباب، والله يجزى قائلها الحُسنَى، وينفعه بمَقصَده الأسنى،

وإذ قد انتهينا الى ما حسُن لدينا ايرادُه فى هذا المعنى وصفاً وذكراً، بخدمتنا النسب الأشرف نظماً ونثراً، فلْنعرّج الى ذكر البقعة التى اختارها الله لرسوله الكريم منْشأً، وجعلها لقومه قراراً ومُتَبَوّأً وأوليت البيت العتيق الذى جعله الله مثابةً وأمْناً للناس، ورفعه على أفضل القواعد وأكرم الأساس، ثم دحا الارض من تحته رفْعاً للشبهة فى شرفه والالتباس، ثم نذكر مَن وَلِيَه من آبائه الكرام اذ هم

أهله الأعلون ، وأولياؤه الأحقاء به الأولون ، وهو مأثورتهم التى لم يزالوا
اياها ومن أجلها يُراعون ، وتراث المجد الذى اليهم يُعزَى واليه
يُعزون ، وبسيما شرفه يُعرفون ، وباسمه يدعون ، ونُشير الى حُرمته
العظيمة فى الحُرمات ، وما أنزل الله بمن بغاه بسوء ، وأتى اليه بأمرٍ
مذموم مشنوء ، من أليم العقوبات ، وعظيم النقمات ، لنخدم البلد ، كما
خدمنا المحتد ، ونقضى حق المكان الشريف ، كما قضينا حق الحسب
التليد الطريف ، حتى نخلص الى ذكر المولد المبارك الذى منه نتدرّج
الى المقصود الذى نحن عليه عاملون ، ولتمامه آملون ، رجاء ان نجد
ذلك مذخوراً عند المولى الذى يضاعف لعبيده الحسنات ، ويعفو عن
السيّئات ، ويعلم ما يفعلون

***

ذكر أولية بيت الله المحرم

وركنه المستلم ومن تولى بناءه من ملائكته وأنبيائه
صلى الله على جميعهم وسلم

قال الله العظيم ان اوّل بيت وُضع للناس للذى ببكّة مباركا وهُدًى للعالمين فيه آيات بيّنات مقام ابراهيم (١)

وفى الصحيح من حديث أبى ذرّ الغفارى انه سأل رسول الله صلعم أىّ مسجد وُضع فى الارض أول فقال له المسجد الحرام فقال قلت له ثم أىّ قال ثم المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاماً

وذكر الزبير بن بكّار بإسناده الى جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه قال كنت مع ابى محمد بن على بمكّة فى ليالى العشر قبل التروية بيوم او يومين وأبى قائم يصلّى فى الحجر وأنا جالس وراءه فجاء رجل أبيض الراس واللحية جليل العظام بعيد ما بين المنكبين

---

(١) س ٣ آ ٩٠.

عريض الصدر وعليه ثوبان غليظان فى هيئة المحرم فجلس الى جنبه فخفّف ابى الصلاة فسلّم ثم أقبل عليه فقال له الرجل يا ابا جعفر اخبرنى عن بدء خلق هذا البيت كيف كان فقال له ابو جعفر محمد ابن على ممّن انت يرحمك الله قال رجل من اهل الشام فقال له محمد ابن على انّ أحاديثنا اذا سقطتْ الى الشام جاءتنا صِحاحا وإذا سقطتْ الى العراق جاءتنا وقد زيد فيها ونقص ثم قال له بدءُ خلق هذا البيت ان الله تبارك وتعالى قال للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة فردّوا عليه أتجعل فيها مَن يُفسِد فيها الآية (١) وغضب عليهم فعاذوا بالعرش فطافوا حوله سبعة أطواف يسترضون ربّهم فرضى عنهم وقال لهم ابنوا لى فى الارض بيتاً فيعوذ به من سخطتُ عليه من بنى آدم ويطوفون حوله كما فعلتم بعرشى فأرضى عنهم فبنوا له هذا البيت فهذا يا عبد الله بدءُ خلق هذا البيت فقال له الرجل يا ابا جعفر فما بدءُ خلق هذا الركن فقال ان الله تبارك وتعالى لمّا خلق

---

(١) س ٢ آ ٣٨.

الخلق قال لبنى آدم ألستُ بربِّكم قالوا بـلى (١) وأقرّوا وأجرى نهـراً
أحلى من العسل وألذّ من الزبد ثم أمر القلم فاستمدّ من ذلـك النهر
فكتب اقرارهم وما هـو كائـن الى يوم القيامة ثم أَلْقِمَ ذلـك الكتابُ
هذا الحجر فهذا الاستلام الذى ترى انما هو بيعةٌ على إقرارهم بالذى
كانوا أقرّوا به وقال جعفر بن محمد كان ابى اذا استلم الركـن قال اللهم
انّ أمانتى ادّيتُها وميثاقى وفيتُ به ليشهد لى عندك بالوفاء قال وقام
الرجل فذهب قال جعفـر بن محمد فأمرنى ابى أن أردّه عليه فخرجتُ
فى أثـره وأنا أراه يحـول بينى وبينه الزحـام حتى دخل نحـو الصفا
فتبصّرتُه على الصفا فلم أره ثم ذهبتُ الى المروة فلم أره عليها فجئتُ
الى ابى فأخبرته فقال لى ابى لم تكن لِتجـده وذلك الخضر عليه السلام

وخرّج الترمذى من حديث عبد الله بن عباس وصحّحه قال قال
رسول الله صلعم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشدّ بياضاً من اللبن
فسوّدته خطايا بنى آدم

---

(١) س ٧ آ ١٧١ .

ومن حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه مرفوعاً وموقوفاً قال ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب

ومن حديث ابن عباس ايضا قال قال رسول الله صلعم في الحجر والله ليَبْعَثَنَّه الله يوم القيامة (١) له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحقّ

وذكر ابو جعفر محمد بن جرير الطبري من حديث عبد الصمد بن معقل انه سمع وهب بن منبّه يقول ان آدم عم لما هبط من الجنة الى الارض فرأى سعتها ولم ير فيها أحداً غيره قال يا رب أما لأرضك هذه عامرٌ يسبّح بحمدك و يقدّسك غيري. قال الله تعالى اني ساجعل فيها من ولدك مَن يسبّح بحمدي و يقدسني وسأجعل فيها بيوتاً تُرفع لذكري ويُسبّح فيها خلقي ويُذكر فيها اسمي وسأجعل فيها من تلك البيوت بيتاً أخصّه بكرامتي وأوثره باسمي فأسمّيه بيتي وعليه وضعتُ

---

(١) س ٧ آ ١٦٦.

جلالى ثم أنا مع ذلك فى كل شىء ومع كل شىء أجعل ذلك البيت حرماً وأمناً يتحرّم بحرمته من حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرّمه بحرمتى استوجب بذلك كرامتى ومن أخاف أهله فقد أخفر ذمّتى وأباح حرمتى أجعله أول بيت وُضع للناس ببطن مكة مباركاً يأتونه شُعْثاً غبْراً على كل ضامر من كل فج عميق يزجون بالتلبية زجيجاً، ويثجّون بالبكاء ثجيجاً، ويعجّون بالتكبير عجيجاً، فمن اعتمده لا يريد غيره فقد وفد الىّ وزارنى وضافنى وحقّ على الكريم ان يُكرم وفْده وأضيافه وان يُسعِف كلا بحاجته وتعمره يا آدم ما كنتَ حيّاً ثم تَعمُره الأمم والقرون والانبياء من ولدك أمّة بعد أمة وقرناً بعد قرن.

وفى حديث غير هذا عن عطاء وقتادة ان آدم عم لما أهبطه الله من الجنة وفقد ما كان يسمعه ويأنس اليه من أصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش حتى شكا ذلك الى الله فى دعائه وصلاته فوجّهه الله الى مكة وأنزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الان وقال الله له يا آدم انى قد أهبطت لك بيتاً تطوف به كما يُطاف حول عرشى وتصلّى عنده كما يُصلى عند عرشى فانطلق اليه آدم

فطاف به هو ومَن بعده من الانبياء الى ان كان الطوفان فرُفِعت تلك الياقوتة حتى امر الله ابراهيم عم ببناء البيت فبناه فذلك قوله تعالى واذ بَوَّأنا لابرهيم مكان البيت والاية (١).

وعن ابن عباس ان الله أوحى الى ادم انّ لى حرَمَاً بحيال عرشى فانطلق فابن بيتاً فيه ثم حفّ به كما رأيتَ ملائكتى يحفّون بعرشى فهنالك أستجيبُ لك ولولدك من كان منهم فى طاعتى فقال ادم انّى ربّ وكيف لى بذلك لستُ أقوى عليه ولا اهتدى الى مكانه فقيّض الله له ملَكاً فانطلق به نحو مكة فكان ادم عم اذ مرّ بروضة ومكان يُعجبه قال للملك انزل بنا هاهنا فيقول له الملك أمامك حتى قدم مكة فبنى البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتاء ومن لبنان والجودى و بنى قواعده من حراء فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فأراه المناسك كلها التى يفعلها الناس اليوم ثم قدم به مكة فطاف بالبيت اسبوعاً ثم رجع الى ارض الهند فمات بها.

---

(١) س ٢٢ آ ٢٧.

وفى رواية انه حج من الهند اربعين حجة على رجليه.

وذكر الواقدى عن ابى بكر بن سليمان بن ابى خيثمة العدوى قال قلت لابى جهم من حُذَيفة يا عمِّ حدّثنى عن بناء البيت ونزول اسماعيل عم الحرم فقال يا ابن اخى سَلْنى عنه على نشاطٍ منّى فانى أعلم من ذلك ما لا يعلمه غيرى قال فمكثتُ شهراً أذكّره المرّة بعد المرة فيقول مثل قوله الاوّل وكان قد كبر ورقّ وضعف فدخلتُ عليه يوماً وهو مسرور فقال لى اسمعْ حديثك الذى سألتَنى عنه ان البيت فناه حرمٌ فى السماء السابعة وفى الارض السابعة يعنى ان ما يقابله حرمٌ وان ادم عم أُمر بأساسه فبناه هو وحوّاء أسّساه بصخْر أمثال الخِلَف يعنى النوق التى فى بطونها أجِنّة وواحدتها خَلِفَةٌ أذن الله عز وجل للصخر ان تُطيعهما ثم نزّل البيت من السماء من ذهب أحمر وكّل به من الملائكة سبعون الف ملك فوضعوه على ادم عم ونزل الركن وهو يومئذ درّة بيضاء ووُضع موضِعَه اليوم من البيت وطاف به ادم وصلى فيه فلما مات ادم عم وليه بعده ابنُه شيث فكان كذلك حتى حجّه نوح عم فلما كان الغرق يعنى الطوفان

بعث الله جل ثناؤه سبعين الف ملك فرفعوه الى السماء كى لا يُصيبه الماء النجس وبقيتْ قواعده وجاءت السفينة فدارت به سبعا ثم دثر الماء البيت فلم يحجّه من بين نوح وابراهيم احد من الانبياء على جميعهم السلام

وعن غير الواقدى فى غير حديث ابى الجهم ان شيث بن ادم عليهما السلام هو اول من بنى الكعبة وأنها كانت قبل ان يبنيها خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها ادم ويأنس بها لانها أنزلت اليه من الجنة وكان قد حجّ الى موضعها من الهند

وفى الخبر ان موضعها كان غُثاءً كالزبد على الماء قبل ان يخلق الله سبحانه السماوات والارض فلما بدأ الله بخلق الاشياء خَلَقَ التوبة قبل السماء فلما خلق السماء وقضى هنّ سبع سماوات دحا الارض اى بسطها وانما دحاها من تحت الكعبة فلذلك سُمّيت مكة أم القرى

وذكر ابن هشام ان الماء لم يعْل الكعبة حين الطوفان ولاكنه قام حولها وبقيتْ هى فى هواء الى السماء وان نُوحا قال لاهل السفينة

وهى تطوف بالبيت انّكم فى حرم الله وحول بيته فأحرموا لله ولا يمسّ احدٌ امراةً وجعل بينهم وبين النساء حاجزاً فتعدّى حامٌ فدعا عليه نوحٌ بأن يسودّ لون بنيه فأجابه الله على وفق ما دعاه واسودّ كوش بن حام وولده الى يوم القيامة وقد قيل فى سبب دعوته عليه غير هذا فالله اعلم

ويروى انه لما نضب ماء الطوفان بقى مكان البيت ربْوة من مدرة فحجّ اليه بعد ذلك هود وصالح ومَن امن معهما وان يعرب قال لهود عم ألا تبنيه قال انما يبنيه نبى كريم يأتى من بعدى يتّخذه الرحمن خليلا

قال ابو الجهم فى حديث الواقدى حتى اراد الله عزوجل بإبراهيم ما اراد فولد له اسماعيل وهو ابن سبعين سنة فكان بِكر ابيه ولما اراد الله عز وجل ان يُبَوِّئَ لابراهيم مكان البيت واعلامه اوحى الله اليه يامره بالمسير الى بلده الحرام فركب ابراهيم البُراق وحمل اسماعيل أمامه وهو ابن سنتين وهاجر خلفه ومعه جبريل يدلّه على موضع البيت ومعالم الحرم فكان لا يمرّ بقريةٍ الا قال له ابراهيم بهذه أُمِرْتَ يا جبريل فيقول

جبريل لا حتى قدم به مكة وهى اذ ذاك عِضاةٌ وسَلَم وسَمُر والعمالق يومئذ حول الحرم وهم اول من نـزل مكة ويكونون بعَرَفـات وكانـت المياه يومئذ قليلة وكان موضع البيت قد دثر وهو رُبوة حمراء مـدرة وهـو يُشرِف على ما حوله فقال جبريل حين دخل من كداء وهو الجبل الذى يُطلِعك على الحجون والمقبرة بهذه أُمِرْتُ قال ابراهيم بهذه أُمِرْتَ قال نعم فانتهى الى موضع البيت فعمد ابراهيم الى موضع الحجر فأوى فيه هاجر واسماعيـل وأمر هاجر ان تتّخذ فيه عريشًا فلمـا اراد ابراهيـم ان يخـرج ورأت امّ اسماعيـل انه ليـس بحضرتها احدٌ من النـاس ولا ماءٌ ظاهر تركت ابنها فى مكانه وتبعت ابراهيـم فقالت يا ابراهيـم الى من تدَعُنا فسكـت عنها حتى اذا دنا من كـداء قـال الى الله عز وجل أَدَعُكم قالت فالله عز وجل امرك بهذا قال نعم قالت فحسْبى تركتنا الى كافٍ وانصرفت هاجر الى ابنها وخرج ابراهيم حتى وقـف على كـداء ولا بنـاء ولا ظلّ ولا شىء يحـول دون ابنه فنظـر اليه فأدركه ما يدرك الوالد من الرحمة لولده فقال ربّنا انّى أسكنتُ من ذريتى بِـوادٍ غير ذى زرْع عند بيتـك المحرّم ربّنا ليقيمـوا

الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون ربّنا انّك تعلم ما نخفى وما نُعلن وما يخفى على الله من شيء فى الارض ولا فى السماء ثم انصرف ابراهيم راجعاً الى الشام وعمدتْ هاجر فجعلتْ عريشاً فى موضع الحجر من سَمُر وثُمام ألقتْه عليها ومعها شِنّ فيه شيء من ماء فلما نفد الماء عطش اسماعيل وعطشت أمّه فانقطع لبنُها فأخذ اسماعيل كهيئة الموت فظنّت انه ميتٌ فجزعت وخرجت جزعاً ان تراه على تلك الحالة وقالت يموت وأنا غائبة عنه هو أهون علىّ وعسى الله ان يجعل لى فى مَمْشياىَ خيراً فانطلقت فنظرت الى جبل الصفا فأشرفت عليه تستغيث ربّها عز وجل وتدعوه ثم انحدرت الى المروة فلما كانت فى الوادى خَبَتْ حتى انتهت الى المروة فعلتْ ذلك سبع مرار كلما أشرفت على الصفا نظرت الى ابنها فتراه على حاله وإذا اشرفت على المروة فعلت مثل ذلك فكان ذلك اول ما سُعى بين الصفا والمروة وكان من قبلها يطوفون بالبيت ولا يسعَون بين الصفا والمروة ولا يقفون المواقف حتى كان ابراهيم ثم فلما كان الشوط

السابع ويئست سمعت صوتاً فاستمعت فلم تسمع الا الاول فظنت انه شيء عرض لسمعها من الظماء والجهد فنظرت الى ابنها فاذا هو يتحرك فأقامت على المروة ملّياً ثم سمعت الصوت الاول فقالت انى سمعتُ صوتك فأعجبنى فإن كان عندك خير فأغثنى فانى قد هلكتُ وهلك ما عندى فخرج الصوت يصوب بين يديها وخرجتْ تتلوه قد قَويَتْ له نفسُها حتى انتهى الصوت عند راس اسماعيل ثم بدا لها جبريل فانطلق بها حتى وقف على موضع زمزم فضرب بعقبه مكان البئر فظهر الماء فوق الارض حين فحص بعقبه وفارت بالرواء وجعلت ام اسماعيل تحظر الماء بالتراب خشية ان يفوتها قبل ان تأتى بشنتها فاستقت وبادرت الى ابنها فسقته وشربت فجعل ثدياها يتفطّران لبناً فكان ذلك اللبن طعاماً وشراباً لاسماعيل وكانت هاجر تجتزئ بماء زمزم فقال لها الملَك لا تخافى ان ينفد هذا الماء وابشرى فإنّ ابنك سيشبّ ويأتى ابوه من الشام فتبنون هاهنا بيتاً يأتيه عباد الله من أقطار الارض مُلبّين لله جل ثناؤه شعثاً غبْراً فيطوفون به ويكون هذا الماء شراباً لِضيفان الله عز

وجل الذين يزورون بيته فقالت بشّرك الله بخير وطابت نفسها وحمدت الله عز وجل ثم اقبل غلامان من العماليق يريدان بعيراً لهما اخطاهما وقد عطشا وأهلهما بعَرَفات فنظرا الى طير تهوى قبل الكعبة فاستنكرا ذلك وقالا أنّى يكون الطيور على غير ماء فقال احدهما لصاحبه امهل حتى نبرد ثم نسلك مهوى الطير فأبردا ثم تروّحا فإذا الطير تَرِد وتصدر فاتّبعا الواردة منها حتى وقفا على ابى قُبَيس فنظرا الى الماء وإلى العريش فنزلا وكلّما هاجر وسألاها متى نزلت فأخبرتهما وقالا لمن هذا الماء فقالت لى ولابنى فقالا مَن حفره فقالت سقىُ الله جل ثناؤه فعرفا ان احداً لا يقدر على ان يحفر هنالك ماءً وعهْدهما بما هناك قريب وليس به ماء فرجعا الى أهلهما من ليلتهما فأخبراهم فتحوّلوا حتى نزلوا معهما على الماء فأنست بهم ومعهم الذرية فنشأ اسماعيل مع وِلدانهم وكان ابراهيم يزور هاجر فى كل شهر على البُراق ويغدو غدوةً فيأتى مكّة ثم يرجع فيقيل من القيلولة فى منزله بالشام فزارها بعد ونظر الى مَن هنالك من العماليق والى كثرتهم وعمارة الماء فسُرَّ بذلك

ولما بلغ اسماعيل عم تزوّج امراة من العماليق فجاء ابراهيم زائراً لاسماعيل واسماعيل فى ماشيته يرعاها ويخرج متنكّباً قوسَه فيرمى الصيد مع رعيته فجاء ابراهيم عم الى منزله فقال السلام عليكم يا اهل البيت قال فسكتتْ فلم تردّ عليه الا ان تكون ردّتْ فى نفسها فقال هل من منزل فقالت لا هَيمُ الله اذنْ فقال فكيف طعامكم ولبنكم وشاؤكم فذكرت جهداً فقالت اما الطعام فلا طعام وأما الشاء فانما نحلب الشاة بعد الشاة المصر وأما الماء فعَلى ما ترى من الغلاظ فقال اين رب البيت قالت فى حاجته قال فإذا جاء فأقرئيه السلام وقولى له غيّر عتبة بيتك ورجع ابراهيم الى منزله وأقبل اسماعيل راجعاً الى منزله بعد ذلك بما شاء الله عزوجل فلما انتهى الى منزله سأل امراته هل جاءك احد فأخبرته بإبراهيم وقوله وما قالتْ له ففارقها وأقام ما شاء الله عز وجل ان يقيم وكانت العماليق هم وُلاة الحكم بمكّة فضيّعوا حرمات الحرم واستحلوا منه أمورا عظاماً ونالوا ما لم يكونوا ينالون فقام فيهم رجل منهم يقال له عموق فقال يا قوم ابقوا على أنفسكم فقد رأيتم وسمعتم مَن اهلك من هذه

الامم فلا تفعلوا تواصلوا ولا تستخفّوا بحرم الله عز وجل وهو موضع بيته فلم يقبلوا ذلك منه وتمادوا في هلكة أنفسهم

ثم ان جُرْهُماً وقطوراء وهما أبنا عمٍّ خرجوا سيّارةً من اليمن أجدبت البلاد عليهم فساروا بذراريهم وأموالهم فلما قدموا مكة رأوا فيها ماءً معيناً وشجراً ملتفّاً ونباتاً كثيراً وسعة من البلاد ودِفْئاً في الشتاء فقالوا ان هذا الموضع يجمع لنا ما نريد فاعجبهم ونزلوا به وكان لا يخرج من اليمن قوم الا وليهم ملك يُقيم أمرهم سنةً فيهم جروا عليها واعتادوها ولو كانوا نفراً يسيراً فكان مضاض بن عمرو على قومه من جرهم أعلى مكة بقُعَيقِعان فما حاز ونزل السُمَيدَع بقطوراء أسفل مكة بأجياد فما حاز وذهب العماليق الى ان ينازعوهم أمرهم فعلتْ ايديهم على العماليق وأخرجوهم من الحرم كله فصاروا في أطرافه لا يدخلونه وجعل مضاض والسميدع يقطعان المنازل لمن ورد عليهما من قومهما فكثروا وأثروا فكان مضاض يعشّر كل من دخل مكة من أعلاها وكان السميدع يعشّر كل من دخل من أسفلها وكل على قومه لا يدخل أحدهما على صاحبه وكانوا قوماً عرباً وكان اللسان عربياً

وكان ابراهيم يزور اسماعيل فلما نظر الى جُرهُم نظر الى لسان عجيب وسمع كلاماً حسناً ونظر اسماعيل الى رعلة بنت مضاض بن عمرو فأعجبته فخطبها الى ابيها فتزوجها فجاء ابراهيم زائراً لاسماعيل فجاء الى بيت اسماعيل فقال السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله فقامت اليه المراة فردّت عليه السلام و رحّبت به فقال كيف عيشكم ولبنكم وماشيتُكم قالت خير عيشٍ بحمد الله عز وجل نحن فى لبن كثير ولحم كثير وماؤنا طيب قال هل من حبّ قالت يكون ان شاء الله ونحن فى نعم قال بارك الله لكم

قال ابو الجهم فكان ابى يقول ليس احد يخلى على اللحم والماء بغير مكة الا اشتكى بطنه ولعمرى لو وجد عندها حبّاً لدعا فيه بالبركة فكانت ارض زرع

ويقال ان ابراهيم عم قال لها ما طعامكم قالت اللحم واللبن قال فما شرابكم قالت اللبن والماء قال بارك الله لكم فى طعامكم وشرابكم فاللبن طعام وشراب قالت فانزل رحمك الله فاطعم واشرب قال انى لا استطيع النزول قالت فانى أراك شعثاً أفلا أغسل راسك

وأدهنه قال بلى إن شئتِ فجاءته بالمقام وهو يومئذ حجر رطب أبيض مثل المهاة ملقى فى بيت اسماعيل فوضع عليه قدمه اليمنى وقدّم اليها راسه وهو على دابّته فغسلتْ شقّ راسه الأيمن فلما فرغت حوّلت له المقام حتى وضع قدمه اليسرى وقدّم اليها راسه فغسلت شقّ راسه الأيسر فالأثر الذى فى المقام من ذلك

قال ابو الجهم فقد رأيت موضع العقب والاصبع

وعن الواقدى عن غير حديث ابى الجهم ان ابا سعيد الخدْرى سأل عبد الله بن سلام عن الأثر الذى فى المقام فقال كانت الحجارة على ما هى عليه اليوم الا ان الله جل ثناؤه اراد ان يجعل المقام آيةً من آياته

قال ابو الجهم فلما فرغتْ يعنى المراة من غسْل راس ابراهيم عم قال لها اذا جاء اسماعيل فقولى له أثبتْ عتبةَ بابك فانها صلاح المنزل فلما جاء اسماعيل قال لها هل جاءك احد بعدى فأخبرتْه بابراهيم وبما صُنعتْ به ثم قال لها هل قال لك ان تقولى لى شيئاً قالت قال لى أثبت عتبة بابك فانّ صلاح المنزل العتبة ففرح اسماعيل وقال لها

اتدرين من هو قالت لا قال هذا خليل الله ابراهيم ابي واما قوله عتبة بابك فقد أمرني ان اقرك وقد كنتِ عليّ كريمةً وقد ازددتِ عليّ كرامة فصاحت وبكت فقال مالك قالت الا اكون علمتُ من هو فأكرمه وأصنعَ به غير الذى صنعتُ فقال لها اسماعيل لا تبكي ولا تجزعي فقد أحسنتِ ولم تكوني تقدرين ان تفعلي فوق الذى فعلتِ ولم يكن ليزيدك على الذى صنع بك

فولدتْ لاسماعيل عشرة ذكور احدهم نابت فلما بلغ اسماعيل ثلاثين سنة وابراهيم يومئذ ابن مائة سنة اوحى الله جل ثناؤه الى ابراهيم ان ابنِ لى بيتًا فقال ابراهيم اى ربّ أين أبنيه فأوحى الله اليه ان اتبع السكينة وهى ريح لها وجه وجناحان ومع ابراهيم الملك والصرد فانتهوا بابراهيم الى مكة فنزل اسماعيل الى الموضع الذى بوّأه الله جل وعز لابراهيم وموضع البيت ربوة حمراء مَدَرة مُشرفة على ما حولها فحفر ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وليس معهما غيرهما أساس البيت يريدان أساس ادم الاوّل فحفرا عن ربض البيت يعني حوله فوجدا صخرة لا يطيقها الا ثلاثون رجلا وحفرا حتى يلقى أساس ادم ثم بنى

عليه وحلقت السكينة كانها سحابة على موضع البيت فقالت ابن علىّ فلذلك لا يطوف بالبيت احد أبداً كافر ولا جبّار الا رأيتَ عليه السكينة فبنى ابراهيم واسماعيل البيت فجعل طوله فى السماء تسع أذرع وعرضه فى الارض ثلاثين ذراعا وطوله فى الارض اثنين وعشرين ذراعاً وأدخل الحِجْر وهو سبع اذرع فى البيت وكان قبل ذلك زرْباً لِغنم اسماعيل وانما بناه بحجارة بعضها على بعض ولم يجعل له سقفاً وجعل له باباً وحفر له بئراً عند بابه خزانة للبيت يُلْقَى فيها ما أُهدِىَ للبيت وجعل الركن عَلَماً للناس فذهب اسماعيل الى الوادى يطلب حجراً ونزل جبريل بالحجر الاسود وكان قد رُفِع الى السماء حين غرقت الارض كما رُفع البيت فنزل به جبريل فوضعه ابراهيم موضع الركن وجاء اسماعيل بالحجر من الوادى فوجد ابراهيم قد وضع الحجر فقال من اين هذا ومن جاءك به قال ابراهيم من لم يَكِلْنى اليك ولا الى حجرك

وعن الواقدى ايضا من غير حديث ابى الجهم ان يزيد بن رومان قال سمعت ابن الزبير يقول ان ابراهيم عم ابتغى الحجر فناداه من

فوق ابى قُبَيس الا انا هذا فرَقَى اليه ابراهيم فأخذه فوضعه موضعه الذى هو فيه اليوم وكان الله جل ثناؤه لما غرقت الارض استودع ابا قبيس الركن وقال اذا رأيتَ خليلى يبنى لى بيتاً وأعْطِه الركن فأعطاه الركن

وعن غير ابن الزبير ان ابا قبيس لذلك كان يُسمّى فى الجاهلية الأمين لِوفائه بما استودعه الله اياه

قال ابو الجهم ولما فرغ ابراهيم من بناء البيت وأدخل الحجر فى البيت جعل المقام لاصقاً بالبيت عن يمين الداخل فلما كانت قريش قصر الخشب عليهم أخرجوا الحجر وكان ما أخرجوا منه سبع أذرع وأمر ابراهيم بعد فراغه من البناء ان يؤذّن فى الناس بالحجّ فقال يا ربّ وما يبلغ صوتى قال الله جل ثناؤه أذّنْ وعلىّ البلاغ فارتفع على المقام وهو يومئذ ملصق بالبيت فارتفع به المقام حتى كان أطول من الجبال فنادى وأدخل أصبعيه فى أذنيه وأقبل بوجْهه شرقاً وغرباً يقول يا ايها الناس كُتب عليكم الحجّ الى البيت العتيق فأجيبوا ربّكم عز وجل فأجابه مَن تحت البحور السبعة

ومَن بين المشرق والمغرب الى منقطع التراب من أطراف الارض كلها لبّيك اللهمّ لبيك أفلا تراهُم يأتون يلبّون فمَن حجّ من يومه الى يوم القيامة فهو ممّن استجاب لله جل وعز وذلك قول الله جل ثناؤه فيه آيات بيّنات مقامُ ابرهيم (١) يعنى نداء ابراهيم على المقام بالحج فهى الآية

قال الواقدى وقد رُوى ايضا ان الآية هى أثر ابراهيم على المقام

قال ابو الجهم فلما فرغ ابراهيم من الأذان ذهب به جبريل فأراه الصفا والمروة وأقامه على حدود الحرم وأمره ان ينصب عليه الحجارة ففعل ابراهيم ذلك وكان اوّل من أقام إنصاب الحرم ويُريه اياها جبريل فلما كان اليوم السابع من ذى الحجة خطب ابراهيم عم بمكّة حين زاغت الشمس قائماً واسماعيل جالس ثم خرجا من الغد يمشيان على أقدامهما يلبّيان مُحرِمَين مع كل واحد منهما إداوة يحملها وعصًى يتوكأ عليها فسُمّى ذلك اليوم يوم التروية فأتيا مِنًى فصلّيا

---

(١) س ٣ آ ٩١ .

بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح وكانا نزلا فى الجانب الأيمن
ثم أقاما حتى طلعت الشمس على ثبير ثم خرج يمشى هو واسماعيل
حتى أتيا عَرَفة وجبريل معهما يُريهما الأعلام حتى نزلا بنَمِرَة وجعل
يُريه أعلام عَرَفات وكان ابراهيم قد عرفها قبل ذلك فقال ابراهيم قد
عرفتُ فسُمّيتْ عَرَفات فلما زاغت الشمس خرج بهما جبريل عم حتى
انتهى بهما الى موضع المسجد اليوم فقام ابراهيم فتكلّم بكلمات واسماعيل
جالس ثم جمع بين الظهر والعصر ثم ارتفع بهما الى الهِضاب فقاما على
أرجُلهما يدعُوَانِ الى ان زاغت الشمس وذهب الشعاع ثم دفعا من عَرَفة
على أقدامهما حتى انتهيا الى جَمْع فنزلا فصلّى ابراهيم المغرب والعشاء
فى ذلك الموضع الذى يُصَلَّى فيه اليوم ثم باتا حتى إذا طلع الفجر
وقفا على قُزَح فلما أسفرا قبل طلوع الشمس دفعا على أرجُلهما
حتى انتهيا الى مُحَسِّر فأسرعا حتى قطعاه ثم عادا الى مشيهما الاول ثم
رميا جمرة العَقَبَة بسبع حصيات حملاها من جمع ثم نزلا من مِنًى فى
الجانب الأيمن ثم ذبحا فى المنحر اليوم وحلقا رؤوسهما ثم أقاما أيام
مِنًى يرميان الجمار حين تزيغ الشمس ماشيين ذاهبين وراجعين

وصدرا يوم الصدر فصلّيا الظهر بالأبطح وكل هذا يُريه جبريل عم

قال ابو الجهم فلما فرغ ابراهيم من الحج انطلق الى منزله بالشام فكان يحج البيت كل عام وحجته سارةُ وحجّه اسحاق ويعقوب والأسباط والأنبياء كلّهم وحجّه موسى بن عمران عم

روى الواقدى بإسناد له الى ابن عباس رضه قال مرّ موسى عم بصِفاح الروحاء يلبّى تُجاوِبهُ الجبال عليه عباءتان قَطَوانيّتان من عباء الشام

وعن جابر بن عبد الله قال حجّ هارون نبىّ الله البيت فمرّ بالمدينة يُريد الشام فمرض بالمدينة فأوصى ان يُدفَن بأصل أُحُد ولا تعلم به يهود مخافة ان ينبشوه فدفنوه فقبْره هناك

وعن ابن عباس ان الحواريين كانوا اذا بلغوا الحرم نزلوا يمشون حتى يأتوا البيت

وعن ابن الزبير ان الحواريين خلعوا نعالهم حين دخلوا الحرم إعظاماً ان ينتعلوا فيه

ثم توفّى الله خليله ابراهيم صلعم بعد ان وجّه اليه مَلَك الموت فاستنظره ابراهيم ثم أعاده اليه لما أراد قبْضه فأخبره بما أُمر به فسلّم

ابراهيم لأمر ربّه عزوجل فقال له مَلَك الموت يا خليل الله على اىّ
حال تحبّ ان أقبضك قال تقبضنى وأنا ساجد فقبضه وهو ساجد
فصعد بروحه الى الله عز وجل ودُفن ابراهيم عم بالشام وعاش اسماعيل
عم بعد ابيه ما عاش وتوفّى بمكة فدُفن داخل الحِجر مما يلى باب
الكعبة وهنالك قبر امّه هاجر دُفن معها وكانت توفّيت قبله

ولما توفّى اسماعيل عم ولى البيت بعده ابنُه نابت ولم يَلِه احدٌ
من ولده غيره ثم مات فدفن فى الحِجر مع امّه رِعْلَة بنت مضاض فولى
البيت بعده جدّه مضاض بن عمرو ثم أخواله من جُرهُم وقاموا عليه
فكانوا هم وُلاته وحُجّابه وولات الأحكام بمكّة وكان البيت قد دخله
السيل من أعلى مكّة فانهدم فأعادتْه جُرهُم على بناء ابراهيم وجعلتْ
له مِصْراعَين وقُفْلا

قال ابن اسحاق ثم ان جُرهُماً وقَطوراء بغى بعضهم على بعض
وتنافسوا المُلك فيها ومع مضاض يومئذ بنو اسماعيل وبنو نابت واليه
ولاية البيت دون السمَيْدع فسار بعضهم الى بعض فخرج مضاض من
قُعَيقِعان فى كتيبة سائرا الى السميدع ومع كتيبته عدّتها من الرماح

والدرق والسيوف والجعاب يقعقع بذلك معه فيقال ما سُمّى قُعَيقِعان الا لذلك وخرج السميدع من اجياد ومعه الخيل والرجال فيقال ما سُمّى اجياد اجياداً الا لخروج الجياد من الخيل مع السميدع منه

وغير ابن اسحاق يقول انما سمى اجياداً لان مضاضاً ضرب فى ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة

وقيل بل امر بعض الملوك غير مُسمًّى بضرب رقاب فيه كان يقال لسيافه توسّط الأجياد وهذا ونحوه أصحّ من تسمية الموضع بأجياد مما قال ابن اسحاق قال فالتقوا بفاضح فاقتتلوا قتالا شديداً فقُتل السميدع وفضحتْ قطوراء فيقال ما سُمّى فاضح فاضحاً الا لذلك ثم ان القوم تداعوا الى الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شِعْباً على مكّة فاصطلحوا به وأسلموا الامر الى مضاض فلما جُمع اليه امر مكّة فصار مُلكها له نحر للناس وأطعمهم فأطبخ الناس وأكلوا فيقال ما سُمّيت المطابخُ المطابخَ الا لذلك وبعض اهل العلم يزعم انها انما سميت بذلك لما كان تُبَّع نحر بها وأطعم وكانتْ منزله فكان الذى كان بين مضاض والسميدع اوّل بغى كان بمكّة فيما يزعمون

ثم نشر الله ولد اسماعيل بمكة وأخوالهم من جُرهُم ولاة البيت والحكّام بمكة لا ينازعهم ولد اسماعيل فى ذلك لخؤولتهم وقرابتهم وإعظاماً للحرمة ان يكون بها بغىٌ او قتال

فلما ضاقت مكة على ولد اسماعيل انتشروا فى البلاد فلا يناؤون قوما الا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطئوهم

ثم ان جُرهُم بغوا بمكة واستحلّوا حلالاً من الحرمة وظلموا مَن دخلها من غير اهلها وأكلوا مال الكعبة الذى يُهدى لها فرقّ امرهم فلما رأت ذلك بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان من خزاعة أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة فأذنوهم بالحرب فاقتتلوا فغلبتْهم بنو بكر وغبشان فنفوهم من مكة وكانت مكة فى الجاهلية لا تقرّ فيها ظلماً ولا بغياً لا يبغى فيها احدٌ الا أخرجته فكانت تسمّى الناسّة ولا يريدها ملك يستحلّ حرمتها الا هلك مكانه فيقال ما سُمّيت ببكّة الا انها كانت تبكّ أعناق الجبابرة اذا أحدثوا فيها شيئاً فلم يزل اهلها على وجه الدهر يصونون جنابها ويحافظون على حرمتها يقال انه اجتمع رأى بنى اسماعيل وخيارهم على ان لا يَدَعُوا احداً

أحدث فى حرم الله حدثاً الا غرّبوه منه ثم لم يرجع اليه ويقال بل
كان ذلك مما سنّ لهم اوّلهم فصارت سُنّة فيهم يدينون بها ثم خلف
من خلف بعدهم على ذلك يرون فيه رأيهم وتكبر مواقعة الظلم فى
حرم الله والتعدى به فى نفوسهم يعتقدون ان الباغى فيه معاقب
فى دنياه فى نفسه وماله وأن الحالف عند البيت حانثاً يخوف عليه
مما أصاب قبله من فعل فعله وأن دعاء المظلوم عنده وخصوصاً فى
الشهر الحرام مجاب فى ظالمه ويأثرون فى ذلك أشياء أراها الله
اياهم صوناً لحرمه الكريم وتنزيهاً لبيت خليله ابراهيم عم

ذكر الواقدى من حديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث
قال عدا رجل من بنى خُناعة من هُذيل على ابن عمّ له وظلمه
واضطرّ فناشده بالرحم وعظّم عليه فأبى الا ظلمه فقال والله لأُلحقنّ بحرم
الله فى هذا الشهر ولأدعُونّ الله عليك فقال له ابن عمه مستهزئاً
به هذه ناقتى فلانة فانا افقرك ظهرها فاذهب فاجتهد فأعطاه ناقة
وخرج حتى جاء الحرم فى الشهر الحرام فقال اللهمّ انى أدعوك جاهداً
مضطرًّا على ابن عمّ فلان ترميه بداءٍ لا دواء له ثم انصرف فوجد

ابن عمّه قد رُمِى فى بطنه فصار مثل الزقّ فما زال ينتفخ حتى انشق

قال عبد المطلب فحدثتُ بهذا الحديث ابن عباس فقال انا

رأيت رجلاً دعا على ابن عمّ له بالعَمَى يعنى فى الحرم فرأيته يقاد

اكمه العينين

وعن ابن عباس قال سمعتُ عمر بن الخطاب رضه يسئل رجلا من

بنى سُليم عن ذهاب بصره فقال الرجل يا امير المؤمنين كنّا بنى صبغاء

عشرة وكان لنا ابن عمّ فكنّا نظلمه ونضهده فكان يُذكِرنا الله والرحم

وكنّا اهل البيت نرتكب كل الأمور فلما رأى ابن عمنا انّا لا نكفّ

عنه ولا نردّ اليه ظلامته أمهل حتى اذا دخلت الأشهر الحرم انتهى

الى الحرم فجعل يرفع يديه الى الله جل ثناؤه ويقول

لاهُمّ أدعوك دعاءً جاهداً ٭ اقتل بنى الصبغاء الا واحدا

ثم اضرب الرجْل فذرْه قاعداً ٭ اعمى اذا قيد يعنى القائدا

قال فمات إخوتى تسعة فى تسعة أشهر فى كل شهر واحد وبقيتُ

انا فعميتُ ورمانى الله عزوجل فى رجْلىّ وكمهتُ فليس يلايمنى قائدُ

قال ابن عباس سمعتُ عمر يقول سبحان الله ان هذا لَهو العجب

قال سمعتُ عمر يسئل ابن عمّهم الذى دعا عليهم فقال دعوتُ عليهم كل ليلة فى ليالى رجب الشهر كله بهذا الدعاء فأهلِكوا فى تسعة أشهر وأصاب الباقى ما اصابه

قال ابن عباس وعدا رجل على ابن عمّ له فاستاق ذوداً له فخرج يطلبه حتى أصابه فى الحرم فقال ذودى فقال اللص كذبتَ ليس لك قال فأحلف قال إذَنْ أحلف فحلف عند المقام بالله الخالق ربّ هذا البيت ما هنّ لك فقيل له لا سبيل لك عليه فقام ربّ الذود بين الركن والمقام باسطاً يديه يدعو على صاحبه فما برح مقامه يدعو عليه حتى دُلّه فذهب عقله فجعل يصيح بمكّة مالى وللذود مالى ولفلان ربّ الذود فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع الذود فدفعها الى المظلوم فخرج بها وبقى الاخر مُدَلّها حتى تردّى من جبل فمات فأكلته السباع

وكان عمر بن الخطاب رضه يقول لو وجدتُ قاتل الخطاب فى الحرم ما هجته وكان يقول لئن أذنب بُركبة سبعين ذنباً أ. ب الى

من ان أذنب ذنباً واحداً فى الحرم وركبة خارج الحرم محاذية لذات عرق

وذكر رضه يوماً وهو خليفة ما كان يعاقب به من حلف ظلماً يعنى فى الحرم زمن الجاهلية فقال ان الناس ليرتكبون ما هو أعظم منها ثم لا يُعجّل لهم من العقوبة مثل ما كان يعجل لأولائك فما ترون ذلك فقالوا انت اعلم يا امير المومنين قال ان الله جل ثناؤه جعل فى الجاهلية اذ لا دين حُرمةً حرّمها الله وعظّمها وشرّفها وجعل العقوبة لمن استحلّ شيئاً مما حرّم الله ليتنكل عن انتهاك ما حرّم الله بتعجيل العقوبة فلما بعث الله رسوله صلعم أوعدهم فيما انتهكوا مما حُرّم الساعة فقال والساعة أدهى وأمرّ فأخّر العقاب الى يوم القيامة وأراهم الله عزوجل استجابة بعضهم لبعض ليتناهوا عن الظلم وأخّر اهل الاسلام ليوم الجمع ويستجيب الله لمن يشاء فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين

ومن المشهور فى هذا الباب امر إساف ونائلة وهما صنما قُريش الذان أقامهما على زمزم ينحرون عندهما ذكروا انهما كانا رجلا وامراة

من جُرهُم إساف بن بغى ونائلة بنت ديك فوقع إساف على نائلة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين ويقال بل أحدثا فيها فمسخهما الله فالله اعلم وأمرهما معدود فيما بلغت اليه جُرهُم من الاستخفاف بحرمة الحرم وقلة مبالاتهم بالبغى فيه مع ما أراهم الله من عظيم الآية بمسخهما حجرين فما نهاهم ذلك عن قبيح فعلهم ما كانوا عليه حتى أخرجهم الله عن جوار بيته بأيدى اخرين من عباده فكان من أمرهم مع خُزاعة ما كان فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى بغزالَى الكعبة وبحجر الركن فدفنها فى زمزم وانطلق هو ومَن معه من جرهم الى اليمن وحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة ومُلكها حُزناً شديداً فقال عمرو بن الحارث بن مضاض فى ذلك وليس بمضاض الاكبر

كأنْ لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيسٌ ولم يَسمُر بمكّة سامرُ
بلى نحن كنّا اهلَها فأزالنا * صروف الليالى والجدود العواثر
وكنّا وُلاةَ البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخيرُ ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت * بعزٍّ فما يَحظَى لَدَينا المكاثر

مَلكنا فعزّزنا فأعظِم بمُلكنا * فليسَ لحيٍّ غيرنا ثم فاخر

الم ينكحوا من غير شخصٍ علمته * فابناؤه منّا ونحن الأصاهر

فان تنثنِ الدنيا علينا بحالها * فانّ لها حالاً وفيها التشاجر

فأخرجنا منها المليك بقدرة * كذلك يا للناس تجرى المقادر

أقول اذا نام الخليّ ولم أنم * أذا العرش لا يبعد سهيل وعامر

وبدّلت منها أوجهاً لا أحبّها * قبائل منها حميَرُ ويحابر

وصرنا احاديثاً وكنّا بغبطةٍ * بذلك عضّتنا السنون الغوابر

فسحّت دموع العين تبكى لبلدة * بها حرمٌ أمنٌ وفيها المشاعر

ونبكى لبيت ليس يُؤذى حمامه * يَظَلّ به أمناً وفيه العصافر

وفيه وحوشٌ لا ترام أنيسةٌ * اذا خرجت منه فليست تغادر

وقال عمرو بن الحارث ايضا يذكر بكراً وغُبشان وساكن مكّة الذين خلفوا فيها بعدهم

يا ايها الناس سيروا انّ قصرکم * ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

حثّوا المطىّ وأرخوا من أزمّتها * قبل الممات وقضّوا ما تقضّونا

كنّا أُناساً كما كنتم فغيَّرَنا ❊ دَهْرٌ فأنتم كما كنّا تكونونا

قال ابن هشام وحدثنى بعض أهل العلم بالشعر ان هذه الابيات أوّل شعرٍ قيل فى العرب وانّها وُجِدَت مكتوبةً فى حجر باليمن ولم يُسَمَّ لنا قائلها

ثم ان غُبشان من خُزاعة وَلِيَت البيت دون بنى بكر بن عبد مناة وغبشان لقب واسمه الحارث وخزاعة يقال انهم من ولد قمعة بن الياس بن مُضر وان أباهم عمرو بن لُحَيّ هو عمرو بن لحى بن قمعة وخزاعة يأبون هذا النسب ويقولون انهم من ولد كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر من غسّان

وقد رُوى ان رسول الله صلعم قال رأيت عمرو بن لحى بن قمعة ابن خِندِف يجرّ قُصْبه فى النار فسألتُه عمّن بينى وبينه من الامم فقال هلكوا فقيل له ومَن عمرو بن لحى قال ابو هولاء من خزاعة وهو اوّل من غيّر الحنيفية دين ابراهيم وأوّل من نصب الاوثان حول الكعبة فإن كان رسول الله صلعم قال هذا فرسول الله اعلمُ وما قال فهو الحقّ وعمرو بن ربيعة الذى تنتسب اليه خزاعة يقال هو عمرو بن لحى وانّ حارثة

بن ثعلبة بن عمرو خلّف على ام ّلحى ولحى هو ربيعة بعد ان ولدتْ من قمعة ولحى صغيرٌ فتبنّاه حارثة وانتسب اليه فيكون النسب على هذا صحيحا بالوجهين الى قمعة بالولادة وفْق ما رُوى ان رسول الله صلعم قاله والى حارثة بن ثعلبة بالتّبنّى والانتساب به موجود كثيرا فى العرب ٠

فلما وليتْ خزاعة البيت حفظوه مما كانت جُرهُم استباحتْه وترافدوا على تعظيمه والذبّ عنه وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحارث الغُبْشانى ثم قومه من بعده وقُريش اذ ذاك حلولٌ وصرمٌ متقطّعون وبيوتات متفرّقون فى قومهم من بنى كنانة فأقامتْ خزاعة على ولاية البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر حتى كان آخرهم حُلَيل ابن حُبْشية بن سَلول بن كعب بن عمرو الخزاعى وبعده انتقلتْ ولاية البيت الى قُصَىّ بن كِلاب

وكان من حديث قُصَىّ انه لما هلك ابوه كِلاب بن مُرّة خلّف ولدَيه زُهْرة وقُصَيًّا مع أمّهما فاطمة بنت سعد بن سَيَل بن عُذْرة وزُهْرة يومئذ رجل وقُصَىٌّ فطيمٌ فقدم مكة بعد مهلك كلاب حاجٌّ

من قضاعة فيهم ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد كبير بن عُذْرة فتزوّج فاطمة بنت سعد فاحتملها الى بلاده فاحتملت ابنها قُصَيًّا لصغْره وأقام زهرة فى قومه فولدت فاطمة لربيعة رزاحاً فكان اخا قُصَىّ لأمّه وكان لربيعة بنون ثلاثة من امراة اخرى وهم حُنّ ومحمود وجَلْهُمة بنو ربيعة وأقام قصىّ بأرض قُضاعة لا ينسب الا الى ربيعة بن حرام فناضل يوماً رجلا من قضاعة يُدعَى رُفَيعاً فنضله قصىّ وهو يومئذ شابّ فغضب المنضول فوقع بينهما كلام حتى تقاولا وتنازعا فقال رُفَيع ألا تلحق ببلدك وبقومك فانك لست منّا فرجع قصىّ الى امّه وقد وجد فى نفسه مما قال له فسألها عن ذلك فقالت او قد قال هذا انت والله يا بنىّ أكرم منه نفساً ووالداً ونسباً وأشرف منزلاً انت ابن كلاب بن مرّة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب بن فهْر بن مالك ابن النضر بن كنانة القرشىّ وقومُك بمكّة عند البيت الحرام وفيما حوله تَفِد العرب الى ذلك البيت وقد قالتْ لى كاهنةٌ رأتك هذا يلى أمراً جليلا فطِبْ نفساً فأجمع قصىّ الخروج الى قومه واللحوق بهم وكره الغربة بأرض قُضاعة وضاق ذرعاً بالمقام فيهم

فقالت له امه لا تعجل حتى يدخل عليك الشهر الحرام فتخرج فى حاج العرب فانى أخشى عليك ان يصيبك بعض الناس فأقام قصىّ حتى اذا دخل الشهر الحرام وخرج حاجّ قضاعة خرج معهم وهم يظنّون انه انما يريد الحجّ ثم يرجع الى بلادهم حتى قدم مكّة فلما فرغ من الحجّ أقام بها وعاجله القُضاعيّون على الخروج معهم فأبى وكان رجلا جلداً نسيباً فلم ينشب ان خطب الى حُلَيل بن حبْشيّة بنته حُبّى فعرف حُلَيل النسب ورغب فى الرجل فزوّجه وحُليل يومئذ يلى امر مكّة والحكم فيها وحجابة البيت فأقام قصىّ معه بمكّة وولدت له حُبّى بنيه عبد الدار وعبد مناف وعبد العُزّى وعبداً

فلما انتشر ولد قصىّ وكثر ماله وعظم شرفه هلك حُلَيل فرأى قصىّ انه أولى بالكعبة وبأمر مكّة من خُزاعة وبني بكر وأن قُرَيشا قُرْعَة اسماعيل بن ابراهيم عم وصريح ولده فكلّم رجالا من قريش وبني كنانة ودعاهم الى إخراج خزاعة وبنى بكر من مكّة فأجابوه الى ذلك فكتب عند ذلك قصىّ الى اخيه من امه رزاح بن ربيعة يدعوه الى نصرته والقيام معه فخرج رزاح ومعه إخوته لأبيه حُنّ ومحمود

وجَلْهُمة فيمن تبعهم من قضاعة في حاج العرب وهم مجمِعون لنصرة قصيّ والقيام معه فلما اجتمع الناس بمكّة وفرغوا من الحجّ ولم يبق الا ان يصدر الناس كان اوّل ما تعرّض له قصيّ من المناسك أمر الإجازة للناس بالحجّ وكانت صُوفَة هي التي تلي ذلك مع الدفع بهم من عَرَفَة ورمي الجمار وهُم ولد الغوث بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر والغوث هو اوّل مَن ولي ذلك منهم وذلك ان امّه كانت امراة من جُرهُم وكانت لا تلد فنذرتْ لله إن هي ولدت ولداً أن تصدّق به على الكعبة عبداً لها فيخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث وكان يقوم على الكعبة في الدهر الاوّل مع أخواله من جُرهُم فولي الإجازة بالناس من عَرَفَة لمكانه الذي كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا فقال مُرّ بن أُدّ ابو الغوث لِوفاء نذر امّه

انّي جعلتُ رَبِّ مِن بَنِيّهْ * ربيطةً بمكّة العَلِيّهْ

فبارِكَنّ لي بها أَلِيّهْ * واجعَلْه لي من صالح البَرِيّهْ

وكان الغوث بن مُرّ زعموا اذا دفع بالناس قال

لاهُمَّ انّي تابعٌ تباعَهْ * ان كان إثمٌ فعلَى قُضاعَهْ

وذلك ان قضاعة كان منهم يستحلّون الحُرمة الجاهليّة فكانت صُوفة تدفع بالناس من عَرَفة وتُجيز بهم اذا نفروا من مِنًى حتى اذا كان يوم النفر أتوا لرمْى الجمار ورجل من صوفة يرمى للناس لا يرمون حتى يرمى فكان ذَوُو الحاجات المستعجلون يأتونه فيقولون له قُمْ فارْم حتى نرمى معك فيقول لا والله حتى تميل الشمس فيظلّ ذوو الحاجات الذين يحبّون التعجيل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ويقولون له وَيلَك قُمْ فارْم بنا فيأبَى عليهم حتى اذا مالت الشمس قام فرَمَى ورمى الناس معه فإذا فرغوا من رمْى الجمار وأرادوا النفر من مِنًى أخذت صُوفة بجانبَى العقبة فحبسوا الناسَ وقالوا أجيزى صوفة فلم يَجُزْ أحدٌ من الناس حتى يمرّوا فإذا نفذت صوفةُ ومضت خُلِّىَ سبيلُ الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك حتى انقرضوا فورثهم ذلك من بعدهم بالقُعْدُد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم وكانت من بنى سعد بن كعب فى آل صفوان بن الحارث بن شِجْنة بن عُطارد بن عوف بن كعب بن سعد فكان صفوان هو الذى يُجيز للناس بالحجّ من عَرَفة ثم بنوه من بعد حتى كان أخرهم الذى

قام عم كَرِبَ بن صفوان وفى ذلك يقول ابن مَغْراءَ السعدى

لا يَبرَحُ الناسُ ما حجّوا مُعَرَّفَهم * حتى يقال اجيزوا الناس صفْوانا

فأما قول ذى الأصبع العدوانى واسمه حُرْثان بن عمرو وقيل له ذو الأصبع لحيّة لدغتْه فى أصبعه فقطعها

عذير الحىّ من عَدْوانَ كانوا حيّةَ الارض

بَغَى بعضهم ظُلْماً فلم يُرْعِ على بعض

ومنهم كانت الساداتُ والموفون بالقرض

ومنهم من يُجيز الناسَ بالسُنّة والغرض

ومنهم حَكَمٌ يقضى فلا يُنْقَض ما يَقْضى

فانّما قال ذلك لان الإفاضة من المُزْدَلِفة كانت فى عَدْوانَ وهو عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان يتوارثون ذلك كابراً عن كابر حتى اخرهم الذى قام عليه الاسلام ابو سيّارة عُمَيلة بن الأعزل قال حُوَيطِب بن عبد العُزّى رايتُ ابا سيّارة يدفع بالناس من جمع على أَتانٍ له عقوق وذكروا انه اجاز عليها اربعين سنة قالوا وكان اذا وقف بالناس يقول اتقوا الله ربّكم واصلحوا اموالكم واحفظوا جيرانكم

وقاتلوا أعداءكم الهمّ حبّب بين نسائنا وبغّض بين رعائنا واجعل امر الناس بأيدى صلحائنا ثم يقول افيضوا على بركة الله وفيه يقول شاعرٌ من العرب

نحن دفعنا عن ابى سيّارهْ ❊ وعن مواليه بنى فزارهْ

حتى أجاز سالماً حِمارهْ ❊ مستقبِل القبلة يدْعو جارهْ

وقوله حَكَمٌ يقضى يعنى عامر بن ظرب العدوانى وكانت العرب لا تكون بينها ثايرةٌ ولا عُضلة فى قضاء الّا اسندوا ذلك اليه ثم رضوا بما قضى فيه فاختُصِم اليه فى بعض ما كانوا يختلفون فيه فى رجل خُنثَى له ما للرجل وله ما للمراة أتجْعَلُه رجلًا او امراة ولم يأتوه بأمر كان أعضَلَ منه فقال حتى انظر فى امركم فوالله ما نزل فى مثل هذه منكم يا معشر العرب فاستأخروا عنه فبات ليلته ساهراً يقلّب امره وينظر فى شأنه فلا يتوجّه له منه وجهٌ وكانت له جارية يقال لها سُخَيلة تَرعَى عليه غنمه فكان يعاتبها اذا سرحتْ فيقول صبّحتِ والله يا سُخَيل واذا راحتْ قال مسّيتِ والله يا سخيل وذلك انها كانت تؤخر السرْح حتى يسبقها بعضُ فلما رأت سهْره وقلّة

قراره على فراشه قالت له ما لك لا أبا لك ما عراك فى ليلتك هذه قال وَيلك دَعِينى امرٌ ليس من شانك ثم عادت له بمثل قولها فقال فى نفسه عسى ان تأتى مما انا فيه بفرْج فقال وَيحك اخْتصِمَ الىّ فى ميراث خُنْثَى أأجعله رجلا او امراة فوالله ما أدرى ما أصنع وما يتوجّه لى فيه وجهٌ فقالتْ سبحان الله لا أبا لك أتبِع القضاء المَبال أقْعِدْه فان بال من حيث يبول الرجل فهو رجل وان بال من حيث تبول المراة فهى امراة قال مَسِّى سُخَيلُ بعدها أو صَبّحى فرَّجْتِها والله ثم خرج على الناس حين اصبح فقضى بالذى أشارت به عليه

وهذا كله من الخبر معترض قطع اتّصال حديث صُوفة وقصىّ فنرجع الان اليه ونَصِله بموضع انقطاعه حيث ذُكِر ان صوفة هى التى كانت تلى الإجازة بالناس من مِنًى والدفع بهم من عَرَفَة وان قُصَيًّا عزم على انتزاع ذلك من أيديهم والقيام به دونهم واستدعى لمظاهرته على ذلك اخاه رِزاحًا فوصله مع مَن ذُكِر وصولُه معه

فلما كان ذلك العام فعلتْ صُوفة كما كانت تفعل قد عرفتْ

ذلك لها العرب وهو دين فى أنفسهم فى عهد جُرهم وخُزاعة فأتاهم قصىّ بمن معه من قومه من قريش وكِنانة وقُضاعة عند العقبة فقال نحن أولى بهذا الأمر منكم فقاتلوه الناس قتالا شديدا ثم انهزمتْ صوفة وغلبهم قصىّ على ما كان بأيديهم من ذلك وانحارتْ عند ذلك خُزاعة وبنو بكر عن قصىّ وعرفوا انه سيمنعهم كما منع صوفة وانه سيَحُول بينهم وبين الكعبة وأمر مكّة فلما انحازوا عنه بَادَاهم وأجمع لِحربهم وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا واقتتلوا قتالا شديداً بالأبطح حتى كثرت القتلى فى الفريقَين جميعاً وفشت الجراح فيهم وأكثر ذلك فى خزاعة ثم انهم تداعوا الى الصلح وإلى ان يحكّموا بينهم رجلًا من العرب فحكّموا يعْمَرَ بن عوف بن كنانة فقضى بينهم بأنّ قُصَيًّا أولى بالكعبة وأمر مكّة من خزاعة وأن كل دم أصابه قصىّ من خزاعة وبنى بكر موضوعٌ يشدخه تحت قدميه وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مُوَدّاةٌ وأن يُخَلّى بين قصىّ وبين الكعبة ومكّة فسُمّى يَعْمَر بن عوف يومئذ الشَدّاخ لما شدخ من الدماء ووضع منها ويقال الشُدّاخ

أيضا فولى قصىّ البيت وأمر مكّة وجمع قومه من منازلهم الى مكّة وتملّك على قومه وأهل مكّة فملّكوه الا انه قد أقرّ للعرب ما كانوا عليه وذلك انه كان يراه ديناً فى نفسه لا ينبغى تغييرُه فأقرّ آل صفوان وعدْوان والنسأة ومُرّة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله ومرّة بن عوف هم اهل وقد تقدّم ذكرهم وأما النساة فهُم بنو فُقَيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مُضَر وهم الذين كانوا ينسؤون الشهور على العرب فى الجاهلية فيحلّون الشهر من أشهر الحرم ويحرّمون مكانه الشهر من أشهر الحلّ ويأخّرون ذلك الشهر ففيه أنزل الله سبحانه انما النسيئ زيادةٌ فى الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرّم الله زيّن لهم سوءُ أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين (١) وكان اول من نسأ الشهور منهم على العرب فأحلّت منها

---

(١) س ٩ آ ٣٧

ما أحلّ وحرّمت منها ما حرّم القَلَمّس وهو حُذَيفة بن عبد بن فُقَيم بن عدى وتوالت بنوه من بعده حتى كان أخرهم الذى قام عليه الاسلام أبو ثُمامة جُنادة بن عوف بن أميّة بن قلع بن عبّاد بن حذيفة وهو القلمّس قال الزبير وكان أبعدهم ذكراً وأطولهم أمرا يقال انه نسأ اربعين سنة وكانت العرب اذا فرغت من حجّها اجتمعت اليه فحرّم الأشهر الحرم الاربعة رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرّم فإذا أراد ان يحلّ منها شيئا أحلّ المحرّم فأحلّوه وحرّم مكانه صَفَراً فحرّموا ليواطى عدّة الأربعة الأشهر الحرم فإذا ارادوا الصدر قام فيهم فقال اللهمّ انى قد أحللت أحد الصفرين الصفر الاول ونسأتُ الاخر للعام المقبل وفى ذلك يقول عُمَير بن قيس جذْل الطِعان أحد بنى فراس بن غنْم بن مالك بن كنانة يفخر بالنسأة على العرب

لقد علمَتْ معدّ أنّ قومى * كرام الناس انّ لهم كراما

فأىّ الناس فاتونا بِوتْرٍ * وأىّ الناس لم نُعلِك لجاما

ألَسْنا الناسئين على معدّ * شهور الحلّ نَجْعَلُها حراما

فهذا كان شأن النسأة فى الجاهلية وأقرّه قصىّ على ما كان عليه مع

سائر ما ذكر اقراره العرب عليه حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله فكان قصيّ أوّل بني كعب بن لوى أصاب مُلكاً أطاع له به قومه فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكة كلّه وقطع مكة رباعاً بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها ويزعم الناس ان قريشاً هابوا قطع الشجر من الحرم في منازلهم فقطعها قصيّ بيده وأعوانه فسمّته قريش مجمِّعاً لما جمع من أمرها ونيمّنت بأمره فما تُنكح امراة ولا يزوّج رجل من قريش ولا يتشاورون في أمر نزل بهم ولا يعقدون لواءً لحرب قوم غيرهم الا في داره يعقده لهم بعض ولده ولا يعذر غلامٌ الا في داره ولا تُدرّع جارية من قريش الا في داره يُشَقّ عليها فيها دِرعُها اذا بلغت ذلك ثم تُدرّع ثم ينطلق بها الى أهلها ولا تخرج عيرٌ من قريش فيرحلون الا من داره ولا يقدمون الا نزلوا في داره فكان أمره في قريش في حياته ومن بعد موته كالدين المتّبع لا يُعمَل بغيره واتّخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها الى مسجد الكعبة ففيها كانت قريش تقضي امورها

ولما فرغ قصيّ من حرْبه انصرف اخوه رزاح الى بلاده بمن معه

من قومه فلما استقرّ فى بلاده نشره الله ونشر ولده فهما قبيلا عُـذْرة اليوم فهذا حديث قصىّ فى ولايـة البيت بعد حُلَيل بن حبْشيّـة وإخـراج خزاعة عنه وخزاعـةُ تزعم ان حُليلا أوصى بذلك قصيّا وأمره بـه حين انتشر لـه من ابْنتـه من الولد ما انتشر وقـال انت أولى بـالكعبـة وبالقيـام عليها وبـأمر مكّـة من خزاعـة فعنـد ذلك طلب قصىّ ما طلب

قال ابن اسحاق ولم نسمع ذلك من غيرهم فالله اعلم

وقد ذكر الواقدى الأمرَين على نحو ما ذكرهما ابن اسحـاق قال وقد سمعنا فى ذلك وجْهاً اخر وذكر ان ابا غُبْشان رجلا من خزاعـة كان ولى الكعبة فباع مجابتها من قصى بن كلاب بيعاً وذكر غيره انه باع منه مفتاح الكعبة بزقّ خمر فلذلك قيل اخسر صفْقةً من ابى غبشان

وذكر الواقدى ايضا بإسنـاد له ان رجلا من قُضاعـة يقال له ابو الشمـوس حدّث عمر بن الخطاب رضه وهو خليفـة حديث قصـى بن كلاب وكيـف استعـان بإخوتـه على خزاعـة فاستمـع له عمر وتعجّب لأوّل الحديـث وقـال ذكّرتَنـا أمـرًا كان دثر منّا والحمـد لله

ربّ العالمين ان الله عزوجل ليصنع لهذا الحى من قريش وهُم أولى الناس ان يتّقوا الله وتحسن سيرة مَن ولى منهم بصنع الله لهم جعل فيهم الامانة وقبل ذلك النبوءة

قالوا ولما كبر قصيّ ورقّ كان عبد الدار بكْره وكان عبد مناف قد شرف فى زمان أبيه وذهب كل مذهب وعبد العُزّى وعبدُ قال قصيّ لعبد الدار اما والله يا بُنيّ لأُلحقنّك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى انت تفتحها له ولا يعقد لقريش لواءً الا انت بيدك ولا يشرب رجل بمكّة الا من سقايتك ولا يأكل احد من اهل الحرم طعاما الا من طعامك ولا تقطع قريش أمرًا من أُمورها الا فى دارك فأعطاه دارَه دارَ الندوة التى لا تقضى قريش امراً من امورها الا فيها وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة وكانت الرفادة خرْجًا تُخرِجه قريش فى كل موسم من أموالها الى قصى بن كلاب فيصنع به طعامًا للحاجّ فيأكله مَن لم تكن له سعة ولا زاد وذلك ان قصيًّا فرضها على قريش فقال لهم يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل

الحرم وان الحجاج ضيف الله وزوّار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً ايام الحجّ حتى يصدروا عنكم ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجاً فيدفعونه اليه فيصنعه طعاماً للناس ايام مِنًى فجَرى ذلك من امره فى الجاهلية على قومه حتى قام الاسلام ثم جرى فى الاسلام الى يومك هذا فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمِنًى للناس حتى ينقضى الحجّ فمَضَى أمر قصىّ فى عبد الدار ابنه وجعل اليه كل ما كان بيده من امر قومه وكان قصى لا يخالَف ولا يردّ عليه شيء صنعه ثم ان قصى هلك فأقام أمره فى قومه بنوه من بعده فاختطّوا مكّة رباعاً بعد الذى كان قصىّ قطع لقومه بها فكانوا يُعطونها فى قومهم وفى غيرهم من حلفائهم ويبيعونها فأقامت قريش على ذلك معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ثم ان بنى عبد مناف بن قصى عبدَ شمس وهاشماً والمطّلب ونوفلاً أجمعوا ان ياخذوا ما بأيدى بنى عبد الدار مما كان قصىّ جعل الى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا انهم أولى بذلك منهم

لشرفهم عليهم وفضلهم فى قومهم فتفرّقتْ عند ذلك قريش فكانت
طايفةٌ مع بنى عبد مناف على رأيهم يرون انهم أحق به من
بنى عبد الدار لمكانهم فى قومهم وكانت طايفة مع بنى عبد الدار
يرون ان لا يُنزع منهم ما كان قصىّ جعل اليهم فكان صاحبُ امر
بنى عبد مناف عبدَ شمس بن عبد مناف وذلك انه كان أَسَنّهم
وكان صاحب امر بنى عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن
عبد الدار وكانت بنو اسد بن عبد العُزّى بن قصىّ وبنو مرّة بن
كلاب وبنو تَيم بن مرّة بن كعب وبنو الحارث بن فِهْر مع بنى عبد
مناف وكانت بنو مخزوم بن يَقَظَة بن مرّة وبنو سهْم بن عمرو بن
هُصَيص بن كعب وبنو جُمَح بن عمرو بن هصيص وبنو عدىّ بن
كعب مع بنى عبد الدار وخرجت عامر بن لؤى ومُحارب بن فهر
فلم يكونوا مع أحد من الفريقَين فعقَدَ كل قوم على أمرهم حِلْفاً موكّداً
على ان لا يتخاذلوا ولا يُسلِم بعضهم بعضاً ما بلّ بحرٌ صوفةً
فأخرج بنو عبد مناف جفنةً مملوءة طيباً فوضعوها لأحلافهم فى
المسجد عند الكعبة ثم غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا هم وحلفاؤهم

ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم فسمّوا المطيّبين وتعاقد
بنو عبد الدار هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفاً موكّداً على ان لا يتخاذلوا
ولا يسلم بعضهم بعضاً فسمّوا الأحلاف ثم سُونِدَ بين القبائل
ولُزَّ بعضها ببعض فعُبّيتْ زُهرَة لبنى جُمَح وعُبّيت تيم لبنى
مخزوم وعبّيت بنو الحارث بن فهر لبنى عدى ثم قالوا لِتُغْنِ
كل قبيلة مَن عُبّيت اليها فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا
للحرب اذ تداعوا الى الصلح على ان يُعطوا بنى عبد مناف السقاية
والرفادة وان تكون الحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار كما
كانت ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجز الناس
عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الله بالاسلام فقال
رسول الله صلعم ما كان من حِلْفٍ فى الجاهلية فانّ الاسلام لم يَزِدْه
الا شدّةً فهذا حلف المطيّبين وقد كان فى قريش حلف اخر
بعده وهو حلف الفضول تداعت اليه قبائل من قريش واجتمعوا
له فى دار عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد
ابن تميم بن مرة لشرفه وسنّه فتعاقدوا وتعاهدوا على ان لا

يجدوا بمكّة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى تُرَدّ عليه مَظلِمَتُه فسمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول

واختُلف في السبب الذي دعا قريشاً الى هذا الحلف ولِمَ سُمّي بهذا الاسم فأما ما دعاهم اليه فذكر الزبير وغيره ان رجلا من اهل اليمن من بني زيد قدم مكة معتمراً ومعه بضاعة له فاشتراها رجل من بني سهْم ويقال انه العاصي بن وائل فلَوَى الرجل بحقّه فسأله ماله فأبى عليه وسأله متاعه فأبى عليه فجاء الى بني سهْم يستعديهم عليه فاغلظوا له فعرف ان لا سبيلَ الى ماله فطوّف في قبائل قريش يستعين بهم فتخاذلت القبائل عنه فلما رأى ذلك قام على الحجْر ويقال بل أشرف على ابي قُبَيس حين اخذتْ قريش مجالسها ثم نادى بأعلا صوته

يآل فهْر لِمظلومٍ بضاعتَه * ببطْن مكّة نائي الدار والنفَر
وأشْعَثٍ محْرِمٍ لم يَقضِ حُرمتَه * بين الاله وبين الحِجْر والحَجَر
أقائمٌ من بني سهْم بذمّتهم * ام ذاهبٌ في ضلال مالُ مُعتمِر

فلما سمعت ذلك قريش أعظموه وتكلموا فيه فقال المطيّبون والله لئن قمنا فى هذا لَتَغْضَبَن الأحلاف وقال الأحلاف والله لئن تكلّمنا فى هذا ليغضبن المطيّبون فقال ناس من قريش تعالوا فَلْنَكُنْ حلفاء فضولاً دون المطيّبين ودون الأحلاف فلذلك قيل له حِلْف الفضول فاجتمعوا فى دار عبد الله بن جُدعان وصنع لهم طعاماً كثيراً وكان رسول الله صلعم يومئذ معهم قبل ان يُوحَى اليه فاجتمعت بنو هاشم وبنو المطّلب وزُهرة وأسد وتَيم فتحالفوا على ان لا يُظلم بمكّة قريبٌ ولا غريب ولا حرّ ولا عبد الا كانوا معه حتى ياخذوا له بحقه ويؤدّوا اليه مَظلِمَته من أنفسهم ومن غيرهم ثم عمدوا الى ماء من ماء زمزم فجعلوه فى جفنة ثم بعثوا به الى البيت فغُلسَتْ به أركانه ثم اتوا به فشربوه ثم انطلقوا الى الرجل الذى تعدّى على الرجل المستصرخ العاصى بن وائل او غيره فقالوا والله لانفارقك حتى تُودّى اليه حقّه فأعطى الرجل حقّه فمكثوا كذلك لا يُظلم احدٌ حقّه بمكّة الا اخذوه له

وقال رسول الله صلعم لقد شهدتُ فى دار عبد الله بن جدعان حلفاً

ما أحبّ ان لى به حُمْرَ النَعَم ولو أُدْعِى به فى الاسلام لأَجَبْتُ

وحكى الزبير ايضا انه انما سُمّى حلف الفضول لانهم تحالفوا على ان لايتركوا لأحد عند احد فضْلاً الا اخذوه وقيل انما سُمّى بذلك لانه لمّا تداعى له مَن ذُكر من قبائل قريش كره ذلك سائر المطيّبين والأحلاف بأسرهم وسمّوه حلف الفضول عيبًا له وقالوا هذا من فضول القوم

وقيل بل كان هذا الحلف على مثل حلف تقدّم اليه نفرٌ من جُرْهُم يقال لهم الفضل وفَضّال والفُضَيل فسُمّى لذلك هذا الأخير حلف الفضول وأى ما كان من ذلك فهى مأثرة لقريش من مآثرها الكرام وأثارها العظام نالتْهم فيه بركة حضور رسول الله صلعم فهو وان كان فعلاً جاهليًا دعتْهم السياسة اليه فقد صار بحضور رسول الله صلعم وما قاله بعد النبوة فيه واكرّه من أمره حُكْماً شرعياً وفعْلا نبويّا

وقد نشأ بين حسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما وبين الوليد بن عُقبة بن ابى سفيان زمن معاوية والوليد يومئذ امير المدينة من قبله منازعةٌ فى مال كان بينهما بذى المروة وكان

الوليد تحامل على حسين فى حقه لسلطانه فقال له حسين أحلِفُ
بالله لَتُنْصِفَنّى من حقى او لآخُذَنَّ سيفى ثم لأقومَنَّ فى مسجد رسول
الله صلعم ثم لأدْعُوَنَّ بحلف الفضول فقال عبد الله بن الزبير وهو
عند الوليد وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخُذَنَّ سيفى ثم لأقومَنَّ معه
حتى يُنصَف من حقه او نموتَ جميعاً وبلغت المِسوَرَ بن مَخْرمة
الزهرى فقال مثل ذلك وبلغتْ عبدَ الرحمن بن عثمان بن عبيد الله
التيمى فقال مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليدَ أنصف الحسينَ من
حقه حتى رضى ولم تكن بنو عبد شمس دخلتْ فى هذا الحلف
وقد سأل عبد الملك بن مروان عن ذلك محمد بن جُبَير بن مُطْعم
اذ قدم عليه حين قُتِل ابن الزبير واجتمع الناس على عبد الملك
بن مروان وكان محمد بن جبير أعلم قريش كلّما دخل عليه قال يا ابا
سعيد ألم نكن نحن وأنتم يعنى بنى عبد شمس وبنى نوفل أبنَى
عبد مناف فى حلف الفضول قال انت أعلم قال عبد الملك لتُخْبِرَنّى
يا ابا سعيد بالحق من ذلك فقال لا والله لقد خرجنا منه نحن وأنتم
قال صدقتَ فكان عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول لو ان رجلاً

وحده خرج من قومه كخرجتُ من بنى عبد شمس حتى أدخل فى حلف الفضول وكانت لقريش أحلام عظام كانوا منها فى جاهليتهم على مثل السلطان الضابط عناية ً من الله بهم ومنّاً منه سبحانه عليهم هم سُكّان الحرم وأهل الله وحُجّاب بيته وأهل السقاية والرفادة والرياسة واللواء والندوة ومكارم مكّة وكانوا على إرثٍ من دين ابراهيم واسماعيل صلى الله عليهما من قرى الضيف ورفْد الحاجّ وتعظيم الحرم ومنْعه من البغى فيه والإلحاد وقمْع الظالم ومنع المظلوم الا انه دخلتْ على اوّلهم أحداثُ غيّرت أصول الحنيفيّة عندهم وطال الزمان حتى أفضى ذلك بهم الى جَهَلات بِشعائر الدين وضلّالات عن سنن التوحيد تدارك الله ذلك كله بِنبيّه محمد صلعم فهَدَى من الضلالة وعلّم من الجهالة فيقال انه كان اول من غيّر الحنيفيّة دين ابراهيم عم ونصب الأوثان حول الكعبة ودعا الى عبادتها عمرو بن لُحَىّ بن قمْعة بن الياس بن مضر

روى ابو هُرَيرة انه سمع رسول الله صلعم يقول لأكْثم بن الجون الخزاعى يا أكثم رأيتُ عمرو بن لحىّ بن قمعة بن خندف يجرّ

قُصْبَه في النار فما رأيتُ رجلًا أشبهَ برجل منك به ولا بك منه فقال أكثمُ عسى ان يضُرَّني شَبَهُه يا نبيّ الله قال لا لأنك مؤمن وهو كافر انه كان أول من غيّر دين اسماعيل فنصب الأوثان وبحّر البحيرة وسيّب السائبه ووصّل الوصيلة وحَمَى الحامي فالبحيرة عند العرب الناقة تشق أذنها ولا يُركب ظهرها ولا يُجَزّ وَبَرُها ولا يشرب لبنهَا الا ضيفٌ او يتصدّق به وتُهمَل لآلِهَتهم والسائبة الناقة التى ينذر الرجل ان برئ من مرضه او أصاب امراً يطلبه ان يسيبها ترعى لاينتفع بها والوصيلة التى تلد أمّها اثنين فى كل بطن فيجعل صاحبها لِآلهته الإناثَ منها ولنفسه الذكور فتلدها أمّها ومعها ذَكَرٌ فى بطن فيقولون وصلت اخاها فيسيب اخوها معها فلا يُنتفَع به والحامى الفحل اذا نُتِج له عشر اناث متتابعات ليس بينهن ذكرٌ حمى ظهره فلم يُركَب ولم يُجَزّ وَبَرُه وخُلّى فى إبله يَضرب فيها لا يُنتَفَع منه بغير ذلك

فلما بعث الله رسوله محمداً صلعم أنزل عليه ما جعل الله من بحيرة

ولا سائبة ولا وصيلة ولا حامٍ ولاكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون

وذكر بعض اهل العلم ان عمرو بن لحىّ خرج من مكة الى الشام فى بعض اموره فلما قدم مآب من ارض البَلقاء و بها يومئذ العماليق وهم من ولد عِملاق ويقال عِمليق بن لاوذ بن سام بن نوح رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأصنام التى أراكُم تعبدون قالوا هذه أصنام نعبدها ونستمطرها فتُمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم أفلا تُعطونني منها صنماً فأسير به الى ارض العرب فيعبدونه فأعطوه صنماً قال له هُبَل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه

قال ابن اسحاق ويزعمون ان أول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى اسماعيل انه لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح فى البلاد الا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوّافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم الى ان كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره

فعبدوا الأوثان وصاروا الى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالة وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم يتمسّكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعُمرة والوقوف على عَرَفَة والمُزدَلِفة وهدى البُدْن والاهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه فكانت كِنانة وقريش اذا أهلّوا قالوا لبّيك اللهمّ لبيك لبيك لاشريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك فيوحّدونه بالتلبية ثم يُدخلون معه أصنامَهم ويجعلون ملكها بيده يقول الله تبارك وتعالى لنبيّه محمد صلعم وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهُم مُشرِكون (١) اى ما يوحّدونني بِمعرفة حقّى الا جعلوا معى شريكاً من خلقى وقد كانت لقوم نوح أصنامٌ عكفوا عليها قَصَّ الله تبارك وتعالى خبرها على رسوله صلعم فقال وقالوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكم ولا تذرنّ وَدًّا ولا سُواعاً ولا يَغوث ويعوق ونسْراً وقد أضلّوا كثيراً (٢)

---

(١) س ١٢ آ ١٠٦ .

(٢) س ٧١ آ ٢٣-٢٤

وذكر الواقدى بإسناد له عن ابى هُريرة ان اول ما عبدتْ الأصنام فى زمن نوح عم وانّ ودًّا وسواعاً ويغوث ويعوق ونسْراً كانوا رجالا صالحين من قوم نوح اهل عبادة وفضل فماتوا فوجد عليهم أهلوهم وتوحّش الناس لفقْدهم فقال لهم رجل منهم ألا أصوّرهم لكم صوراً من خشب فتنظرون اليهم وتسكنون الى رويتهم قالوا بلى إن قدرتَ قال انا أقدر على تصويرهم ولا أقدر على ان أنفخ الروح فيهم فجاء بالصور كهيئتهم أحياء فأخذ اهل كل بيت صورة صاحبهم فوضعوها فى منزلهم ينظرون اليها فأذهب ذلك بعض حزْنهم فكانوا على ذلك ما شاء الله حتى هلك ذلك القرن ثم خلف قرن اخر ثم ثالثٌ بعده فكانوا على ما كان عليه القرن الاول حتى هلكوا ثم خلف القرن الرابع فقالوا لو أنّا عبدْنا هولاء لَقرّبونا الى الله وشفعوا لنا عنده ولا يزيدوننا الا خيراً انما نريد ما يقرّبنا منه فعبدوها حتى هلكوا وعبدها من بعدهم فلما غرقت الأرض زمن نوح عم غرقتْ تلك الأصنام فمكثتْ ما شاء الله ان تمكث ثم استخرجها عمرو بن لُحَىّ ففرّقها فى القبائل فالله تعالى اعلم

وقد خرّج البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضه موقوفاً عليه في التفسير نحو ما ذكره الواقدي مختصراً ان ودّاً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسْراً أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان أنصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسمّوها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولائك ونسخ العلم عُبدت

قال ابن اسحاق واتّخذ اهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسّح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجّه الى سفره وإذا قدم من سفره تمسّح به فكان اول ما يبدأ به قبل ان يدخل على اهله فلما بعث الله رسوله محمداً صلعم بالتوحيد قالت قريش أجَعَلَ الآلهةَ إلهاً واحداً إنّ هذا لَشيءٌ عُجابٌ وكانت العرب قد اتّخذتْ مع الكعبة طوغيت وهي بيوت تعظّمها كتعظيم الكعبة لها سدنةٌ وحُجّابٌ وتُهدى لها كما تهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتَنحَر عندها وهي تَعرف فضْلَ الكعبة عليها لانّها قد عرفت انها بيتُ ابراهيم عم ومسجده

وسيمرّ فى تضاعيف هذا الكتاب بعض اخبار هذه الطواغيت وكيف
جعل الله عاقبة امرها خسْراً فأزْهَق الحقّ باطلَها وعفا الاسلام أثارها
وأكمل الله تعالى دينه وتمّم نوره ونعمته ونصر دين الهدى والحق
فأظهره على الدين كله ومع اصفاق العرب مُضَرِها ويمنها على هذا
الضلال فقد كان وقع الى بعضهم باليمن دين اليهودية فدانوا به
ووقع ايضا دين النصرانية بنجْران من ارض العرب على ما نذكره
فأما موقع اليهودية باليمن فمن جهة تُبّع الاخر وهو تِبان أسعد ابو
كرب بن كُلِيكَرِب بن زيد وهو تبّع الاول ابن عمرو ذى الأذعار
ابن أبرهة ذى المنار وتبان أسعد هو الذى قدم المدينة
وساق الحَبْرَين من يهود الى اليمن وعمّر البيت الحرام وكساه وكان
قد جعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة وكان قد مرّ بها
فى بدأته فلم يَهِجْ أهلها وخلّف بين أظهرهم ابناً له فقُتِل غيلةً
فقدمها وهو مُجمِع لإخرابها واستيصال أهلها وقَطْع نخلها فجمع له
هذا الحىّ من الأنصار ورئيسهم عمرو بن طلّة أخو بنى النجّار وقد
كان رجل من بنى عدىّ بن النجار يقال له أحمر عدا على رجل من

اصحاب تبع حين نزل بهم فقتله وذلك انه وجده فى عذق له يجدّه فضربه بمنجله فقتله فزعم الأنصار انهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم ويقول والله انّ قومنا لَكِرامٌ فبينا تبّع على ذلك من حربهم اذ جاءه حبْران من أحبار اليهود من بنى قُرَيظة عالمان راسخان حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها فقالا له ايها الملك لا تفعل فانّك ان أبَيتَ الا ما تريد حِيل بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجِلَ العقوبة فقال لهما ولِمَ ذلك قالا هى مهاجر نبىٍّ يخرج من هذا الحرم من قريش فى أخر الزمان تكون دارَه وقرارَه فتناهى ورأى ان لهما علماً وأعجبه ما سمع منهما فانصرف عن المدينة واتّبعهما على دينهما وهذا الحىّ من الأنصار يزعمون انه انما كان حَنَقُ تبّع على هذا الحىّ من يهود الذين كانوا بين أظهرهم وانما أراد هلاكهم فمنعوهم منه ثم انصرف عنهم ولذلك قال فى شعره

حَنَقاً على سِبْطَين حَلاّ يَثرِباً ❊ أولى لهم بعقاب يومٍ مُفسِدِ

وذكر ابن هشام ان الشعر الذى فيه هذا البيت مصنوع وكان تبّع وقومه

أصحاب أوثان يعبدونها فتوجّه الى مكة وهى طريقه الى اليمن حتى
اذا كان بين عُسْفان وأَمَج أتاه نفرٌ من هُذَيل بن مُدركة فقالوا له
ايها الملك ألا ندلّك على بيت مالٍ داثرٍ غفلته الملوك
قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة قال بلى قالوا
بيتٌ بمكّة يعبده أهله ويصلّون عنده وانما أراد الهُذَيليّون هلاكه
بذلك لما عرفوا من هلاك مَن أراده من الملوك وبغى عنده
فلما أجمع لما قالوا أرسل الى الحَبْرَين فسألهما عن ذلك فقالا
له ما أراد القوم الا هلاكك وهلاك جندك ما نعلم بيتاً لله اتّخذه
فى الارض لنفسه غيره ولئن فعلتَ ما دَعَوك اليه لَتَهْلِكَنّ ولَتَهْلِكَنّ
جميعاً قال فما ذا تأمرانى ان أصنع اذا قدمتُ عليه قالا تصنع عنده
ما يصنع أهله تطوف به وتعظّمه وتكرّمه وتحلق راسك عنده وتذلّل
له حتى تخرج من عنده قال فما يمنعكما انتما من ذلك قالا اما
والله انه لَبَيتُ أبينا ابراهيم وانه لَكَما أخبرناك ولكن أهله حالوا
بيننا وبينه بالأوثان التى نصبوها حوله وبالدماء التى يُهرِقون
عنده وهم نجسٌ أهل شرك او كما قالا له فعرف نُصْحهما وصدق

حديثهما فقرّب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى

حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق راسه وأقام بمكّة

ستة أيام فيما يذكرون ينحر بها للناس ويُطعِم أهلها ويسقيهم العسل

ورأى في المنام ان يكسو البيت فكساه الخَصَف ثم أُرِىَ ان

يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافر ثم أرى ان يكسوه أحسن من

ذلك فكساه المُلاء والوصائل فكان تُبّع فيما يزعمون أول من

كسا البيت وأوصى به ولاته من جُرهُم وأمرهم بتطهيره وألّا يقرّبوه

دماً ولا ميتةً ولا ميلاثاً وهي المحائض وجعل له باباً ومفتاحاً ثم

خرج موجّهاً الى اليمن بمن معه من جنوده وبالحَبْرَين حتى اذا

دخل اليمن دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه فأبوا عليه حتى

يحاكموه الى النار التي كانت باليمن ويقال انه لما دنا من اليمن

ليدخلها حالت حميرُ بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وقد

فارقتَ ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه خيرٌ من دينكم قالوا

فحاكمنا الى النار قال نعم وكانت باليمن فيما يزعمون أهل اليمن

نارٌ تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم

فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به فى دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلّديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه فخرجت النار اليهم فلما أقبلتْ نحوهم حادوا عنها وهابوها فذَمَرَهم من حضر من الناس وأمروهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيتْهم فأكلت الأوثانَ وما قرّبوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما تعرق جباهُهما لم تضرّهما فأصفقتْ عند ذلك حميرُ على دينه فمن هنالك ومن ذلك كان أصل اليهودية باليمن

قال ابن اسحاق وقد حدثنى محدّث ان الحبرين ومن خرج من حمير انما اتّبعوا النار ليردّوها وقالوا من ردّها فهو أولى بالحق فدنَا منها رجالُ حمير بأوثانهم ليردّوها فدنتْ منهم لتأكلهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردّها ودنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يَتْلُوَانِ التوراة وتنكص حتى ردّاها الى مخرجها الذى خرجتْ منه فأصفقت عند ذلك حميرُ على دينهما فالله أعلم اى ذلك كان وكان رئامٌ بيتاً لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلّمون منه اذ كانوا على شركهم فقال

الحبران لتُبّع انما هو شيطان يَفتِنُهم فخَلِّ بيننا وبينه قال فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلباً أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت

قال ابن اسحاق فبقاياه اليوم كما ذُكر لى بها أثار الدماء التى كانت تُهْراق عليه

وتُبّع هذا هو احد الملوك الذين وطئوا البلاد ودوّخوا الأرض ودانت لهم الممالك ويقال انه المسمّى فى قول الله تعالى أَهُمْ خيرٌ أم قومُ تُبّع والذين من قبلهم أهلكناهم (١) وذلك لانه لما أمن فى آخر عمره ووحّد خالفته حمير وتفرّقوا عنه فانتقم الله منهم

وحكى الحسن بن احمد الهمذانى انه اوّل ملك بشر برسول الله صلعم وأمن به وهو الذى رتّب الملوك وأنبأ الملوك من قومه فى قبائل العرب والعجم ومدائنها وأمصارها وكان لكلّ قبيلة من العرب ولكلّ حىّ من العجم ملك من قومه إمّا حميرىّ وإمّا كهلانىّ

---

(١) س ٤٤ آ ٣٦ .

يسمع له ويطاع ويُذكَر انه جمع الملوك وأبناء الملوك والأقاول وأبناء الأقاول من قومه وقال لهم ايها الناس انّ الدهر نفد أكثره ولم يبق الا أقلّه وان الكثير اذا قلّ الى النقصان احرى منه الى الزيادة سارعوا الى المكارم فانها تقرّبكم الى الفلاح واعملوا على أنه من سلم من يومه لا يسلم من غده ومن سلم من الغد لا يسلم مما بعده وانكم لتؤبون مآب الآباء والأجداد وتصيرون الى ما صاروا اليه والموت كل يوم أقرب الى المرء من حبرته منه ولكلّ زمان أهلٌ ولكل دائرة سببٌ وسبب عطلان هذه الفترة التى مَن عَزّ فيها بَزّ مَن هو دونه ظهور نبيّ يعزّ الله به دينه ويخصّه بالكتاب المبين على ياسٍ من المرسلين رحمةً للمومنين وحجّة على الكافرين فليكن ذلك عندكم وعند أبنائكم بعدكم وأبناء أبنائكم قرْناً فقرْناً وجيلاً فجيلاً ليتوقعوا ظهوره وليؤمنوا به وليجتهدوا فى نصره على كافّة الأحياء حتى يفئ الناس له الى أمره وأنشد له

شهدتُ على أحمدٍ انه * رسولٌ من الله بارى النسمْ

فلو مدّ دهْرى الى دهره * لَكُنْتُ وزيراً له وابن عمّ

وألزمتُ طاعته كل مَن * على الارض من عرب أو عجم

ولاكن قولى له دائماً * سلام على احمد فى الأمم

فى ابيات ذكرها وأشعار غير هذه أثبتها فى إكليله كثيرا منها قال وذكروا ان الملوك وأبناء الملوك من حِمير وكهلان لم تزل تتوقّع ظهور النبى صلعم وتبشر به وتوصِى بالطاعة له والايمان به والجهاد معه والقيام بنصره منذ ذلك العصر الى ان ظهر رسول الله صلعم فكانوا بذلك حين بُعِث من أحرص الناس على نصره وطاعته فمنهم مَن سمع له وأطاع وأمن به قبل ان يراه ومنهم من وصل اليه كتابه فسمع وأطاع وأمن وصدّق ومنهم من أواه ونصره وأيّده وجاهد فى سبيل الله دونه نطق بذلك الكتاب المبين فى قوله تعالى والذين تبوّؤا الدارَ والايمانَ من قبلهم يحبّون مَن هاجر اليهم ولا يجيدون فى صدورهم حاجةً مما أُوتوا ويُؤثِرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (١) وقوله تبارك وتعالى يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف

---

(١) س ٥٩ آ ٩ .

يأتى الله بقومٍ يحبّهم ويحبّونه أَذِلَّةٍ على المومنين أَعِزَّةٍ على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومةَ لائمٍ (١) الى اخر الآية

قال الهمدانى عن ابى الحسن الخزاعى يقال انهم همْدان ثم أشار الى ذكر سيف بن ذى يزن للنبى صلعم وما ألقاه من أمره الى جدّه عبد المطلب عند وفادته عليه قال وذكروا انه لم يكن لسيف بن ذى يزن ذلك العلم فى قصة النبى صلعم الا من جهة تُبّع وما تناهى اليه مما كان ألقاه اليهم وعرّفهم به من خبر النبى صلعم وسَنذكر خبر سيف هذا فى موضعه ان شاء الله تعالى

وأما موقع النصرانية بأرض العرب فقد كان بنَجْران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم على الإنجيل أهلُ فضل واستقامة من اهل دينهم لهم راسٌ يقال له عبد الله بن الثامر وكان موقع أصل ذلك الدين بنجْران وهى بأوسط أرض العرب فى ذلك الزمان وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها وذلك ان رجلاً من بقايا أهل

---

(١) س ٥ آ ٥٩

ذلك الدين يقال له فيميون وقع بين أظهرهم فحملهم عليه فدانوا
به فحدّث وهب بن منبّه ان فيميون كان رجلا صالحاً مجتهداً
زاهداً فى الدنيا مُجاب الدعوة وكان سائحاً ينزل القرى لا يُعرَف
فى قرية الا خرج منها الى قرية لا يُعرَف بها وكان لا يأكل الا من
كسْب يدَيه وكان بنّاءً يعمل الطين وكان يعظّم الأحد فإذا كان يوم
الأحد لم يعمل فيه شيئاً وخرج الى فلاة من الأرض فصلّى فيها
حتى يمسى قال وكان فى قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك
مستخفياً ففطن لشانه رجلٌ من أهلها يقال له صالح فأحبّه صالح
حبّاً لم يحبّه شيئاً كان قبله فكان يتبعه حيث ذهب ولا يفطن له
فيميون حتى خرج مرّة فى يوم الأحد الى فلاة من الأرض كما كان يصنع
وقد تبعه صالح وفيميون لا يدرى فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً
منه لا يحبّ ان يعلم بمكانه وقام فيميون يصلّى فبينا هو يصلّى اذ أقبل
نحوه التنّين الحيّة ذات الرؤس السبعة فلما رأها فيميون دعا عليها فماتتْ
ورآها صالح ولم يدْر ما أصابها فخافها عليه فصرخ يا فيميون التنّين
قد أقبل نحوك فلم يلتفت اليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها

وامسى فانصرف وعرف انه قد عُرِف وعرف صالحُ انه قد رأى مكانه فقال له يا فيميون تعلم والله انى ما أحببتُ شيئاً قطّ حبّك وقد أردتُ صحبتك والكينونة معك حيث كنتَ قال ما شئتَ أمرى كما ترى فانْ علمتَ انك تَقوَى عليه فنعَمْ فلزِمَه صالح وقد كاد أهل القرية يفطنون لشانه وكان اذا فاءَ جاءَه العبدُ به الضُرُّ دعا له فشُفِىَ فإذا دُعِىَ به الى أحد به ضرٌّ لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فسأل عن شان فيميون فقيل له انه لا ياتى أحداً دعاه ولكنه رجل يعمل للناس من البنيان بالأجر فعمد الرجل الى ابنه ذلك فوضعه فى حجرته وألقى عليه ثوباً ثم جاءه فقال له يا فيميون انى قد أردتُ ان أعمل فى بيتى عملاً فانطلقْ معى حتى تنظر اليه فأسارطك عليه فانطلق معه حتى دخل حجرته ثم قال له ما تريد ان تعمل من بيتك هذا قال كذا وكذا ثم انتشط الثوب عن الصبىّ وقال يا فيميون عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادعُ الله له فدعا له فيميون فقام الصبى ليس له باس وعرف فيميون انه قد عُرِف فخرج من القرية واتبعه صالح فبينا هو يمشى فى بعض الشام اذ مرّ بشجرة عظيمة فناداه منها

رجلٌ فقال يا فيميون ما زِلتُ أنتظرك وأقول متى هو جاءٍ حتى سمعتُ صوتك فعرفتُ انك هو ولا تَبرَح حتى تقوم عليّ فانى ميّت الآن قال فمات وقام عليه حتى واراه ثم انصرف ومعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب فاختطفَتْهما سيّارةٌ من بعض العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجْران وأهل نجْران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلةً طويلة بين أظهرهم لها عيدٌ فى كل سنة اذا كان ذلك العيد علّقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحُلِيّ النساء ثم خرجوا اليها فعكفوا عليها يوماً فابتاع فيميونَ رجلٌ من أشرافهم وابتاع صالحاً اخرُ فكان فيميونُ اذا قام من الليل يصلّى فى بيت أسكنه اياه سيّدُه استسرج له البيتُ نوراً حتى يُصبح من غير مصباح فرأى ذلك سيّدُه فأعجبه ما يرى منه فسأله عن دينه فأخبره به وقال له فيميون انما انتم فى باطل انّ هذه النخلة لا تضرّ ولا تنفع ولو دعوتُ عليها الاهى الذى أعبد أهْلَكَها وهو الله وحده لا شريك له فقال له سيّده فافعلْ فانك ان فعلتَ دخلنا فى دينك وتركنا ما نحن عليه فقام فيميون فتطهّر وصلّى ركعتين ثم دعا الله عليها فأرسل الله عليها ريحاً فجعفتْها من أصلها

فألقتها فأتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم ثم دخلت عليهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كانت النصرانية بنجران فيما ذكر وهب بن منبه فى حديثه هذا واما محمد بن كعب القُرظى وبعض أهل نجران فذكروا ان أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان وكان فى قرية من قراها ساحر يعلّم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيميون ولم يسمّه محمد بن كعب ولا شركاءه فى الحديث قالوا رجلٌ نزلها ابتنى خيمةً بين نجران وبين تلك الخيمة التى بها الساحرُ فجعل أهل نجران يُرسلون غلمانهم الى ذلك الساحر يعلّمهم السحر فبعث اليه الثامر ابنه عبد الله مع غلمان أهل نجران فكان اذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلاته وعبادته فجعل يجلس اليه ويستمع منه حتى أسلم فوحّد اللهَ وعَبَدَه وجعل يسأله عن شرائع الاسلام حتى اذا فَقِهَ فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم وكان يعلمه فكتمه اياه وقال له يا ابن أخى انك لن تحمله أَخشَى ضعْفك عنه والثامر ابو عبد الله بن الثامر لا يظنّ الا ان ابنه يختلف

الى الساحر كما تختلف الغلمان فلما رأى عبد الله ان صاحبه قد ضن به عنه وتخوّف ضعفه فيه عمد الى قداح فجمعها ثم لم يُبْق لله اسماً يعلمه الا كتبه فى قدح لكل اسم قدحٌ حتى اذا أحصاها أوقد لها ناراً ثم جعل يقذفها فيها قدحاً قدحاً حتى اذا مرّ بذلك الاسم الأعظم قذف فيها بقدحه فوثب القدحُ حتى خرج منها لم تضرّه شيئًا فأخذه ثم أتى صاحبه فأخبره انه قد علم الاسم الذى كتمه فقال وما هو كذا وكذا قال وكيف علمته فأخبره بما صنع قال يابن أخى قد أصبته فأمسك على نفسك وما أظن ان تفعل فجعل عبد الله بن الثامر اذا دخل نجران لم يَلْقَ أحداً به ضُرٌّ الا قال له يا عبد الله أتوحّد الله وتدخل فى دينى فأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء فيقول نعم فيوحّد الله ويُسلم ويدعو له فيُشفَى حتى لم يبق بنجران أحد به ضرّ الا أتاه فاتّبعه على أمره ودعا له فعُوفِىَ حتى رُفع شانه الى ملك نجران فدعاه فقال أفسدتَ علىّ قريتى وخالفتَ دينى ودين آبائى لأُمَثِّلَنّ بك فقال لا تقدر على ذلك فجعل يرسل به الى الجبل الطويل فيُطرَح على رأسه فيَقع الى الارض وليس به باس وجعل يبعث به الى

مياه بنجران بحور لا يقع أحد فيها الا هلك فيلقى فيها فيجد ليس به باس فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر انك والله لا تقدر على قتلي حتى توحّد الله فتؤمن بما آمنتُ به فانك إن فعلت سلّطك الله عليّ فتقتلني فوحّد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ثم ضربه بعَصًى في يده فشجّه شجّةً غير كبيرة فقتله وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر وكان على ما جاء به عيسى من الإنجيل وحُكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران

قال ابن اسحاق فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض اهل نجران عن عبد الله بن الثامر فالله اعلم اى ذلك كان وحديث عبد الله بن الثامر هذا قد ورد في الصحيح مرفوعاً الى النبي صلعم من طرق ثابتة خرجه مسلم بن الحجّاج من حديث صُهَيب وبينه وبين حديث ابن اسحاق اختلاف وفيه مع ذلك زوائد تحسن لأجلها اعادةُ الحديث

فروَى عبد الرحمن بن ابى ليلى عن صهيب ان رسول الله صلعم

قال كان ملك فيمن كان قبلهم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك
انى قد كبرتُ فابعثْ الىّ غلاماً أعلمه السحر فبعث اليه غلاماً
يعلّمه فكان فى طريقه اذا سلك راهبٌ فقعد اليه وسمع كلامه
فأعجبه فكان اذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد اليه فإذا أتى
الساحر ضربه فشكا ذلك الى الراهب فقال اذا خشيتَ الساحر
فقُلْ حبسنى أهلى وإذا خشيتَ أهلك فقل حبسنى الساحر
فبينما هو كذلك اذ أتى على دابّة عظيمة قد حبست الناس فقال
اليوم أعْلَمُ الساحرُ أفضلُ ام الراهب أفضل فأخذ حجراً فقال اللهم
ان كان امر الراهب أحبّ اليك من امر الساحر فاقتلْ هذه الدابّة
حتى يمضى الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره
فقال له الراهب اى بُنَىّ انت اليوم أفضل منّى قد بلغ من أمرك
ما أرى وانك ستُبتلى فإذا ابتُليتَ فلا تدلّ علىّ وكان الغلام
يبرئ الأكمه والأبرص ويداوى الناس وكذا سائر الأدواء فسمع
جليسٌ للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك
أجمع ان انت شفيتَنى قال انى لا أشفى احداً انما يشفى الله فإن

أمنتَ بالله دعوتُ الله فشفاك فأمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك مَن ردّ عليك بصرك قال ربّى قال ولك ربّ غيرى قال ربّى وربّك فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اى بنىّ قد بلغ من سحْرك ما يبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال الغلام انى لا أشفى أحداً انما يشفى الله فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجعْ عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوُضِع فى مفرق راسه فشقّه حتى وقع شقّاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجعْ عن دينك فأبى فوُضع المنشار فى مفرق راسه فشقّه به حتى وقع شقّاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجعْ عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذُروته فإن رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئتَ فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال للملك انك لستَ

بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد
واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في
كبد القوس ثم قل بسم الله ربّ الغلام ثم ارمني فانك اذا فعلت
ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ
سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب
الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع
السهم فمات فقال الناس أمنّا بربّ الغلام أمنا برب الغلام فأتى الملك
فقيل له أرأيتَ ما كنتَ تحذر قد والله نزل بك حذرك قد أمن
الناس فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدّت وأضرم النيران وقال
من لم يرجع عن دينه يعني فاقحموه فيها او قيل له اقتحم ففعلوا
حتى جاءت امراة ومعها صبيّ لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها
الغلام يا امّاه اصبري فانك على الحق فهذا حديث مسلم عن
عبد الله بن الثامر وأهل نجران وإن وقعت الأسماء فيه مبهمة فقد
فسّرها العلماء بما ورد من ذلك مبيناً في حديث ابن اسحاق
وغيره وجعلوا ذلك كله حديثاً واحداً

وذكر ابن اسحاق انه لما كان من اجتماع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ما تقدّم الحديث به سار اليهم ذو نواس بجنوده فدعاهم الى اليهودية وخيّرهم بينها و بين القتل فاختاروا القتل فخدّ لهم الأخدود فحرّق بالنار وقتل بالسيف ومثّل بهم حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً ففى ذى نواس وجنوده ذلك أنزل الله على نبيه محمد صلعم قُتِل أَصحابُ الأُخدود ألنارِ ذاتِ الوقود إذ هُم عليها قعودٌ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهودٌ وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد (١) الى آخر الآية والأخدود هنا هو الحفر المستطيل فى الأرض كالخندق والجدول ويقال أيضاً لأثر السيف والسوط والسكين ونحوه فى الجلد أخدد قال ابن اسحاق ويقال كان فى مَن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر رأسهم وإمامهم

وحدث عن عبد الله بن الثامر انه حُدّث ان رجلاً من اهل نجران

---

(١) س ٨٥ آ ٨-٤

حفر خَربةً من خرِب نجران فى زمان عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعداً واضعاً يده على ضربة فى راسه مُمسكاً عليها بيده فإذا أُخِرت يدُه عنها تشعَّبت دماً وإذا أُرسِلت يدُه ردّها عليها فأمسك دمها فى يده خاتمٌ مكتوبٌ فيه ربّى الله فكُتب فيه الى عمر فكتب اليهم أن أَقِرّوه على حاله وردّوا عليه الدفن الذى كان عليه ففعلوا

وذو نواس هذا هو زرْعة بن تبّان اسعد ابى كرِب وهو تُبّع الآخر وقد تقدّم خبره وابنه زرعة ذو نواس هذا كان من صغار بنيه وصار اليه مُلك اليمن وأمر حمير بعد ابيه بزمان وذلك انه ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ربيعة بن نصر بن ابى حارثة بن عمرو بن عامر وكان من سادات اليمن وأهل الشرف منها وهو صاحب الرؤيا التى يعرف من تاويلها استيلاء الحبشة على اليمن والبشارة بظهور النبى صلعم وذلك انه رأى رويا هالتْه وفُظِع بها فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً ولا منجّماً من اهل مملكته الا جمعه اليه فقال لهم انى قد رأيتُ روياً هالتْنى وفُظِعتُ بها فاخبرونى

بها وبتاويلها قالوا اقصُصْها علينا نُخبِرْكَ بتاويلها قال انى إن أخبرتكم بها لم اطمانّ الى خبركم عن تاويلها انه لا يعرف تاويلها الا مَن عرفها قبل ان أُخبِره بها فقال له رجل منهم فإن كان الملك يريد هذا فليبعثْ الى سطيح وشِقّ فانه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبِرانه بما سأل عنه فبعث اليهما فقدم عليه سطيح قبل شقّ فقال انى رأيتُ رؤياً هالتْنى وفَظِعتُ بها فاخبِرْنى بها فانك إن أصبتَها أصبتَ تاويلها فقال أفعلُ رأيتَ حُمَمَهْ، خرجتْ من ظُلُمَهْ، فوقعتْ بأرض تِهَمَهْ، فأكلتْ منها كل ذات جُمجُمَهْ، فقال له الملك ما اخطأتَ منها شيئاً يا سطيح فما عندك فى تاويلها فقال أحلِفُ بما بين الحرّتين من حَنَشْ، لتَهبِطنّ أرضكم الحَبَشْ، فلَتملكنّ ما بين أبيَنَ الى جُرَشْ، فقال الملك وأبيك يا سطيح ان هذا لنا لغائظٌ مُوجِع فمَتَى هو كائن أفى زمانى ام بعده قال بل بعده بحينْ، أكثر من ستين او سبعين، يمضين من السنين، قال أفيدوم ذلك من مُلكهم ام ينقطع قال بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يُقتلون ويُخرجون منها هاربين، قال ومَن يلى ذلك من قتلهم

وإخراجهم قال يليه أرِمُ ذى يزن ، يخرج عليهم من عَدَن ، فلا يترك منهم احداً باليمن ، قال أفيدوم ذلك من سلطانه ام ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبىّ زكىّ ياتيه الوحىُ من قبل العلىّ قال وممن هذا النبى قال رجل من ولد غالب بن فهر بن ملك بن النظر يكون الملك فى قومه الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يُجمَع فيه الأولون والأخرون ، يسعد فيه المُحسِنون ، يشقى فيه المُسيئون ، قال أحقٌّ ما تُخبِرنى قال نعم والشفق والغسق والفلق ، اذا اتّسق ، انّ ما انبأتك به لحق ، ثم قدم عليه شِق فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر أيَتّفقان ام يختلفان فقال نعم رايتُ حُمَمَة ، خرجتْ من ظُلُمَة ، فوقعتْ بين روضة وأكمة ، فأكلتْ منها كل ذات نسمة ، فلما قال له ذلك عرف ان قد اتّفقا وان قولهما واحد الا ان سطيحاً قال وقعتْ تِهَمَة فأكلتْ منها كل ذات جُمُجُمَة فقال الملك ما اخطأتَ يا شقّ منها شيئًا فما عندك فى تاويلها فقال أحلف بما بين الحرّتين من انسانْ ، ليَهبطنّ أرضكم السودانْ ، فليغلبنّ على كل طفلة البنان ،

ولَيملكنّ ما بين أبين الى نجران ، قال له الملك وأبيك يا شق
ان هذا لنا لَغائظ موجع فمتى هو كائن فى زمانى ام بعده قال لا بل
بعده بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ، ويُذيقهم اشد الهوان ،
قال ومن هذا العظيم الشان قال غلام ليس بِدنىّ ولا مُدَنّ ، يخرج
من بيت ذي يزن ، فلا يترك احداً منهم باليمن ، قال أفيدوم
سلطانه ام ينقطع قال بل ينقطع برسول مُرسَل ، ياتى بالحقّ والعدل ،
بين أهل الدين والفضل ، يكون المُلك فى قومه الى يوم الفصل ،
قال وما يوم الفصل قال يوم تُجزَى فيه الوُلاة ، يُدعَى فيه من السماء
بدعوات ، يُسمَع منها الأحياء والأموات ، يُجمَع فيه الناس للميقات ،
يكون فيه لمن اتقى الفوزُ والخيرات ، قال أحقٌّ ما تقول قال أىْ وربّ
السماء والارضْ ، وما بينهما من رفع وخفض ، انّ ما انبأتُك لحقّ ما
فيه أمْض ، فوقع فى نفس ربيعة بن نصر ما قالا فجهّز بنيه وأهل
بيته الى العراق بما يُصلحهم وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس
يقال له سابور فأسكنهم الحيرة فمن بقية ولد ربيعة بن نصر فيما
يقال النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى

بن ربيعة بن نصر ذلك الملك وقد تقدم قول من قال من العلماء ان النعمان من ولد قنص بن معد

وقد قيل أيضاً ان النعمان من ولد الساطرون صاحب الحضر وهو حِصْن عظيم كالمدينة كان على شاطىء الفرات وهو الذى ذكره عدى بن زيد فى قوله

وأخو الحَضْر إذ بناه وإذ * دَجْلةُ تُجْبَى اليه والخابور
شادَه مَرْمَراً وجلّله كلْساً فللطَير فى ذُراه وُكور
لم يَهَبْه رَيبُ المنون فبادَ الملكُ عنه فبابُه مهجور

وأما شق وسطيح فإنّ شقّاً هو ابن صعب بن يشكر من بنى أنمار بن نزار ابى بجيلة وخثعم وكان شقّ انسان فيما زعموا انما له يد واحدة وعين واحدة ولذلك سُمّى بشقّ وسطيح هو ربيع بن ربيعة من بنى ذئب بن عدى بن مازن بن غسّان وكانت العرب تسمّيه الذئبىّ وإياه عَنَى ميمون بن قيس الأعشى بقوله

ما نظرتْ ذاتُ اشفار كنظرتها * حقّاً كما نظر الذئبىّ اذ سجعا

وانما قيل له سطيح لانه كان له جسداً مُلْقى له راس وليس له

جوارح فيما ذكروا وكان لا يقدر على الجلوس فإذا غضب انتفخ وجلس وذكر انه قيل له أنّى لك هذا العلم فقال لى صاحب من الجنّ استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلّم الله موسى منه فهو يؤدّى الىّ من ذلك ما يؤديه وعاش سطيح بعد هذا الحديث زماناً طويلا حتى أدرك مولد رسول الله صلعم

فذكر الخطابى وغيره من حديث هانى بن هانى المخزومى وأتت عليه مائة وخمسون سنة انه لما كانت الليلة التى وُلد فيها رسول الله صلعم ارتجس إيوان كِسرَى فسقطتْ منه اربع عشرة شرفة وغاضتْ بحيرة ساوة وفاض وادى السماوة وخمدتْ نار فارس ولم تخمد قبل ذلك الف عام ورأى الموبذان إبلاً صغاراً تقود خيلاً عراباً قد قطعتْ دجلة وانتشرت فى بلادها فلما اصبح كسرى أفزعه ذلك فصبر عليه تشجّعاً حتى اذا عيل صبره رأى ألاّ يدّخر ذلك عن فرسه ومرازبته فلبس تاجه وقعد على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا عنده قال أتدرون فِيمَ بعثت اليكم قالوا لا الا ان يخبرنا الملك فبينما هم كذلك اذ ورد عليه كتاب بخمود النار فازداد غمًّا الى غمه ثم أخبر

بما رأى وما هاله من ذلك فقال الموبذان وأنا أصلح اللهُ الملك قد
رأيتُ فى هذه الليلة رؤيا ثم قصّ عليه رؤياه فقال اى شىء يكون
هذا يا موبذان قال حدثٌ يكون من ناحية العرب وكان أعلمهم فى
أنفسهم فكتب عند ذلك كسرى الى النعمان بن المنذر ان يوجّه اليه
برجل عالم بما يريد ان يسأله عنه فوجّه اليه عبد المسيح بن عمرو بن
حيان بن بُقَيلة الغسّانى فلما قدم عليه قال له الملك أَلَكَ علم بما
أريد ان أسألك عنه قال ليخبرنى الملك عمّا أحبّ فإن كان عندى
منه علم والّا أخبرته بمن يعلمه فأخبره بالذى وجّه اليه فيه فقال له علم
ذلك عند خالٍ لى يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته
فسئله عما سألتك عنه ثم ائتنى بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى أتى
سطيحَ وقد أشفى على الموت فسلّم عليه وكلّمه فلم يردّ عليه سطيح
جواباً فأنشد عبد المسيح يقول

أَصَمّ أَمْ يَسمَعُ غِطْريفُ اليَمَنْ * أَمْ فادَ فازْلَمّ به شأوُ العَنَنْ
يا فاصلَ الخُطّةِ أعْيَتْ مَن ومَن * أتاكَ شيخُ الحىّ من آلِ سَنَن
وأُمّه من آل ذِئب بن حَجَن * أبيضُ فَضْفاضُ الرداء والبَدَن

رسولُ قَيلِ العُجْمِ يَسْرِى للوَسَن * لا يَرهَبُ الرَعْدَ ولا رَيبَ الزمن

يجوبُ فى الأرضِ عَلَنْداةٌ شَزَن * تَرَفَعُنى وُجْنٌ وتَهْوَى بى وُجُن

حتى أتى عارى الجآجى والقَطَن * تَلُفُّه فى الريح بَوغاءُ الدِمَن

فلما سمع سطيح شعره رفع راسه يقول، عبد المسيح، أتى الى سطيح، على جُمَيل مشيح، وقد أوفَى على الضريح، بعثك ملكُ بنى ساسان، لِارتجاس الإيوان، وخُمودِ النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلاً صِعابا، تقود خيلاً عِرابا، قد قطعتْ دجلة وانتشرت فى بلادها، يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوه، وظهر صاحب الهراوه، وفاض وادى السماوه، وغاضت بحيرة ساوه، وخمدت نار فارس فليست الشأم لسطيح شأما يَملِك منهم ملوك وملكاتْ، على عدد الشُرُفات، وكل ما هو آتٍ آتْ، ثم قضى سطيح مكانه فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بمقالة سطيح فقال الى ان يملك منّا اربعة عشر ملكاً قد كانت امور فملك منهم عشرة الى اربع سنين وملك الباقون الى خلافة عثمان رضه

فلما هلك ربيعة بن نصر رجع مُلك اليمن كله الى حسّان بن

تبّان أسعد ابى كرب فسار بأهل اليمن يريد ان يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم حتى اذا كان بأرض العراق كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجعة الى بلادهم وأهليهم فكلموا أخاً له يقال له عمرو وكان معه فى جيشه فقالوا له اقتلْ أخاك حسان ونملّكك علينا وترجع بنا الى بلادنا فأجابهم فاجتمعوا على ذلك الا ذا رُعَين الحميرى فانه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه فقال ذو رعين

الا مَن يَشتَرى سَهَراً بِنَومٍ * سعيدٌ مَن يبيت قريرَ عَيْنِ

فأمّا حِمْيَرٌ غَدَرَتْ وخانَتْ * فَمَعْذِرَةُ الإله لِذى رُعَيْنِ

ثم كتبها فى رقعة وختم عليها ثم أتى بها عمراً فقال له ضَعْ لى هذا الكتاب عندك ففعل ثم قتل عمرو أخاه حسان ورجع بمن معه الى اليمن فلما نزل اليمن مُنع منه النوم وسلّط عليه السَهَر فلما جهده ذلك سأل الأطبّاء والحُزاة من الكُهّان والعرّافين عمّا به فقال له قائل منهم والله ما قتل رجل قطّ أخاه او ذا رَحِمِه بغياً على مثل ما قتلتَ أخاك عليه الا ذهب نومه وسلّط عليه السهر فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل مَن أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن

حتى خاص الى ذى رُعَين فقال له ذو رعين انّ لى عندك براءةً قال وما هى قال الكتاب الذى دفعتُ اليك فأخرجه فإذا فيه البيتان فتركه ورأى انه قد نصحه وهلك عمرو فهرج أمر حمير عند ذلك وتفرّقوا فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له لخنيعة ينوف ذو شناتر فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة منهم فقال قائل من حمير

تُقَتِّلُ أبناها وتَنفِى سَراتَها * وتَبنِى بأيديها لها الذُلَّ حِمْيَرُ

تُدَمِّرُ دُنياها بطَيشِ حُلومِها * وما ضَيَّعَتْ من دينها فهو أكثر

كذاك القُرونُ قبل ذاك بظُلمِها * وإسرافِها تأتى الشُرورُ فتَخْسَرُ

وكان لخنيعة امرأً فاسقاً يعمل عمل قوم لوط فكان يُرسِل الى الغلام من أبناء الملوك فيَقَع عليه فى مشربة له قد صنعها لذلك لئلا يملك بعد ذلك ثم يطلع من مشربته تلك الى حرسه وجنده قد أخذ مِسوَاكاً فجعله فى فيه علامةً للفراغ من خبيث فعله حتى بعث الى زُرْعة ذى نواس بن تبان أسعد أخى حسّان وكان صبيًّا صغيراً حين قُتل حسان ثم شبّ غلاماً جميلا وسيماً ذا هيئة وعقل فلما أتاه رسوله

عرف ما يريد به فأخذ سكيناً حديداً لطيفاً فخبأه بين قدمه ونعله
ثم أتاه فلما خلا معه وثب اليه فواثبه ذو نواس فوجأه حتى قتله
ثم حزّ رأسه فوضعه فى الكوّة التى كان يُشرف منها ووضع مسواكه
فى فيه ثم خرج على الناس فسألوه فأشار لهم الى الرأس فنظروا فإذا
رأس لخنيعة مقطوع فخرجوا فى أثر ذى نواس حتى أدركوه فقالوا
ما ينبغى ان يملكنا غيرك اذ أرحتنا من هذا الخبيث فملّكوه فاجتمعت
عليه حِميَر وقبائل اليمن فكان آخر ملوك حمير وتسمّى يوسف وأقام
فى ملكه سنين قال ابن عقبة ثمانيا وستين سنة الى ان كان منه فى
اهل نجران ما تقدّم ذكره فكان ذلك سبباً لاستيصال مُلكه واستيلاء
الحبشة على اليمن.

*
* *

ذكر دخول الحبشة ارض اليمن

واستيلائهم على ملكها وذكر السبب فى ذلك

مع ما يتصل به من امر الفيل

ولما انتهى زُرعة ذو نواس الى ما انتهى اليه فى أهل نجران من التحريق والقتل أفلتَ منهم رجل من سَبَأ يقال له دَوس ذو ثعلبان على فرس له فسلك الرمل فأعجزهم فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصرَ صاحب الروم فاستنصره على ذى نواس وجنوده وأخبره بما بلغ منهم فقال له بَعُدَت بلادك منا ولكنى سأكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو أقرب الى بلادك فكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثأره فقدم دوس على النجاشى بكتاب قيصر فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمّر عليهم رجلا منهم يقال له أرياط ومعه فى جنده أبرهة الأشرم فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس فسار اليه ذو نواس

فى حِمْيَر ومن أطاعه من قبائل اليمن فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه
فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجّه فرسه الى البحر ثم ضربه
فأدخله فيه فخاض به وضحضاح البحر حتى أفضى به الى غمره
فأدخله فيه فكان آخر العهد به ودخل أرياط اليمن فملكها فأقام بها سنين
فى سلطانه ذلك ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهةُ الحبشى
حتى تفرّقت الحبشة عليهما فانحاز الى كل واحد منهما طائفةٌ منهم
ثم سار أحدهما الى الآخر فلما تقارب الناس أرسل أبرهة الى أرياط
انك لا تصنع بأن تَلقَى الحبشة بعضَها ببعض حتى تُفنِيَها شيئاً
فابرُزْ لى وابرُزُ لك فأيّنا أصاب صاحبه انصرف اليه جنده فأرسل
اليه أرياط أنصَفْتَ فخرج اليه أبرهة وكان رجلا قصيرا لحيماً وكان
ذا دين فى النصرانية وخرج اليه أرياط وكان رجلا جميلا عظيماً طويلا
وفى يده حربة له وخلف أبرهة غلام له يقال له عَتْوَدَة يمنع ظهره
فرفع أرياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخَه فوقعت الحربة على
جبهة أبرهة فشرمت حاجبَه وأنفه وعينه وشفته فلذلك سمى
أبرهة الاشرم وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله وانصرف

جند أرياط الى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن وودى أبرهة أرياط فلما بلغ ذلك النجاشي غضب غضباً شديداً وقال عدا على أميرى فقتله بغير أمرى ثم حلف لا يدع أبرهةَ حتى يطأ بلاده ويجزّ ناصيته فحلق أبرهةُ رأسه وملأ جراباً من تراب اليمن ثم بعث به الى النجاشي وكتب اليه ايها الملك انما كان أرياطُ عبدك وأنا عبدك اختلفنا فى أمرك وكل طاعته لك الا انى كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط لها وأسوس منه وقد حلقتُ رأسى كله حين بلغنى قَسَمُ الملك وبعثتُ اليه بجراب من تراب أرضى ليضعه تحت قدميه فيبرّ قسمُه فىّ فلما انتهى ذلك الى النجاشي رضى عنه وكتب اليه ان اثبُتْ بأرض اليمن حتى يأتيك أَمرى فأقام بها ثم ان أبرهة بنى القليس بصنعاء فبنى كنيسة لم يُرَ مثلها فى زمانها بشىء من الارض ثم كتب الى النجاشي انى قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم يُبْنَ مثلها لملك كان قبلك ولستُ بِمُنْتَهٍ حتى أصرف اليها حجّ العرب فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من النساءة أحدُ بنى فُقَيم بن

عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة فخرج حتى أتى القليس فأحدث فيها ثم لحق بأرضه فأُخبِرَ بذلك أبرهة وحلف ليسيرَنَّ الى البيت حتى يهدمه ثم أمر الحبشة فتَهَيَّأَتْ وتجهّزت ثم ساروا وخرج معه بالفيل وسمعتْ بذلك العرب فأعظموه وفُظِعوا به ورأوا جهاده حقّا عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدْم الكعبة بيت الله الحرام فخرج اليه رجل كان من أشراف اليمن وملوكهم يقال له ذو نفْر فدعا قومه ومَن أجابه من سائر العرب الى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله وما يريد من هدمه وإخرابه فأجابه من أجابه الى ذلك ثم عرض له فقاتله فهُزِم ذو نفْر وأصحابه وأُخِذ له ذو نفر وأُتى به أسيراً فلما أراد قتْله قال له ذو نفر ايّها الملك لا تقتلْنى فانه عسى ان يكون بقائى معك خيراً لك من قتلى وكان أبرهة رجلا حليماً فتركه من القتل وحبسه عنده فى وثاق ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى اذا كان بأرض خَثعَم عرض له نُفَيل بن حبيب الخثعمى فى قبيلَى خَثعَمَ شَهرَانَ وناهِس ومَن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه

أبرهة وأُخِذ له نُفَيل أسيراً فأتى به فلما همّ بقتله قال له نفيل ايها الملك لا تقتلني فاني دليلك بأرض العرب وهاتان يَدَايَ الك على قبيلي خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة فخلّى سبيله وخرج به معه يدلّه حتى اذا مرّ بالطائف خرج اليه مسعود بن مُعتِّب بن مالك الثقفي في رجال ثقيف فقالوا له ايها الملك انما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد يعنون اللاتَ انما تريد البيت الذي بمكّة ونحن نبعث معك من يدلّك عليه فتجاوز عنهم واللاتُ بيتٌ لهم بالطائف كانوا يعظّمونه نحو تعظيم الكعبة فبعثوا معه أبا رِغال يدلّه على الطريق الى مكّة فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المُغَمِّس فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجمتْ قبرَه العرب فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمّس فلما نزل أبرهة المغمّس بعث رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى الى مكّة فساق اليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطّلب بن هاشم وهو يومئذ كبير

قريش وسيدها فهمّت قريش وكنانة وهُذيل ومن كان بذلك الحرم
بقتاله ثم عرفوا انه لا طاقة لهم به فتركوا ذلك و بعث أبرهة حُناطة
الحميري الى مكة وقال له سَل عن سيّد أهل هذا البلد وشريفهم ثم
قل له ان الملك يقول لك انى لم آتِ لحربكم انما جئتُ لهدم هذا
البيت فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم فإن هو لم
يُرِدْ حربى فأتِنى به فلما دخل حُناطة مكة سأل عن سيد قريش
وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة
فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك منه طاقة
هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم اوكما قال فإن يمنعه منه
فهو بيته وحُرمته وإن يخلّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال
حناطة فانطلقْ اليه فانّه قد أمرنى ان آتيه بك فانطلق معه
عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذى
نفر وكان له صديقاً حتى دخل عليه وهو فى محبسه فقال له يا ذا نفر
هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال له ذو نفر وما غناء رجل أسير
فى يدَى ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشية ما عندى غناء فى شيء

مما نزل بك الا ان أُنَيساً سائس الفيل صديقٌ لى فسأُرسل اليه فأوصّيه
بك وأعظّم عليه حقّك وأسألُه ان يستأذن لك على الملك فيكلّمه
بما بدا لك ويشفع لك عنده بخيرإن قدر على ذلك قال حسْبى
فبعث ذو نفر الى أُنَيس فقال له ان عبد المطّلب سيد قريش وصاحب
عين مكة يُطعِم الناس بالسهل والوحوش فى رؤس الجبال وقد أصاب
له الملك مائتى بعير فاستأذنْ له عليه وانفعْه عنده بما استطعت
قال أفعلُ فكلّم أُنَيس أبرهةَ قال له ايها الملك هذا سيد قريش
ببابك يستأذن عليك فأذنْ له فليكلّمك فى حاجته ووصفه له
بما وصفه ذو نفر لأُنَيس فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب أوسم
الناس وأجمله وأعظمه فلما رأه أبرهة أجلّه وأكرمه عن أن
يُجلِسه تحته وكره أن تراه الحبشةُ يُجلِسه معه على سرير مُلكه
فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه الى جنبه
ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتى
أن يردّ علىّ الملكُ مائتى بعير أصابها لى فلما قال له ذلك قال أبرهة
لترجمانه قل له قد كنتُ أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدتُ فيك

حين كلّمتنى أتكلّمنى فى مائتى بعير أصبتُها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه لا تكلّمنى فيه قال عبد المطلب انى انا ربُّ الإبل وان للبيت ربًّا سيمنعه قال وما كان ليمتنع منّى قال أنت وذاك ويزعموا أهل العلم انه كان ذهب مع عبد المطلب الى أبرهة يعْمر بن نُفاثة بن عدى بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد بنى بكر وخُويلد بن واثلة الهُذيلى وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثُلُثَ أموال تِهامة على ان يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم فالله أعلم أكان ذلك أم لا فردّ برهة على عبد المطلب الإبل التى أصاب له فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب الى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرّز فى شُعَب الجبال والشعاف تخوّفاً عليهم من معرّة الجيش ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلْقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو آخذٌ بحلقة باب الكعبة

لَاهُمَّ إنّ ٱلعَبْدَ يَمـنَعُ رَحْلَهُ فٱمْنَعْ حِلالَكْ

لا يَغْلِبَنّ صَلِيبُهم * ومِحالُهم عدْواً مِحالَكْ

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة اذا دخلها فلما أصبح أبرهة تَهَيَّأ لدخول مكة وهيّأ فيلَه وعبّا جيشه وكان اسم الفيل محموداً وأبرهة مُجمِع لهدم البيت والانصراف الى اليمن فلما وجّهوا الفيل الى مكة قام نُفَيل بن حبيب الى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال آبْرُكْ محمود وارجعْ راشداً من حيث جئتَ فانك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل يشتدّ حتى أصعد في الجبل وضربوا الفيل ليقوم فأبى وضربوه في رأسه بالطبرْزين ليقوم فأبى فأدخلوا محاجن لهم في مراقّه فبزغوه بها ليقوم فأبى فوجّهوه راجعاً الى اليمن فقام يُهَرْول ووجّهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجّهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجّهوه الى مكة فبرك وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجرٌ في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمّص والعدس لا تُصيب منهم أحداً الا هلك وليس كلهم أصابت

وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا ويسئلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله من نقمته بهم

أينَ المفَرُّ والإلهُ الطالِبُ * والأشرَمُ المغلوب ليس الغالِبُ

وقال نفيل أيضاً

ألاَ حُيِّيتِ عنّا يا رُدَينا * نَعِمْناكم مع الإصباح عَينا

رُدَينَةُ لو رأيتِ ولا تريهِ * لدى جَنْب المحصَّب ما رأينا

إذاً لَعَذَرْتِني وحمدتِ أمرى * ولَم تأسَى على ما فاتَ بَينَا

حمدتُ اللهَ إذ أبصرتُ طيراً * وخِفتُ حجارةً تلقَى علينا

فكل القوم يسأل عن نُفَيلٍ * كأنّ علىّ للحُبشان دَينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وأُصيب أبرهةُ فى جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملةً أنملةً كلما سقطتْ منه أنملةٌ اتبعتْها منه مِدّةٌ تمُتُّ قَيحاً ودماً حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرْخ الطائر فما مات حتى انصدع صدرُه عن قلبه فيما يزعمون ويقال انه

أول ما رؤيت الحَصبة والجُدَرِىّ بأرض العرب ذلك العام وأنه أول ما رؤى بها مرائر الشجر والحرْمل والحنْظل والعُشَر ذلك العام فلما بعث الله محمد صلعم كان مما يعدّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضْله ما ردّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدّتهم فقال تبارك وتعالى (١) الم ترى كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجّيل فجعلهم كعصْفٍ مأكول

وقالت عائشة رضى الله عنها لقد رأيتُ قائد الفيل وسائسه بمكّة أعْمَيين مُقعَدَين يستطعمان

قال ابن اسحاق فلما ردّ الله الحبشة عن مكة وأصابهم ما أصابهم من النقمة أعظمت العرب قريشاً وقالوا هم اهل الله قاتل اللهُ عنهم وكفاهم مونة عدوّهم فقالوا فى ذلك أشعاراً يذكرون ما صنع الله بالحبشة وما ردّ عن قريش من كيدهم فقال عبد الله بن الزبْعَرَى السهمى

---

(١) س ١٠٥

فتنكّبوا عن بطن مكّة إنها * كانت قديماً لا يُرام حريمُها
لم تُخلَق الشِعرَى ليالِيَ حُرِّمَتْ * إذ لا عزيزَ من الأنام يرومها
سائل امير الجيش عنها ما رأى * ولَسَوفَ يُنبى الجاهلين عليمها
ستّون ألفاً لم يَؤُبوا أرضَهم * بل لم يَعِش بعد الإياب سقيمُها
كانت بها عادٌ وجُرْهُم قبْلهم * والله من فوق العِباد يُقيمُها

وقال ابو قيس بن الأسْلَت الأنصارى ثم الخطمى من قصيدة سيأتى ذكرها بجملتها

فقوموا فصلّوا ربّكم وتمسّحوا * بأركان هذا البيت بين الأخاشِبِ
فعِنْدَكم منه بلاءٌ ومَصْدَقٌ * غداةَ ابى يكسومَ هادى الكتائب
كتيبتُه بالسهل تُمسِى ورَجْلُه * على القاذفات فى رؤوس المناقب
فلما أتاكم نصْرُ ذى العرش ردّهم * جنودُ المليك بين سافٍ وحاصب
فوَلّوا سِراعاً هاربين ولم يَؤُب * الى قومه بلْحُبش غيرُ عصائب

وقالتْ سُبَيعَة بنت الأحَبّ بن ربيعة من بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هَوازِن بن منصور لابْنها خارجة بن عبد مناف بن كعب بن

سعد بن تيم بن مرّة تعظّم عليه حُرْمة مكّة وتنْهاه عن البغى فيها وتذكر تُبّعاً وتذلّله لها والفيل وهلاك جيشه عندها

أَبُنَىَّ لا تَظْلِمْ بمكّة لا الصغيرَ ولا الكبيرْ
وٱحْفَظْ محارِمَها بُنَىَّ ولا يَغُرَّنْكَ الغُرور
أَبُنَىَّ مَن يَظْلِمْ بمكّة يَلْقَ أطرافَ الشرور
أبنىّ يضرب وجهه ويلح بخدّيه السعير
أبنىّ قد جرّبْتُها فوجدتُ ظالمَها يبور
اللهُ آمَنَّها وما بُنِيَتْ بعَرْصَتِها قُصور
واللهُ آمن طيرها والعُصمُ تأمَن فى ثبير
ولقد غزاها تُبَّعٌ فكسا بَنِيَّتَها الحبير
وأذلّ ربّى مُلكَه فيها فأوفَى بالنُذور
يمشى اليها حافياً بفنائها ألفا بعير
ويَظَلّ يُطعِمُ أهلَها لَحْمَ المهارِى والجُزور
يَسْقِيهِم العسلَ المُصَفَّى والرحيضَ من الشعير

والفيلَ أهْلَكَ جيشَه * يرمون فيها بالصُخور

والمَلْكُ في أقصَى البلا * دِ وفي الأعاجم والخزير

فاسمعْ إذا حُدِّثْتَ وافْ * هَمْ كيف عاقبةُ الأمور

ولم يزل شعراء اهل الجاهلية يذكرون ذلك في أشعارهم معتدين بصُنْع الله فيه وقد جرى على ذلك شعراء الاسلام فقال الفرزدق بن غالب التميمي يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان ويعرض للحجّاج بن يوسف ويذكر الفيل وجيشه

فلما طَغَى الحجّاجُ حين طَغَى به * غنًى قال انّي مُرتَقٍ في السلالِم

فكان كما قال ابن نوح سأرْتَقِي * الى جبلٍ من خشية الماء عاصم

رَمَى اللهُ في جُثْمانه مثلَ ما رَمَى * عن القبلة البيضاء ذاتِ المحارم

جُنوداً تَسوقُ الفيلَ حتى أعادَهم * هَباءً وكانوا مُطْرَخِمّي الطراخم

نُصِرتَ كنُصْرِ البيت اذا ساق فِيلَه * اليه عظيمُ المشركين الأعاجم

قال ابن اسحاق فلما هلك أبرهة ملكَ الحبشة ابنُه يكسوم بن أبرهة وبه كان يُكنَى فلما هلك يكسوم ملك اليمن في الحبشة أخوه

مسروق بن أبرهة فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن
ذى يزن الحميرى حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكا اليه ما همّ
فيه وسأله ان يُخرِجهم عنه ويليهم هو ويبعث اليهم من شاء
من الروم فلم يُشكِه فخرج حتى أتى النعمانَ بن المنذر وهو
عامل كِسرَى على الحيرة وما يليها من أرض العراق فشَكَى اليه أمر
الحبشة فقال له النعمان انّ لى على كسرى وفادةً فى كل عام فأقم
حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فأدخله على كسرى وكان
كسرى يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه وكان تاجه مثل
القنقل العظيم فيما يزعمون يُضرَب فيه الياقوت والزبرجد
واللؤلؤ بالذهب والفضّة معلّقاً بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى
مجلسه ذلك وكانت عنقه لا تحمل تاجه انما يُستَر بالثياب حتى
يجلس فى مجلسه ذلك ثم يُدخِل رأسه فى تاجه فإذا استوى فى
مجلسه كُشِف عنه الثياب فلا يراه رجلٌ لم يَرَه قبل ذلك الا برك
هيبةً فلما دخل عليه سيف بن ذى يزن برك وقيل انه لما دخل عليه
طأطأ رأسه فقال الملك ان هذا لأحمق يدخل علىّ من هذا الباب

الطويل ثم يطأطئ راسه فقيل ذلك لسيف فقال انما فعلتُ هذا لهمّى
لانه يضيق عنه كل شيء ثم قال ايها الملك غَلَبَنا على بلادنا الأَغْرِبَة فقال
كسرى اىّ الأغربة الحبشة ام الهند قال بل الحبشة فجئتُك لتنصُرَنى
ويكون مُلك بلادى لك قال بَعُدَتْ بلادك مع قلة خيرها فلم أكن
لأُورّطَ جيشاً من فارس بأرض العرب لا حاجة لى بذلك ثم أجازه
بعشرة الاف درهم وافٍ وكساه كسوة حسنة فلما قبض ذلك
سيفٌ خرج فجعل ينثر تلك الورِق للناس فبلغ ذلك الملك فقال
ان لهذا لشأناً ثم بعث اليه فقال عمدتَ الى حباء الملك تَنثُره للناس
فقال وما أصنعُ بهذا ما جبال أرضى التى جئتُ منها الا ذهب
وفضّة يرغبه فيها فجمع كسرى مزاربته فقال ما ذا ترون فى امر هذا
الرجل وما جاء له فقال قائل ايها الملك انّ فى سجونك رجالاً
حبستَهم للقتل فلو انك بعثتهم معه فإن يهلكوا كان ذلك الذى
أردتَ منهم وإن يظفروا كان ذلك مُلكاً ازددتَه فبعث معه كسرى
من كان فى سجونه وكانوا ثمانى مائة رجل واستعمل عليهم
وَهْرِزَ وكان ذا سنّ فيهم وافضلهم حسباً وبيتاً فخرجوا فى ثمانى

سفائن فغرقتْ سفينتان ووصلتْ الى ساحل عَدَن ستّ سفائن فجمع
سيف الى وَهْرِز مَن استطاع من قومه وقال له رجلي مع رجلك
حتى نموتَ جميعاً او نظفر جميعاً فقال وَهرِز أنصفتَ وخرج اليه
مسروق بن أبرهة ملك اليمن وجمع اليه جنده فأرسل اليهم وَهرِز
ابناً له ليقاتلهم فيختبر قتالهم فقُتِل ابن وهْرز فزاده ذلك حنقاً عليهم
فلما تواقف الناس على مصافهم قال وهْرز أرُوني مَلِكهم قالوا له أترَى
رجلاً على الفيل قاعداً تاجه على راسه بين عينيه ياقوتةٌ حمراء قال نعم
قالوا ذلك ملكهم قال اتركوه فوقفوا طويلا ثم قال على ما هو قالوا قد
تحوّل على الفرس قال اتركوه فوقفوا طويلا ثم قال على ما هو
قالوا على البغلة قال وهْرزٌ بنتُ الحمار ذلّ وذلّ مُلكه انى سأرميه
فإن رايتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى أُوذِنكم فانّى قد اخطأت
الرجل وإن رايتم القوم قد استداروا ولاثوا به فقد أصبتُ الرجل
فاَحملوا عليم ثم وتّر قوسه وكانت فيما يزعمون لا يوتّرها غيره من شدّتها
وأمر بحاجبَيه فعُصِّبا له ثم رماه فصكّ الياقوتة التى بين عينيه فتغلغلت
النُشابة فى راسه حتى خرجتْ من قفاه ونُكِس عن دابّته واستدارت

الحبشة ولاثتْ به وحملتْ عليهم الفرس وانهزموا فقُتلوا وهربوا فى كل وجه وأقبل وهْرزُ ليدخل صنعاء حتى اذا أتى بابَها قال لا تدخل رايتى منكّسةً ابداً اهدموا الباب فهُدِم ثم دخلها ناصباً رايتَه وقال فى ذلك ابو الصلت بن ابى ربيعة الثقفى وتُروى لابنه امية بن ابى الصلت

ليطلب الوترَ امثالُ ابن ذى يَزَنٍ * رَيَّمَ فى البحر للأعداء أحوالا

حتى أتى ببنى الأحرار يَحمِلُهم * انك عمرى لقد أسرعتَ قِلقَالا

لله دَرُّهم من عُصْبَة خرجوا * ما إن أرَى لهم فى الناس أمثالا

بيضاً مرازبة غُلْباً أساورةً * أُسْداً تربّب فى الغيضات أشبالا

أرسلتَ أُسْداً على سُود الكلاب فقد * أضحَى شريدُهم فى الأرض فُلّالا

فاشْرَبْ هنيئاً عليك التاجُ مرتفِعاً * فى راس غُمْدان داراً منك مِحْلالا

واشربْ هنيئاً فقد شالتْ نَعامتُهم * وأسْبِلِ اليومَ فى بُرْدَيك إسبالا

تلك المكارمُ لا قَعْبانِ مِن لَبَنٍ * شِيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

واقام وهْرز فى الفُرس باليمن فمن بقية ذلك الجيش من الفرس

الأبناء الذين باليمن اليوم وكان ملك الحبشة باليمن منذ دَخَلَها
أرياطُ الى ان أخرجتهم الفرس عنها فى اثنين وسبعين وفى ما ذكره
سطيحُ وشِق فى تاويل رؤيا ربيعة بن نصر ثم مات وهْرز فأمّر كسرى
ابنه المرزبان بن وهْرز على اليمن ثم مات المرزبان فأمّر كسرى
ابنه التَينُجان بن المرزبان ثم مات فأمّر كسرى ابن التينجان
ثم عزله وولّى باذان فلم يزل عليها حتى بعث الله محمد صلعم فلما بلغ
مبعثُه كسرى كتب الى باذان انه بلغنى ان رجلا من قريش خرج
بمكّة يزعم انه نبىّ فسِرْ اليه فاستَتِبْه فإن تاب وإلاّ فابعثْ الىّ
براسه فبعث باذان بكتاب كسرى الى رسول الله صلعم فكتب اليه
رسول الله صلعم ان الله قد وعدنى ان يُقتَل كسرى فى يوم كذا من
شهر كذا فلما أتى باذانَ الكتابُ توقّف لينظر وقال إن كان نبيًّا فسيكون
ما قال فقتل الله كسرى على يدى ابنه شِيرُوَيْه فى اليوم الذى قال
رسول الله صلعم فلما بلغ ذلك باذانَ بعث بإسلامه وإسلام مَن معه
الى رسول الله صلعم فقالت الرسل من الفرس الى مَن نحن يا رسول
الله قال انتم منّا و إلينا أهلَ البيت

قال الزهري فمن ثمّ قال رسول الله صلعم سَلْمانُ منّا أهلَ البيت

وكل هذه الأخبار وإن قطعتْ بعض ما كنّا بسبيله من امر بني قُصَيّ فلها ايضا من الافادة بنحو ما قصدناه وحُسْن الأمتاع بالشأن المُناسب لِما اعتمدناه ما يُحسِن اعتراضها وينظم في سلكٍ واحدٍ مع ما مرّ من ذلك او يأتي اغراضها وعلينا بمعونة الله في تجديد الترتيب لذلك كله تطبيق المفصل وردّ هذه الأحاديث المتفرّقة في حكم الحديث المتّصل فنطيل ولا نملّ ونقصّر فلا نخلّ كل ذلك ببركة المختار الذي يمّمنا تخليد أوّليّته وتيمّمنا اظهار أوليته وقصدنا خدمة أثاره وسيرته صلى الله عليه وعلى آله الأكرمين وصحابته وكنّا انتهينا من شأن بني قُصَيّ بعده الى ما تراضوا به بينهم من الصلح على ان تكون السقاية والرفادة لبني عبد مناف وتكون حجابة البيت واللواء والندوة لبني عبد الدار على نحو ما جعله قُصيّ الى ابيهم

فولّى السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف وذلك ان عبد شمس كان رجلا سفّاراً قلّ ما يُقيم بمكّة وكان مُقِلاًّ ذا ولدٍ كثير وكان هاشم موسِراً وكان فيما يزعمون اذا حضر الحجّ قام صبيحةَ هلال ذي الحجّة

فيسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها فيحض قومه على رفادة الحاج
التى سنّها لهم قصىّ ويقول لهم فى خطبته يا معشر قريش انتم سادة
العرب وأحسنُها وجوهاً وأعظمها احلاماً وأوسط العرب انساباً وأقرب
العرب بالعرب ارحاماً يامعشر قريش انكم جيران بيت الله أكرمكم
الله بولايته وخصّكم بجواره دون بنى اسماعيل حفظ منكم أحسن ما
حفظ جارٌ من جاره انه ياتيكم فى هذا الموسم زُوّارُ الله يعظّمون حرمة
بيته فهُم ضَيفُ الله وأحق الضيف بالكرامة ضَيفُه فأكرموا ضيفه
وزُوّاره فانهم ياتون شعْثاً غُبراً من كل بلد على ضوامر كالقداح وقد
أزحفوا وأرملوا فاقروهم وأعينوهم فورب هذه البنية لو كان لى مال
يحمل ذلك لكفيتُكموه وأنا مخرجٌ من طيب مالى وحلاله ما لم تُقطع
فيه رَحِمٌ ولم يؤخَذ بظُلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم ان يفعل
مثل ذلك فعله واسألكم بحرمة هذا البيت ألّا يخرج رجل منكم
من ماله لكرامة زوّار بيت الله ومعونتهم الا طيباً لم تُقطَع فيه رحمٌ
ولم يُؤخَذ غصْباً فكانت بنو كعب بن لؤى وسائر قريش يجتهدون فى
ذلك ويترافدون عليه ويخرجون ذلك من أموالهم حتى ياتوا به

هاشم بن عبد مناف فيضعه في داره حتى ان كان اهلُ البيت ليرسلون بالشيء اليسير على قدرهم وكان هاشم يُخرِج في كل سنة مالا كثيرا وكان قوم من قريش اهل يسار وربّما أرسل كل انسان منهم بمائة مثقال هرقليّة وكان هاشم يأمر بحياضٍ من آدم فتعجل في موضع زمزم من قبل ان تحفر ثم يُستقى فيها من البئار التي بمكّة فيشرب الحاجّ وكان يُطعِمهم اوّل ما يُطعِمهم بمكّة قبل التروية بيوم ثم بمِنًى وبجَمْع وعَرَفة يثرد لهم الخُبز واللحم والسمن والسويق والتمر ويحمل لهم الماء فيُطعِمهم ويُسقِيهم حتى يصدروا

وكان اسم هاشم عمراً ويقال له عمرو العُلى وانما سُمّي هاشماً لهشمه الخبز بمكّة لقومه وهو فيما يذكرون اوّل من سنّ الرحلتين لقريش رحلةَ الشتاء والصيف وفي ذلك يقول بعض شعرائهم

عمرو العُلى هَشَمَ الثريدَ لِقومه * قومٍ بمكّة مُسنِتِينَ عجافِ

سُنّتْ اليه الرحلتانِ كِلاهُما * سَفَرُ الشتاء ورحلةُ الأصيافِ

وذلك ان قريشاً كانوا قوماً تجاراً وكانت تجارتهم لا تعدو مكّة انما يقدم

عليهم الأعاجم بالسِلَع فيشترون منهم ويتبايعون فيما بينهم ويبيعون
ممّن حولهم من العرب فلم يزالوا كذلك حتى ذهب هاشم الى الشام
فكان يذبح كل يوم شاةً فيصنع جفنة ثريد ويدعو مَن حوله فيأكلون

وكان هاشم من أحسن الناس وأجملهم الى شرف نفسه وكرم
فعاله فذُكر لقيصَر فدعا به فلما رآه وكلّمه أعجب به وأدناه فلما رأى
هاشم مكانه منه طلب منه امانا لقومه ليقدموا بلاده بتجارتهم فأجابه
الى ذلك وكتب لهم قيصر كتاب امانٍ لمن أتى منهم فأقبل هاشم
بذلك الكتاب فكلّما مرّ بحيّ من أحياء العرب أخذ من أشرافهم
ايلافاً لقومه يأمنون به عندهم وفى أرضهم من غير حِلفٍ انما هو امان
الطريق واستوفى اخذ ذلك ممّن بين مكّة والشام فأتى قومُه
بأعظم شيء أتوا به قطّ بركةً فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج هاشم
معهم ليوفيهم ايلافَهم الذى أخذ لهم من العرب فلم يزل يوفيهم اياه
ويجمع بينهم وبين العرب حتى قدم بهم الشام فهلك هاشم فى
سفره ذلك بغزّة من ارض الشام وكان اول بنى عبد مناف هلكاً

وخرج المطّلب بن عبد مناف وهو يسمّى الفَيض لسماحته وفضله

الى اليمن فأخذ من ملوكهم اماناً لمن تجر من قومه الى بلادهم ثم أقبل يأخذ لهم الإيلاف ممن كان على طريقه من العرب كما فعل اخوه هاشم حتى أتى مكة ثم رجع الى اليمن فمات بردمان

وخرج عبد شمس بن عبد مناف الى ملك الحبشة فأخذ منه اماناً كذلك لمن تجر من قريش الى بلاده ثم اخذ الايلاف من العرب الذين على الطريق حتى بلغ مكة وتوفّى بها فقبْره بالحجون

وخرج نوفل بن عبد مناف وكان أصغر ولد ابيه الى العراق فأخذ عهداً من كِسرَى لتجار قريش ثم أقبل ياخذ الايلاف ممن مرّ به من العرب حتى قدم مكة ثم رجع الى العراق فمات بسلمان من ناحية العراق فجبر الله قريشاً بهولاء النفر الأربعة من بنى عبد مناف فنمتْ اموالهم واتّسعتْ تجارتهم فكان بنو عبد مناف يسمّون لأجل ذلك المجْبرين والعرب تسمّيهم أقداح النضار لطيب أحسابهم وكرم فعالهم

وقال مطرود بن كعب الخزاعى يبكيهم جميعاً حين أتاه نعىّ نوفل منهم وكان آخرهم مُلكاً

يا ليلةً هيّجتِ ليلاتي * إحدى ليالي القسيّاتِ

وما أقاسي من همومٍ وما * عالجتُ من رُزء المنيّات

اذا تذكّرتُ اخي نوفلاً * ذكّرني بالأوّليّات

ذكّرني بالأزرِ الحُمْرِ والـ * ـأردية الصُفْر القشيبات

أربعةٌ كلُّهمُ سيّدٌ * أبناء ساداتٍ لسادات

ميْتٌ بردمانَ وميْتٌ بسلمانَ وميْتٌ بين غزّات

وميّتٌ أُسكِنَ لحداً لدى * الحَجون شرقيّ البُنَيّات

اخلَصَهم عبدُ مناف فَهُم * من لَومِ مَن لام بمُنْجات

انّ المُغيراتِ وابناءها * من خير احياءٍ وأموات

وانما سمّاهم المُغيرات لانّ عبد مناف أباهُم كان اسمه المغيرة فقيل لمطرود فيما يزعمون لقد قلتَ فأحسنتَ ولو كان افحل مما هو كان أحسن فقال انظروني ليالى فمكث اياماً ثم قال

ياعَينِ جُودي وأذري الدمْعَ وانهمِري * وابكي على السِترِ من كعب المُغيرات

ياعين واسحَنفِري بالدمع واحتفلي * وابكي خبيئة نفسي في المُلِمّات

وابكى على كل فيّاضٍ أخى ثقةٍ * ضخم الدسيعة وهّاب الجزيلات

محض الضريبة عالى الهمّ مختلقٍ * جَلْدِ النحيزة ناءٍ بالعظيمات

صَعْبِ البديهة لا نِكْسٍ ولا وَكَلٍ * ماضى العزيمة متلافِ الكريمات

صَقْرٍ توسّطَ من كعْبٍ اذا نُسِبوا * بُحْبوحَةَ المجدِ والشُمّ الرفيعات

ثم اندُبى الفيضَ والفيّاضَ مطّلباً * واستخْرِطى بعد فيضاتٍ بجمّات

أمسَى بِرَدْمانَ عنّا اليوم مُغْترِباً * يا لَهْفَ نفسى عليه بين أموات

وابكى لكِ الويلَ إمّا كنتِ باكيةً * لِعبد شمس بشرقىّ البُنَيّات

وهاشمٍ فى ضريحٍ وَسْطَ بَلْقَعَةٍ * تَسْفِى الرياحُ عليه بين غزّات

ونَوفَلٍ كان دون القوم خالِصَتى * أمسَى بِسَلْمانَ فى رَمْسٍ بِمَوماتِ

لم الْقَ مِثلَهُمُ عُجْماً ولا عَرَباً * اذا استقلّت بهم أُدْمُ المَطِيّات

أمْسَتْ ديارُهمُ منهم مُعَطّلةً * وقد يكونون زَيناً فى السرِيّات

أفناهمُ الدهرُ ام كلّتْ سُيوفُهمُ * ام كل من عاش ازواد المنيّات

أصبحْتُ ارضَى من الأقوام بعدهمُ * بَسْطَ الوجوه وإلقاءَ التحيّات

ياعين وابكى ابا الشُعْثِ الشجيّات * يبكينه حُسّراً مثلَ البليّات

يبكين أكرمَ من يمشى على قدمٍ * يُعْوِلْنَه بدموع بعد عَبْرات

يبكين شخصاً طويلَ الباع ذا فَخَرٍ * آبى الهضيمة فرّاجَ الجليلات

يبكين عَمْرو العُلا اذ حان مَصْرَعُهُ * سَمْحَ السجيّة بَسّامَ العشيّات

يبكينه مُستكينات على حَزَنٍ * يا طُول ذلك من حُزْنٍ وعَولات

يبكين لمّا جلاهُنّ الزمانُ له * خُضْرَ الخُدود كامثال الحميّات

محتزمات على اوساطهنّ لما * جرّ الزمانُ من احداث المصيبات

أبيتُ ليلى أُراعى النجمَ من ألمٍ * ابكى وتبكى معى شَجْوِى بُنَيّات

ما فى القُروم لهم عِدْلُ ولا خَطَرُ * ولا لمن تركوا شَرْوَى بقيّات

أبناؤهم خيرُ أبناءٍ وأنفسُهم * خيرُ النفوس لدى جَهْدِ الأليّات

كم وَهَبوا من طِمِرٍّ سابحٍ أرِنٍ * ومن طِمِرَّةٍ نَهْبٍ فى طِمِرّات

ومن سيوفٍ من الهنديّ مُخْلَصةٍ * ومن رماحٍ كأشْطان الركيّات

ومن سوابغ مما يُفضِلون بها * عند المسائل من بذل العطيّات

فلو حسبْتُ وأحصَى الحاسبون معى * لم أُحْصِ أفعالَهم تلك الهُنيّات

هُمُ المُدِلّون إمّا مَعْشَرٌ فخروا * عند الفخار بأنساب نقيّات

زينُ البيوت التى خلّوا مساكنَها * فأصبحَتْ منهمُ وَحْشاً خليّات
أقول والعين لا ترقى مدامعُها * لا يُبعِد الله أصحابَ الرزيّات

وكان هاشم بن عبد مناف قد قدم المدينة فتزوّج بها سلمَى بنت عمرو احد بنى عدى بن النجّار وكانتْ قبله عند أُحَيحة بن الجلاح فيما ذكر ابن اسحاق قال وكانتْ لاتنكح الرجالَ لِشرفها حتى يشرطوا لها ان أمرها بيدها إن كرهتْ رجلاً فارقته فولدتْ لِهاشم عبد المطّلب فسمّته شَيبَة فتركه هاشمٌ عندها حتى كان وصيفاً او فوق ذلك ثم خرج اليه عمّه المطّلب ليقبضه فيُلحِقه ببلده وقومه فقالتْ له سَلمَى لستُ بمُرسِلته معك فقال لها المطلب انى غير منصرف حتى أخرج به معى انّ ابن اخى قد بلغ وهو غريب فى غير قومه ونحن اهل بيت شرف فى قومنا نَلِى كثيراً من أمرهم ورهْطُه وعشيرتُه وبلدُه خيرٌ له من الإقامة فى غيرهم او كما قال وقال شيبة لعمّه المطّلب فيما يزعمون لستُ بمفارقها الا ان تأذنَ لى فأذنتْ له ودفعته اليه فاحتمله فدخل به مكّة مُردِفه على بعيره فقالتْ قريشٌ عبدُ المطّلب

ابتاعه فبها سُمّى شيبة عبدَ المطّلب فقال المطّلب وَيْحَكم انما هو ابن اخى هاشم قدمتُ به من يثرب

وذكر الزبير ان شيبة انما سُمّى عبدَ المطّلب لان عمّه المطلب لما قدم به من يثرب ودخل به مكّة ضحوةً مُردِفه خلفه والناس فى أسواقهم ومجالسهم فقاموا يرحّبون به ويقولون مَن هذا معك فيقول عبدٌ لى ابتعتُه بيثرب فلما كان العشية ألبسه حلّةً ابتاعها له ثم أجلسه فى مجلس بنى عبد مناف وأخبرهم وخبرَه فجعل بعد ذلك يخرج فى تلك الحلّة فيطوف فى سكك مكّة وكان أحسن الناس فيقولون هذا عبد المطّلب لقول المطلب فيه ذلك فالحّ اسمه عبدُ المطلب وتُرِك شيبة وكان يقال لعبد المطلب شيبة الحمد وانما سمّى شيبة لانه كانت فى ذؤابته شعرة بيضاء

ثم ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب فأقامها للناس وأقام لقومه ماكان آباؤه يقيمون من أمره قبله وشرُف فى قومه شرفاً لم يبلغه احدٌ من آبائه وأحبّه قومُه وعظم خطرُه فيهم ويقال كان يُعرف فى وجه عبد المطلب نور النبوة وهيبة الملك

قال الزبير ومكارم عبد المطلب اكثر من ان أُحيط بها كان سيّد قريش غير مدافع نفساً وأباً وبيتاً وجمالا و بهاءً وفعالا وكمالا فصلّى الله على المنتخب من ذريته المخصوص بأولية الفخر وأخريته وعلى آله الأكرمين وعِترته وسلّم تسليماً

٭٭٭

ذكر حفر عبد المطلب زمزم

وما يتصل بذلك من حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد تقدّم الخبر عن زمزم انها بئر اسماعيل بن ابرهيم عليهما السلام التي سقاه الله حين ظمئ وهو صغير وكانت جُرهُم دفنتْها حين ظعنوا من مكة بين صنمَيْ قريش إساف ونائلة عند منْحر قريش فبقى امرها كذلك الى ان أُمِر عبد المطلب بن هاشم بحفْرها

فذكر ابن اسحاق وغيره من حديث على بن ابى طالب رضه قال عبد المطلب انى لنائم فى الحجر اذ أتانى آتٍ فقال احفرْ طِيبَة قلت وما طيبة ثم ذهب عنى فلما كان الغد رجعتُ الى مضْجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر المضنونة قلت وما المضنونة ثم ذهب عنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر زمْزم قلت وما زمزم قال لا تُنزَق ابداً ولا تُذَمّ، تسقى الحجيج الاعظم، وهى بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الاعصم، عند قرية النمل

فلما بُيّن له شانها ودُلّ على موضعها وعرف انه قد صُدِق غدا بمِعوَله ومعه ابنه الحارث ليس له يومئذ ولدٌ غيره فحفر فلما بدا لعبد المطلب الطيّ كبّر فعرفتْ قريش انه قد أدرك حاجته فقاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها بئر أبينا اسماعيل وانّ لنا فيها حقّاً فأشرِكنا معك فيها قال ما أنا بفاعل انّ هذا الأمر خُصِصتُ به دونكم وأُعطِيتُه من بينكم قالوا له فأنصِفنا فانّا غير تاركِيك حتى نخاصمك فيها قال اجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هُذَيم قال نعم وكانت بأشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والأرض اذ ذاك مَفاوِز قال فخرجوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فنى ماءُ عبد المطلب وأصحابه وظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا مَن معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا انّا بمفازة ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم

فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم وما يتخوّف على نفسه وأصحابه قال ما ذا ترون قالوا ما رأينا الا تَبَعٌ لرأيك فمُرنا بما شئت قال فانّى أرى ان يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوّة فكلما مات رجل دفعه أصحابُه فى حفرته ثم وَارَوه حتى يكون آخركم رجلًا فضَيْعَةُ رجل واحد أيسرُ من ضيعة ركب جميعاً قالوا نِعْمَ ما أمرتَ به فقام كل رجل منهم فحفر حفرته ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً ثم ان عبد المطلب قال لأصحابه والله انّ القاءنا بأيدينا هكذا للموت لانضرب فى الأرض ولا نبتغى لأنفسنا لعجْزٌ فعَسَى الله ان يرزقنا ماءً ببعض البلاد ارتحلوا فارتحلوا حتى اذا فرغوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون اليهم ما هم فاعلون تقدّم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثتْ به انفجرتْ من تحت خُفّها عينٌ من ماءٍ عذب فكبّر عبد المطلب وكبّر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلمّ الى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاءوا فشربوا واستقوا ثم قالوا قد والله قُضِى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك

فى زمزم أبداً انّ الذى سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزمَ فارجع الى سقايتك راشداً فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلّوا بينه وبينها

وفى غير حديث على بن ابى طالب رضه ان عبد المطلب قيل له حين أُمِر بحفْر زمزم

ثم ادْعُ بالماء الروّاء غير الكَدِر

تَسقى حجيجَ الله فى كل مَبَرّ ﴿ ليس يُخاف منه شىءٌ ما عَمَرْ

وخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك الى قريش فقال تعلموا انى قد أُمرتُ ان أحفر زمزم قالوا فهَلْ بُيّن لك أين هى قال لا قالوا فارجعْ الى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت فإن يك حقّاً من الله يُبيّن لك وإن يك من الشيطان فلن يعود اليك فرجع عبد المطلب الى مضجعه فنام فيه فأُتِى فقيل له احفْر زمزم انك إن حفرتَها لم تندَمْ ، وهى تُراثٌ من أبيك الأعظم ، لا تُنزَف أبداً ولا تُذَمّ ، تسقى الحجيج الأعظم ، مثل نعام جافل لم يُقسَم ، يَنذُرُ فيها ناذرٌ لمنعم ، تكون ميراثاً وعقداً محكم ، ليست كبعض ما قد تعلم ، وهى بين

الفرث والدم ، فزعموا انه حين قيل له ذلك قال وأين هى قيل له عند قرية النمل حيث يَنقُر الغرابُ غداً فغدا عبد المطلب ومعه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوَثَنَين إساف ونائلة الذَين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحهم فجاء بالمِعوَل وقام ليحفر حيث أُمِر فقامت اليه قريش حين رأوا جدّه فقالوا والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين الذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لابنه الحارث ذُبّ عنّى فوالله لأمضيَنّ لما أُمِرتُ به فلما عرفوا انه غير نازع خلّوا بينه وبين الحفر وكفّوا عنه فلم يحفر الا يسيراً حتى بدا له الطىّ فكبّر وعرف انه قد صُدِق فلما تمادى به الحفرُ وجد فيها غزالَين من ذهب وهما الغزالان الذان دفنتْ جُرهُم فيها حين خرجتْ من مكّة ووجد فيها أسيافاً قلعيّة وأدراعاً فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك فى هذا شرك وحق قال لا ولكن هلمّ الى أمر نصف بينى وبينكم نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف تصنع قال أجعلُ للكعبة قدحَين ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على

شيء كان له ومن تخلّف قدحاه فلا شيء له قالوا انصفتَ فجعل قدحين أصفرين للكعبة وجعل قدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوا القداح الذى يضرب بها عند هُبَل وهبل صنم فى جوف الكعبة وهو أعظم أصنامهم وهو الذى عنى ابو سفيان بن حرب لمّا نادى يوم أُحُد أَعْلُ هبل اى اظهر دينك وقام عبد المطلب يدعو الله وضرب صاحبُ القداح فخرج الأصفرين على الغزالين وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب وتخلّف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة وضرب فى الباب الغزالين من ذهب فكان أوّل ذهب حُلِيتْه الكعبةُ فيما يزعمون

وذكر الزبير ان عبد المطلب لما أنبط الماء فى زمزم حفرها فى القرار ثم بحرها حتى لا تنزف ثم بنى عليها حوضاً فطفق هو وابنه ينزعان عليها فيملآن ذلك الحوض فيشرب منه الحاج وكان قوم حَسَدَة من قريش لا يزالون يكسرون حوضه ذلك بالليل ويغتسلون فيه فيُصلِحه عبد المطلب حين يصبح فلما أكثروا فساده دعا عبد

المطلب ربه فقيل له فى المنام قل اللهمّ انى لا أُحِلُّها لِمغتسل وهى لِشارب حِلٌّ وبلٌ فقام عبد المطلب فى المسجد فنادى بالذى رأى ثم انصرف فلم يكن يفسد حوضه ذلك عليه احدٌ من قريش او يغتسل فيه الّا رُمِى فى جسده بِداءٍ حتى تركوا حوضه ذلك وسقايته فرقاً

وذكر الزبير ايضا ان عبد المطلب لما حفر زمزم وأدرك منها ما ادرك وجدتْ قريش فى انفسها ممّا أُعطِى فلقيه خُوَيلد بن اسد بن عبد العُزّى فقال يا ابن سَلمَى لقد سُقِيتَ ماءً رِغدا ونثلتَ عاديةً حُتُداً قال يا ابن اسد أَمَا انك تشرك فى فضلها والله لا يساعفنى احدٌ عليها ببرّ ولا يقوم معى بأزر الّا بذلتُ له خير الصهر فقال خويلد بن اسد

أقول وما قولى عليهم بِسُبّةٍ * اليك ابن سَلمَى انت حافِرُ زَمْزَمِ

حفيرة ابراهيم يوم ابن هاجر * وركْضة جبريل على عهد آدم

فقال عبد المطلب ما وجدتُ أحداً ورث العلم الأقدم غير خويلد بن أسد

ثم ان عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحاج وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئاراً بمكة وكانت خارجاً من مكة آبار حفائر قديمة من عهد مُرّة بن كعب وكلاب بن مرّة وكبراء قريش الاوّل منها يشربون فعفّت زمزم على تلك البئار التى كانت قبلها يسقى عليها الحاج وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام ولفضلها على ما سواها من المياه ولأنها بئر اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلّها وعلى سائر العرب

وكان عبد المطلب فيما يزعمون والله اعلم قد نذر حين لقى من قريش ما لقى عند حفر زمزم لئن وُلِد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لَينحرنّ أحدَهم لله عند الكعبة فلما توافى بنوه عشرة وعرف انهم سيمنعونه جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء به فأطاعوه وقالوا كيف تصنع قال ليأخذْ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتونى ففعلوا ثم أتوه فدخل بهم على هُبَل فى جوف الكعبة وكان هبل على بئر فى جوف الكعبة يُجمَع فيها ما يُهدَى للكعبة وكان عند هبل قِداحٌ سبعة بها يضربون على ما يريدون وإلى ما تخرج به

القداح ينتهون فى أمورهم فقال عبد المطلب لصاحب القداح اضربْ على بنيَّ هولاء بقداحهم هذه وأخبره بنذره الذى نذر وأعطا كل رجل منهم قدحه الذى فيه اسمه وكان عبد الله بن عبد المطلب أحبَّ بنى أبيه اليه فيما زعموا فكان عبد المطلب يرى ان السهم اذا اخطأه فقد أَشوىَ فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها قام عبد المطلب عند هُبَل يدعو الله ثم ضرب صاحبُ القداح فخرج القداح على عبد الله فأخذ عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل به الى إساف ونائلة ليذبحه فقامت اليه قريش من أنديتها وقالوا ما ذا تريد يا عبد المطلب قال أذبحُه فقالت له قريش وبنوه والله لا تذبحه ابدا حتى تُعذِر فيه لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجل ياتى بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على هذا وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عبد الله ابنَ اخت القوم امه وأمّ اخويه الزبير وأبى طالب فاطمةُ بنت عمرو بن عائذ بن عبد الله بن عمران بن عائذ بن عمر بن مخزوم والله لا تذبحه ابدا حتى تعذر فيه فإن كان فداؤه بأموالنا فَدَيناه وقالت له قريش وبنوه لا تفعلْ وانطلقْ به الى الحجاز فانَّ

بها عرّافة لها تابعٌ فتسئلها ثم انت على راس امرك إن أمرتك بذبحه ذبحته وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرجٌ قبلته فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها فيما يزعمون بخيبر فركبوا حتى جاءوها فسألوها وقصّ عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه وما اراد به ونذْره فيه فقالت لهم ارجعوا عنّى اليوم حتى ياتينى تابعى فأسئله فرجعوا من عندها فلما خرجوا من عندها قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءنى الخبر كم الدية فيكم قالوا عشر من الابل وكانت كذلك قالت فارجعوا الى بلادكم ثم قرّبوا صاحبكم وقرّبوا عشراً من الابل ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم وإن خرجت على الابل فانحروها عنه فقد رضى ربّكم ونجا صاحبكم فخرجوا حتى قدموا مكة فلما اجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قرّبوا عبد الله وعشرا من الابل وعبد المطلب عند هبل يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل عشرين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا

فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل وما زالوا كذلك يزيدون عشرا فعشرا من الابل ويضربون عليها كل ذلك يخرج القدح على عبد الله حتى بلغت الابل مائة وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على الابل فقالت قريش قد انتهى رضى ربك يا عبد المطلب فزعموا ان عبد المطلب قال لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرّات فضربوا على عبد الله وعلى الابل وقام عبد المطلب يدعو الله فخرج القدح على الابل ثم عادوا الثانية والثالثة وعبد المطلب قائم يدعو الله فخرج القدح فى كليتهما على الابل فنُحِرت ثم تُرِكت لا يُصَدّ عنها انسانٌ ولا يُمنَع ثم انصرف عبد المطلب آخِذاً بيد عبد الله فمرّ به فيما يزعمون على امراة من بنى اسد بن عبد العُزّى وهى اخت ورقة بن نوفل بن اسد وهى عند الكعبة

قال الزبير وكان عبد الله احسن رجل رؤى فى قريش قط فقالت له حين نظرتْ الى وجهه اين تذهب يا عبد الله قال مع ابى قالت له لك مثل الابل التى نُحِرت عنك وقَعْ علىّ الان قال انا مع ابى ولا استطيع خلافه ولا فراقه

فخرج به عبد المطلب حتى اتى به وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مرّة وهو يومئذ سيد بني زهرة سنّا وشرفاً فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهي يومئذ افضل امراة في قريش نسباً وموضعاً فزعموا انه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله صلعم ثم خرج من عندها فأتى المراة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها ما لك لا تعرضين عليّ اليوم ما عرضتِ بالامس قالت له فارقك النورُ الذي كان معك بالامس فليس لي بك اليوم حاجةٌ وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل وكان قد تنصّر واتّبع الكتب انه كائن في هذه الأمّة نبيّ ويقال ان عبد الله انما دخل على امراة كانت له مع آمنة ابنةِ وهب وقد عمل في طين له وبه آثار من الطين فدعاها الى نفسه فأبطأتْ عليه لما رأت به من اثار الطين فخرج من عندها فتوضّأ وغسل ما كان به من ذلك ثم خرج عامداً الى آمنة فمرّ بها فدعته الى نفسها فأبى عليها وعمد الى آمنة فدخل عليها فأصابها فحملتْ بمحمد رسول الله صلعم ثم مرّ بامراته تلك فقال لها هل لك قالت

لا مررتَ بى وبين عينيك غرّةٌ فدعوتُك فأبيتَ ودخلتَ على آمنة فذهبتْ بها فزعموا ان امرأته تلك كانت تحدّث انه مرّ بها وبين عينيه مثل غرّة الفَرَس قالت فدعوتُه رجاءً ان تكون تلك لى فأبى علىّ ودخل على آمنة فأصابها فحملت برسول الله صلعم فكان رسول الله صلعم أوسط قومه نسباً وأعظمهم شرفاً من قبل ابيه وأمّه ويزعمون فيما يتحدّث الناس والله اعلم ان أمّه كانت تحدّث انها أُتِيَتْ حين حملتْ به فقيل لها انكِ قد حملتِ بسيّد هذه الأمّة فاذا وقع الى الارض فقُولى، أُعِيذُه بالواحد، مِن شرّ كلّ حاسد، ثم سَمّيه محمداً، ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ابو رسول الله صلعم ان هلك وأمّه حامل به هذا قول ابن اسحاق وخالفه كثير من العلماء فقالوا ان النبى صلعم كان فى المهد حين توفى ابوه ذكره الدولابى وغيره

وذكر ابن ابى خيثمة انه كان ابن شهرين وقيل اكثر من ذلك والله اعلم

وولد رسول الله صلعم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول عام الفيل قيل بعد الفيل بخمسين يوما

وحكى الواقدى عن سليمان بن سُحيم قال كان بمكّة يهودى يقال له يوسف فلما كان اليوم الذى وُلد فيه رسول الله صلعم قبل ان يعلم به احدٌ من قريش قال يا معشر قريش قد وُلد نبى هذه الامة فى بحْرتكم هذه فى بلدتكم هذه الليلة فجعل يطوف فى انديتهم فلا يجد خبراً حتى انتهى الى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له وُلد لابن عبد المطلب غلام فقال هو نبى والتوراة

وقال حسان بن ثابت والله انى لَغلام يَفَعَةٌ ابنُ سبع سنين او ثمان أَعقِلُ كلّما اسمع اذ سمعتُ يهودياً يصرخ على أُطَمَة بيَثْرِب يا معشر يهود حتى اذا اجتمعوا قالوا له ويلك ما لك قال طلع الليلة نجم احمد الذى وُلد به

وذكر ابن السكن من حديث عثمان بن ابى العاصى عن امّه فاطمة بنت عبد الله انها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله

صلعم ليلاً قالت فما شيء انظر اليه من البيت الا نورٌ وانى لأنظر الى النجوم تدنو حتى انى لأقول لتقعن علىّ

وذكر بقىّ بن مخلّد فى تفسيره ان ابليس رنّ اربع رنّات رنّة حين لُعِن ورنّة حين أُهبط ورنّة حين وُلد رسول الله صلعم ورنّة حين أُنزلت فاتحة الكتاب

قال ابن اسحاق فلما وضعته أمّه أرسلت الى جدّه عبد المطلب انه قد وُلد لك غلام فأتِه فانظرْ اليه فأتاه ونظر اليه وحدّثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أُمِرَتْ ان تُسَمِّيَه

فيزعمون ان عبد المطلب اخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله ويتشكّر له ما اعطاه ثم خرج به الى أمّه فدفعه اليها

ويروى ان عبد المطلب انما سمّاه محمداً لرؤيا رآها زعموا انه أُرِى فى منامه كأنّ سلسلة من فضّة خرجتْ من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نورٌ وإذا اهل المشرق والمغرب يتعلّقون بها فقصّها فعُبّرتْ له بمولود يكون من صُلْبه يتبعه اهل

المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذلك سمّاه محمداً مع ما حدثته به أمّه ولا يُعرف في العرب احدٌ تُسمّى بهذا الاسم قبله سوى نفر سمّوا به من اجله منهم محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي ومحمد بن أُحَيحة بن الجلاح وآخر من ربيعة وكان أباؤهم قد وفدوا على بعض الملوك ممّن كان عنده علمٌ بالكتاب الأول فأخبرهم بمبعث النبي صلعم وتقارُب زمانه وباسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امراته حاملاً فنذر كل واحد منهم إن وُلد له ذَكَرٌ ان يسمّيه محمداً ففعلوا ذلك رجاءً ان يكون هو والله اعلم حيث يجعل رسالته

وقد وقع في موضع اخر ان هولاء النفر كانوا اربعة ولم يذكر فيهم محمد بن أحيحة وحديثهم مخالف لما ذكرناه خلافا يسيرا

وروينا من حديث عبد الملك بن ابي سِوَية عن ابيه عن جدّه قال سالتُ محمد بن عديّ بن ربيعة كيف سمّاك ابوك محمداً فقال سالتُ ابي عمّا سالتَني عنه فقال خرجتُ رابعَ اربعة من بني تميم انا فيهم وسفيان بن مجاشع بن دارم وأسامة بن

مالك بن خندف ويزيد بن ربيعة نُريد ابن جفنة ملك غسّان
فلما شارفنا الشام نزلنا الى غدير عليه شجرات وقربه شخصٌ قائم
فتحدّثنا فاستمع كلامنا وأشرف علينا فقال ان هذه لغةٌ ما هى
لغة اهل هذه البلاد فقلنا نحن قوم من مُضَر قال من اىّ المضريين
قلنا من خِندِف قال اما انه يُبعث فيكم وشيكاً نبىٌّ خاتم النبيين
فسارعوا اليه وخذوا بحظّكم منه ترشدوا فقلتُ له ما اسمه قال
محمد فرجعنا من عند ابن جفنة فوُلد لكلّ رجل منّا ابنٌ فسمّاه محمداً
والتمس لرسول الله صلعم الرُضَعاءُ فاسترضِع له امرأةٌ من بنى
سعد بن بكر يقال لها حليمة بنت ابى ذُؤَيب وكانت تحدّث انها
خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها تُرضِعه فى نسوة من بنى
سعد بن بكر تلتمس الرضعاء قالت وفى سنة شهباءَ لم تُبقِ لنا شيئاً
قالت فخرجتُ على أتان لى قمراءَ معنا شارفٌ لنا والله ما تبضّ بقطرة
وما ننام ليلنا اجمع مع صبيّنا الذى معنا من بكائه من الجوع ما فى
ثديَىّ ما يُغنيه وما فى شارفنا ما يُغذّيه ولكنّا نرجو الغيثَ والفرج
فخرجتُ على اتانى تلك فلقد أدمتُ بالركب حتى شقّ ذلك

عليهم ضُعفاً وعجفاً حتى قدمنا مكّة نلتمس الرضعاء فما منّا امراة الا وقد عُرِض عليها رسول الله صلعم فتأباه اذا قيل لها انه يتيمٌ وذلك أنّا انما كنّا نرجو المعروف من ابى الصبىّ فكنّا نقول يتيمٌ ما عسى ان تصنع امّه وجدّه فكنّا نكرهه لذلك فما بقيت امراة قدمتْ معى الا أخذت رضيعاً غيرى فلما اجمعنا الانطلاق قلتُ لصاحبى والله انى لَأَكرَهُ ان ارجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعاً والله لاذهبنّ الى ذلك اليتيم فلآخذنّه قال لا عليك ان تفعلى عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة قالت فذهبتُ اليه فاخذتُه وما حملنى على أخذه الا انى لم اجد غيره فلما اخذتُه رجعتُ به الى رحْلى فلما وضعتُه فى حجرى اقبل عليه ثدياىَ بما شاء من لبن فشرب حتى روى وشرب معه اخوه حتى روى ثم ناما وما كنّا ننام معه قبل ذلك وقام زوجى الى شارفنا تلك فاذا انها لحافلٌ فحلب منها ما شرب وشربتُ حتى انتهينا ريّاً وشِبَعاً فبِتنا بخير ليلة يقول صاحبى حين اصبحنا تعلّمى والله يا حليمة لقد اخذتِ نسمة مباركة قلتُ والله انى لأرجو ذلك ثم خرجنا وركبتُ اتانى

وحملته عليها معى فوالله لقطعتُ بالركب ما يقدر على شيء من
حُمُرهم حتى ان صواحبى ليَقُلْنَ لى يا بنت ابى ذُؤيب ويحك
اربعى علينا اليَسَتْ هذه اتانُكِ التى كنتِ خرجتِ عليها فأقول
لهنّ بلى والله انها لهى فيَقُلْنَ والله ان لها لشأناً قالت ثم قدمنا
منازلنا من بنى سعد وما اعلم ارضاً من ارض الله أجذب منها فكانت
غنمى تروح علىّ حين قدمنا به معنا شِباعاً لُبّاناً فنحلب ونشرب وما
يحلب انسان قطرةً من لبن ولا يجدها فى ضرع حتى كان الحاضر
من قومنا يقولون لرُعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت ابى
ذؤيب فتروح اغنامُهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمى شباعاً لبّاناً
فلم نزل نتعرّف من الله الزيادة والخيرة حتى مضت سَنَتَاه و فصلْتُه
وكان يشبّ شباباً لا يشبّه الغلمانُ فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً
جفْراً فقدمنا به على امّه ونحن أحرصُ شيءٍ على مكثه فينا لما كنّا نرى
من بركته فكلّمنا امّه وقلتُ لها لو تركتِ بنىّ عندى حتى يغلظ
فانى اخشى عليه وباء مكّة فلم نزل بها حتى ردّته معنا فرجعنا به فوالله
انه بعد مقْدمنا به بأشهرٍ مع اخيه لفى بَهْمٍ لنا خلف بيوتنا اذ اتانا

اخوه يشتد فقال لى ولأبيه ذلك اخى القرشى قد اخذه رجلان
عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه قالت فخرجتُ
انا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً منتقعًا وجْهُه قالت فالتزمتُه والتزمه ابوه
فقُلنا ما لك يا بُنَىّ قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى
فشقّا بطنى فالتمسا فيه شيئا ما ادرى ما هو قالت فرجعنا به الى خبائنا
وقال لى ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد أُصيب
فألحِقيه بأهله قبل ان يظهر ذلك به قالت فاحتملناه فقدمنا به على
امّه فقالت ما اقدمكِ به يا ظئر ولقد كنتِ حريصة عليه وعلى مكْثه عندك
قلتُ قد بلغ اللهُ بآبنى وقضيتُ الذى علىّ وتخوّفت الاحداث عليه
فأدّيته عليك كما تُحبّين قالت ما هذا شأنك فاصدقينى خبرك
قالت فلم تَدَعْنى حتى اخبرتُها قالت افتخوّفتِ عليه الشيطانَ
قلتُ نعم قالت كلّا والله ما للشيطان عليه سبيلٌ وان لبُنَىّ لشأناً افلا
اخبرُك خبره قلت بلى قالت رايتُ حين حملتُ به انه خرج منّى
نورٌ اضاء لى قصورَ بُصرَى من ارض الشام ثم حملتُ به فوالله ما رايت

من حمل قط كان اخف ولا ايسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضعٌ يديه بالأرض رافعٌ راسه الى السماء دَعِيهِ عنك وانطلقى راشدةً

ويروى ان نفرًا من اصحاب رسول الله صلعم قالوا يا رسول الله اخبرْنا عن نفسك قال نعم انا دعْوة ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم ورأتْ امّى حين حملتْ بى انه خرج منها نورٌ أضاء لها قصور الشام واستُرضِعْتُ فى بنى سعد بن بكر فبينما انا مع اخ لى خلف بيوتنا نرعَى بَهْماً لنا أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطَسْت من ذهب مملوءة ثلجًا فأخذانى فشقّا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقّاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى انقياه ثم قال احدهما لصاحبه زِنْه بعشرة من أمّته فوَزَنَنى بعشرة فوزنتُهم ثم قال زِنْه بمائة من امّته فوزننى بهم فوزنتُهم ثم قال زِنْه بألف من امّته فوزننى بهم فوزنتهم فقال دعْه عنك فلو وزنتَه بأمّته لوَزَنَها

وكان رسول الله صلعم يقول ما من نبىّ الا وقد رعَى الغنم قيل وانت يا رسول الله قال وانا وكان يقول لأصحابه انا أعْربُكم انا قرشىّ واستُرضِعتُ فى بنى سعد بن بكر

وزعم الناس فيما يتحدّثون والله اعلم ان امّه السعدية لما قدمت به مكّة أضلّها فى الناس وهى مُقبلة به نحو اهله فالتمسته فلم تجده فأتت عبدَ المطلب فقالت له انى قدمتُ بمحمّد هذه الليلة فلما كنتُ بأعلَى مكّة أضلّنى فوالله ما ادرى اين هو فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله ان يردّه فيزعمون انه وجده وَرَقَةُ بن نوفل ورجلٌ اخر من قريش فأتيا به عبدَ المطلب فقالا هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة فأخذه عبد المطلب فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة ويعوّذه ويدعو له ثم ارسل به الى امّه آمنة

وذكر بعض اهل العلم ان ممّا هاج امّه السعدية على ردّه مع ما ذكرتْ لأمّه مما اخبرتْها عنه ان نفرًا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعتْ به بعد فِطامه فنظروا اليه وسالوها عنه وقلّبوه ثم قالوا لها لَنأخُذَنّ هذا الغلام فلنَذهبَنّ به الى ملكنا وبلدنا فان هذا غلامٌ كائنٌ له شأنٌ نحن نعرف امره فلم تَكَدْ تنفلت به منهم

وذكر الواقدى ان امّه حليمة السعدية بعد ان رجعتْ به من عند امّه حضرت به سوق ذى المجاز وبها يومئذ عرّاف من هوازن يؤتَى

اليه بالصبيان ينظر اليهم فلما نظر الى رسول الله صلعم وإلى الحُمرة فى عينيه والى خاتم النبوّة صاح يا معشر العرب فاجتمع اليه اهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبىّ وانسلّت به حليمةُ فجعل الناس يقولون اىّ صبىّ هو فيقول هذا الصبى فلا يرون شيئا قد انطلقت به امّه فيقال له ما هو فيقول رايتُ غلاماً وآلهته ليغلبنّ اهل دينكم وليكسرنّ أصنامكم وليظهرنّ أمْره عليكم فطُلِب بعُكاظ فلم يُوجَد ورجعت به حليمة الى منزلها فكانت بعد هذا لا تعرضه لأحد من الناس ولقد نزل بهم عرّاف فأخرِج اليه صبيان اهل الحاضر وأبت حليمة ان تُخرِجه اليه الى ان غفلت عن رسول الله صلعم فخرج من المظلّة فرآه العرّاف فدعاه فأبى رسول الله صلعم ودخل الخيمة فجهد بهم العراف ان يُخرَج اليه فأبت فقال هذا نبىّ

وقد عرضه عمّه ابو طالب على عائف من لهب كان اذا قدم مكة اتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويعتاف لهم فأتاه به ابو طالب وهو غلام مع مَن ياتيه قال فنظر الى رسول الله صلعم ثم شغله عنه شىء فقال اين الغلام علىّ به فلما رأى ابو طالب حرصه عليه غيّبه عنه فجعل

يقول ويلكم ردّوا عليّ الغلام الذى رايتُ آنفاً فوالله ليكوننّ له شأن وانطلق به ابوطالب

وكانت حليمة بعد رجوعها به من مكّة لا تدَعُه ان يذهب مكاناً بعيداً فغفلت عنه يوماً فى الظهيرة فخرجت تطلبه حتى وجدته مع أخته فقالت فى هذا الحرّ فقالت اختُه يا امّاه ما وجد اخى حرّاً رايتُ غمامةً تظلّه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع تقول امّها احقٌّ يا بُنَيّة قالت اى والله قال تقول حليمة اعوذُ بالله من شر ما يحذر على ابنى

وكان ابن عبّاس رضه يقول رجع الى امّه وهو ابن خمس سنين وكان غيره يقول رُدّ اليها وهو ابن اربع سنين هذا كلّه من الواقدى

قال ابن اسحاق فكان رسول الله صلعم مع امّه آمنة وجدّه عبد المطلب فى كلاءة الله وحفظه ويُنبتُه الله نباتاً حسناً لما يريد به من كرامته فلما بلغ رسول الله صلعم ستّ سنين توفّيت امّه بالأبواء بين مكّة والمدينة وكانت قد قدمت به على اخواله من بنى عدى بن النجّار تُزيرُه ايّاهم فماتت وهى راجعة به الى مكّة فكان رسول الله

صلعم مع جدّه عبد المطلب وكان يُوضَع لعبد المطلب فراش في ظلّ الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه لا يجلس عليه احدٌ من بنيه اجلالاً له فكان رسول الله صلعم ياتى وهو غلام جفرٌ حتى يجلس عليه فياخذه اعمامُه ليؤخّروه فيقول عبد المطلب اذا راى ذلك منهم دعوا ابنى فوالله ان له لشأناً ثم يُجلِسه معه عليه ويمسح ظَهره بيده ويسرّه ما يراه يصنع .

قالوا وكانت أم أيمن تحدّث تقول كنتُ أحضن رسول الله صلعم فغفلتُ عنه يوماً فلم أدرِ الا بعبد المطلب قائماً على راسى يقول يا بركة قلتُ لبّيك قال ندرين اين وجدتُ ابنى قلتُ لا ادرى قال وجدتُه مع غلمان قريباً من السدرة لا تغفلى عن ابنى فانّ اهل الكتاب يزعمون ان ابنى هذا نبيُّ هذه الامّة وأنا لا آمن عليه منهم وكان لا ياكل طعاماً الا قال علىّ بابنى فيُؤتَى به اليه .

وحدث كعب بن مالك عن شيوخ من قومه انهم خرجوا عمّاراً وعبد المطلب يومئذ حيٌّ بمكّة ومعهم رجل من يهود تيماء صحبهم للتجارة يريد مكّة واليمن فنظر الى عبد المطلب فقال انّا نجد في

كتابنا الذى لم يبدل انه يخرج من ضئضئ هذا نبىٌّ يقتلنا وقومه قتل عادٍ

وجلس عبد المطلب يوما فى الحجْر وعنده أسقف نجران وكان صديقاً له وهو يحادثه ويقول انا نجد صفة نبىّ بقى من ولد اسماعيل هذا مولده من صفته كذا وكذا وأتى رسول الله صلعم على هذا الحديث فنظر اليه الأسقف وإلى عينيه وإلى ظهره وإلى قدميه فقال هو هذا فقال الأسقف ما هذا منك قال ابنى قال الأسقف لا ما نجد اباه حيّاً قال عبد المطلب هو ابن ابنى مات ابوه وامّه حُبلى به قال صدقتَ قال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن اخيكم ألا تسمعون ما يقال فيه

وخرج رسول الله صلعم يوما يلعب مع الغلمان حتى بلغ الردْم فرآه قوم من بنى مُدْلج فدعوه فنظروا الى قدميه والى اثره ثم خرجوا فى طلبه حتى صادفوا عبد المطلب قد لقيه فاعتنقه فقالوا لعبد المطلب ما هذا منك قال ابنى قالوا فاحتفظْ به فانّا لم نَرَ قَدَماً قطّ أشبه بالقدم الذى فى المقام من قدمه فقال عبد المطلب لأبى طالب اسمعْ ما يقول هولاء فكان ابو طالب يحتفظ به .

وقد روى ابو داوود السجستانى من حديث ابن عباس رضه قال اتى نفر من قريش امرأةً كاهنة فقالوا اخبرينا بأقربنا شبهاً بصاحب هذا المقام قالت ان جررتم على السهْلة عباءةً ومشيتم عليها أنبأتكم بأقربكم شبهاً به فجرّوا عليها عباءةً ثم مشوا عليها فرأتْ أثر قدم محمد صلعم فقالت هذا والله اقربكم شبهاً به

قال ابن عباس فمكثوا بعد عشرين سنة ثم بُعِث محمد صلعم

ولما ظهر سيف بن ذى يزن على الحبشة وذلك بعد مولد النبى صلعم أتتْه وفود العرب وأشرافها وشعراؤها يهنئونه ويمدحونه ويذكرون ما كان من حسن بلائه وطلبه بِثار قومه فأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم فى اناس من وجوه قريش فقدموا عليه صنعاء فأذن لهم فلما دخلوا عليه دنا عبد المطلب منه فاستأذنه فى الكلام فقال ان كنتَ ممّن يتكلّم بين يدى الملوك فقد أذنّا لك فقال عبد المطلب ان الله قد احلّك ايها الملك محلّاً رفيعاً، صعباً منيعاً، شامخاً باذخاً، وأنبتك نباتاً حسناً، طابتْ أرومتُه، وعزّتْ جرثومتُه، وثَبَتَ أصلُه، وبسق فرعُه، فى أكرم موطن، وأطيب

معدن، وأنت أيها الملك راسُ العرب الذى به تنقاد، وعمودها الذى عليه العماد، ومَعقِلها الذى اليه يلجأ العباد، سلفُك خير سلف، وأنت لنا منه خير خلف، فلن يخمل مَن انت سلفه، ولن يهلك من انت خلفه، نحن ايها الملك اهلُ حرمِ الله وسدنةُ بيته، اشخصَنا اليك الذى انهجنا، بكشف الكرب الذى فدحنا، فنحن وفدُ التهنية، ولا وفد الرزيّة، فقال له سيفُ وأيّهم انت ايها المتكلم فقال انا عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا قال نعم قال أدْنُه فأدناه ثم اقبل عليه وعلى القوم فقال لهم مرحباً وأهلاً قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم وانتم اهل الليل والنهار فلَكُم الكرامة ما أقمتم والحِباءُ اذ ظعنتم ثم انهضوا الى دار الضيافة والوفود فأقاموا شهراً لا يَصِلون اليه ولا يأذن لهم بالانصراف ثم انتبه انتباهةً فأرسل الى عبد المطلب فقال له انى مفوّضٌ اليك من سرّ علمى سرًّا لو يكون غيرك لم أبُح له به ولاكنى رايتُك معْدنه فأطلعتُك عليه فليكن عندك مكتوماً حتى يأذن الله فيه فإن الله بالغُ أمرَه، انى أجِدُ فى الكتاب المكنون،

والعلم المخزون، الذى اخترناه لأنفسنا، واجتبيناه دون غيرنا، خبراً عظيماً، وخطراً جسيماً، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة، للناس عامّة، ولرهطك كافة، ولك خاصة. فقال له عبد المطلب مثلك ايها الملك سرّ وبرّ، فما هو فداك اهل الوبر، زُمَراً بعد زمر، فقال له اذا وُلد بتهامة، غلامٌ بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة، الى يوم القيامة، فقال له عبد المطلب لقد أبتَ بخير ما آبَ بمثله وافد ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من ساره اياى ما ازدادُ به سروراً فقال له ابن ذى يزن هذا حِينُه الذى يُولد فيه او قد وُلِدَ، اسمه محمدٌ، يموت ابوه وأمّه، ويكفله جدّه وعمّه، قد ولدناه مراراً، والله باعثه جهاراً، وجاعلٌ له منّا أنصاراً، يعزّ بهم أولياؤه، ويذلّ بهم أعداؤه، يضرب بهم الناسَ عن عرض، ويستبيح بهم كرائم الأرض، ويكسر الصلبان، ويخمد النيران، ويعبد الرحمان، ويدحر الشيطان، قولُه فصْل، وحكمه عدْل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويُبطله، فقال له عبد المطلب، عَزَّ جدُّك، وعلا كعْبك، ودام مُلْكك، وطال عمرك، فهل المَلِك سائرى بافصاح، فقد أوضح لى

بعض الايضاح، فقال له ابن ذى يزن، والبيت ذى الحُجُب، والعلامات والنُصُب، انّك يا عبد المطلب، لَجَدّه غير الكذِب، فخرّ عبد المطلب ساجداً فقال له ارفعْ راسكَ، ثلج صدرك، وعلا امرك، هل أحسَستَ بشيء مما ذكرتُ لكَ، فقال عبد المطلب كان لى ابن وكنت عنه راضياً فزوّجته كريمةً من كرائم قومه فجاءت بغلام فسمّيته محمداً فمات ابوه وأمّه وكفلته انا فقال له ابن ذى يزن انّ الذى قلتُ لك كما قلتُ فاحتفظْ بابنك واحذرْ عليه اليهودَ فانّهم أعداؤه ولن يجعل الله عليه سبيلا واطْوِ ما ذكرتُ لكَ دون هولاء الرهط الذين معك فانّى لا آمن ان تدخلهم النفاسة من ان تكون لكم الرياسة فيطلبون له الغوائل وينصبون له الحبائل وهُم فاعلون وأبناؤهم ولولا انى أعلم ان الموت مخترمي قبل مبعثه لسِرْتُ بخيلى ورَجْلى حتى أصير بيَثْرِب دارِ مُلكه فانّى اجدُ فى الكتاب الناطق والعلم السابق ان بيثرب استحكام أمره وأهل النصرة له وموضع قبره ولولا انى اخافُ عليه الآفات واحذرُ عليه العاهات لأعلَنتُ على حداثة سنّه بذكره ولكنى صارفُ ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم

أمر لكلّ رجل من القوم بعشرة أعبُد وعشرة اماءٍ وحِلس من البرود ومائة من الإبل وخمسة أرطال ذهباً وعشرة أرطال فضّة وكرش مملؤة عنبراً وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك كلّه وقال له اذا حال الحول فائتِني فمات ابن ذى يزن قبل ان يحول الحول فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول يا معشر قريش لا يغبطني احدُكم بِجزيل عطاء الملِك وإن كثر فانّه الى نفاد ولكن ليغبطني بما يبقى لى ولعقبى من بعدى ذكرُه وفخْره وشرفه فاذا قيل له ما ذلك قال لهم ستعلمون نبأه ولو بعد حين وحديث سيف بن ذى يزن هذا عن غير ابن اسحاق وهو عندنا بالاسناد

وقد تقدّم ما ألقاه تبّع الاخر الى ملوك حِميرَ وأبنائهم من امر رسول الله صلعم وان علم سيف بذلك انما كان من تلك الجهة والله اعلم

ثم ان عبد المطلب بن هاشم هلك عن سنّ عالية مختلف فى حقيقتها أدناها فيما انتهى الىّ ووقفتُ عليه خمس وتسعون سنة ذكره الزبير وأعلاها فيما ذكره الزبير ايضا عن نوفل بن عُمارة قال كان عبيد بن

الأبرص ترب عبد المطلب وبلغ عبيد مائة وعشرين سنة وبقى عبد المطلب بعده عشرين سنة

وقال محمد بن سعيد بن المسيّب رح لمّا حضرت الوفاة عبدَ المطلب وعرف انه ميتٌ جمع بناته وكُنّ ستّا صفيّة وبرّة وعاتكة وأم حكيم البيضاء وأُمَيمَة وأَروَى فقال لهنّ ابكين علىّ حتى أسمع ما تَقُلْن قبل ان أموت فقالت كل واحدة منهنّ شعراً ترثيه به وأنشدته اياه فأشار براسه وقد أُصمِتَ ان هكذا فابكينني

ذكر ابن اسحاق تلك الأشعار وقال ابن هشام انه لم ير احداً من اهل العلم بالشعر يعرفها

وقال ابن اسحاق وقال حُذيفة بن غانم اخو بنى عدى بن كعب يبكى عبد المطلب بن هاشم ويذكر فضله وفضل قُصَىّ على قريش وفضل ولده من بعده عليهم

أَعَيْنَىَّ جُودا بالدموع على الصدر * ولا تسأما أُسْقِيتُما سَبَل القطر

وجودا بدمع واسفحا كلّ شارق * بُكاء امرىءٍ لم يَشوِهِ نائبُ الدهر

وسُحّا وجُمّا واسجُما ما بقيتُما * على ذى حياء من قريش وذى سِتر

على رجلٍ جلدِ القوى ذى حفيظة * جميل المُحَيّا غير نِكْس ولا هذْر
على خير حافٍ من مَعَدّ وناعل * كريم المساعى طيّب الخيم والنجْر
على شيبة الحمد الذى كان وجْهُه * يُضيء سواد الليل كالقمر البدر
وساقى الحجيج ثم للخير هاشم * وعبد مناف ذلك السيّد القهر
طَوَى زمزماً عند المقام فاصبحت * سقايته فخراً على كل ذى فخر
ليَبْكِ عليه كلّ عانٍ بكُرْبَةٍ * وآل قُصَىّ من مُقِلّ وذى وفر
بنوه سُراةٌ كَهْلُهُم وشبابُهم * تَفَلَّقُ عنهم بيضة الطائر الصقر
قُصَىّ الذى عادَى كنانة كلَّها * ورابط بيت الله فى العُسْر واليُسْر
فإن تك غالته المنايا وصرْفُها * فقد عاش ميمونَ النقيبة والأمر
وأبقى رجالاً سادةً غيرَ عُزّلٍ * مصاليتَ امثالَ الرُدَينية السُمْر
ابو عُتبة المُلْقى الىّ حِباءه * أغَرّ هِجَانُ اللون من نَفَرٍ غُرّ
وحمزةُ مثلُ البدر يهتزّ للندَى * نَقِىّ الثياب والذمام من الغدر
وعبد مناف ماجد ذو حفيظة * وصولٌ لذى القُربى رحيمٌ بذى الصهر
كُهولُهم خير الكهول ونَسْلُهم * كنَسْل الملوك لا تَبُورُ ولا تَحْرِ

متى ما تُلاقى منهمُ الدهرَ ناشياً * تَجِدْه بإجريّا اوائله يَجْرِ

هُمُ مَلَئوا البطحاء مجداً وعزّةً * اذا استُبِقَ الخيرات فى سالف العصر

وهُمْ حضروا والناسُ بادٍ فريقُهم * وليس بها الا شيوخ بنى عَمْرو

بَنَوها دياراً جمّةً وطَوَوا بها * بِئاراً تَسُحّ الماءَ من ثَبَج بحر

لكى يشرب الحجاجُ منها وغيرهم * اذا ابتدروها صُبْحَ تابعةِ النحر

ثلاثة ايام تظلّ ركابُهم * مُخَيَّسةً بين الأخاشب والحِجر

وقِدْماً غنينا قبل ذلك حِقْبَةً * ولا نستقى الا بخُمّ او الحفر

همُ يغفرون الذنب يُنقَمُ دونه * ويَعْفون عن قول السفاهة الهُجْر

أخارجَ إمّا أهْلِكَنّ فلا تزل * لهم شاكراً حتى تُغَيَّبَ فى القبر

ولا تنْسَ ما أسْدَى ابنُ لُبنَى فانّه * قد أسدى يداً محقوقةً منك بالشُكر

وأنت ابنُ لُبْنَى من قُصَىّ اذا انتموا * بحيث انتهى قصدُ الفؤاد من الصدر

وأمّك سِرٌّ من خُزاعة جَوهَر * اذا حصّل الأنسابَ يوماً ذوو الخُبْر

الى سبأ الأبطال تُنمى وتَنْتَمى * وأكرِمْ بها منسوبةً فى ذُرَى الزُهْر

ابن لُبْنَى هو ابو لهب عبد العُزّى بن عبد المطلب وهو ابو عتبة الذى

ذكره قبل فى هذا الشعر وكانت امّه امراة من خزاعة اسمها لُبْنَى بنت هاجر ولذلك قال وأمّك سِرٌّ من خزاعة ونماها الى سباء الأبطال بناءً على ما قدمناه فى انتماء خزاعة الى عمرو بن عامر من غسّان وانتفائهم من المُضَرِيّة واليد التى ذكر هذا الشاعر انها ترتّبت عليه لأبى لهب

وذكر ابن اسحاق انه كان أُخذ بغُرْم اربعة آلاف درهم بمكّة فوقف بها فمرّ به ابو لهب فافتكّه ونسب الزبير هذا الشعر لحذافة بن غانم ودليله قوله أخارِجَ إمّا أهلِكَنّ البيت فانّ خارجة هو ابن حذافة وحُذَيفة الذى نسب ابن اسحاق اليه الشعر هو اخو حذافة ولا يعرف له ابنٌ يُسَمَّى خارجة وانما هو والد ابى جهم بن حذيفة واسم ابى جهم عبيد وهو الذى بعث اليه رسول الله صلعم بالخميصة ذات الأعلام التى الهته عن صلاته وأمر ان يؤتى بأنبجانية

ولما هلك عبد المطلب ولى زمْزم والسقاية عليهما ابنه العبّاس وهو يومئذ من أحدَث اخوته سنًّا فلم تزل اليه حتى قام الاسلام وهى بيده فأقرّهما له رسول الله صلعم له على ما مضى من ولايته وكان رسول الله صلعم يُجلّه إجلال الولدِ الوالدَ ولذلك يقول كُرَيبٌ مولى ابن عباس

وما ينبغى لرسول الله صلعم ان يُجلّ الا والداً او عمّاً فضيلةً خصّ اللهُ بها العباسَ دون من سواه وقال صلعم احفظونى فى عمّى العباس فانّ عمّ الرجل صِنْوُ أبيه وطلع يوماً على رسول الله صلعم فقال هذا العباس أجوَدُ قريش كفًّا وأوصلها ولم يزل العباس سيّداً فى الجاهلية والاسلام يمنع الجارَ ويبذل المال ويعطى فى النوائب وقال الزبير وكان يقال كان للعباس بن عبد المطلب ثوب لِعارى بنى هاشم وجفْنة لجائعهم ومقطرة لجاهلهم والمقطرةُ خشبةٌ ذات سلسلة يُحبَس فيها الناس وفى ذلك يقول ابراهيم بن على بن هرمة

وكانتْ لِعبّاسٍ ثلاثٌ نَعُدّها * اذاما جنابُ الحىّ أصبح أشهَبا
فسلسِلَة تنهى الظلوم وجفنةٌ * تُناخُ فيكسوها السنام المرعّبا
وحُلّةُ عصْب ما تزال معدّةً * لِعارٍ ضريكٍ ثوبه قد تهذّبا

وقال ابن شهاب لقد جاء الله بالاسلام وإنّ جفنة العباس لتدور على فقراء بنى هاشم وانّ قيْده وسوطه لمعدّ لِسفهائهم قال فكان ابن عُمَر يقول هذا والله الشرف يُطعِم الجائع ويؤدّب السفيه وكان ابو

بكر وعُمَر رضهما فى ولايتهما لا يَلقَى العباس واحدُ منهما وهو راكب الا نزل عن دابته وقادها ومشى مع العباس حتى يَبلُغ منزله أو مجلسه فيفارقه

وبقى رسول الله صلعم بعد مهلك جدّه عبد المطلب مع عمّه ابى طالب فكان عبد المطلب يوصيه به فيما يزعمون وذلك ان عبد الله ابا رسول الله صلعم وأبا طالب اخَوَان لأبٍ وأمّ فكان ابو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلعم بعد جدّه فكان اليه ومعه

وذكر الواقدى ان ابا طالب كان مُقِلًّا من المال وكانت له قطعة من الابل تكون بعُرَنَة فيغدو اليها فيكون فيها ويُؤتَى بلبنها اذا كان حاضراً بمكّة فكان عيال ابى طالب اذا اكلوا جميعاً او فُرادَى لم يشبعوا وإذا اكل معهم رسول الله صلعم شبعوا فكان ابو طالب اذا اراد ان يعشّيهم او يغدّيهم يقول كما انتم حتى ياتى ابنى فياتى رسول الله صلعم فياكل معهم فيفضلون من طعامهم وإن كان لبناً شرب رسول الله صلعم أولّهم ثم يناول العيال القعْب فيشربون منه فيرْوَوْن من عند اخرهم من القعب الواحد وإن كان احدهم ليشرب قعباً وحده

فيقول ابو طالب انه لمبارك وكان الصبيان يُصبحون شعثاً رمصاً ويُصبِح رسول الله صلعم دهيناً كحيلاً

وقالت ام ايمن وكانت تحضن رسول الله ما رايتُ رسول الله صلعم شكا جوعاً قط ولا عطشاً وكان يغدو اذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربةً فربّما عرضنا عليه الغداء فيقول لا أُريدُه انا شبعان

قال ابن اسحاق ثم ان ابا طالب خرج فى ركب تاجراً الى الشام فلما تهيّأ للرحيل صبّ به رسول الله صلعم فيما يزعمون فرّق له ابو طالب وقال والله لأخرُجَنّ به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه ابداً او كما قال فخرج به معه فلما نزل الركب بُصرَى من ارض الشام وبها راهبٌ يقال له بَحيرا فى صومعة له وكان اليه علم اهل النصرانية ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قط راهبٌ اليه يصير علمُهم عن كتاب فيها فيما يزعمون يتوارثونه كابراً عن كابر فلما نزلوا ذلك العام ببَحيرا وكانوا كثيراً ما يمرّون به قبل ذلك فلا يكلّمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً وذلك فيما يزعمون عن شىء رآه وهو فى صومعته

يزعمون انه رأى رسول الله صلعم فى الركب حين اقبلوا وغمامةٌ تُظِلّه من بين القوم ثم اقبلوا فنزلوا فى ظلّ شجرة قريباً منه فنظر الى الغمامة حين اظلّت الشجرة وتهصّرتْ اغصانُ الشجرة على رسول الله صلعم حتى استظلّ تحتها فلما راى ذلك بَحيرا نزل من صومعته وقد امر بذلك الطعام فصُنع ثم ارسل اليهم فقال انّى قد صنعتُ لكم طعاماً يا معشر قريش وأُحبّ ان تحضروا كلّكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحرّكم فقال رجل منهم والله والله يا بَحيرا ان لك اليوم لشأناً ما كنتَ تصنع هذا بنا وقد كُنّ نمرّ بك كثيراً فما شانك اليوم قال له بَحيرا صدقتَ قد كان ما تقول ولكنّكم ضيفٌ وقد احببتُ ان أُكرِمَكم وأصنع لكم طعاماً فتاكلوا منه كلكّم فاجتمعوا اليه وتخلّف رسول الله صلعم من بين القوم لِحداثة سِنّه فى رحال القوم فلما نظر بَحيرا فى القوم لم يرَ الصِفَة التى يعرف ويجد عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلّفنّ احدٌ منكم عن طعامى قالوا له يا بَحيرا ما تخلّف عنك احدٌ ينبغى له ان ياتيك الا غلامٌ وهو احدثُ القوم سنّاً فتخلّف فى رحالهم قال لا تفعلوا آدْعوه فلْيَحضُرْ هذا الطعامَ

معكم فقال رجل من قريش واللّات والعُزّى ان كان لَلُؤماً بنا ان يتخلّف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضَنَه وأجلسه مع القوم فلما راه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر الى اشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرّقوا قام اليه بحيرا فقال له يا غلام اسالك بحق اللّات والعزّى الّا ما أخبرتَنى عمّا أسالك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانّه سمع قومَه يحلفون بهما فزعموا ان رسول الله صلعم قال لا تسالنى باللّات والعزّى شيئاً فوالله ما أبغضتُ شيئاً قط بُغْضَهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتنى عمّا أسالك عنه قال له سَلْنى عما بدا لك فجعل يساله عن اشياءَ من حاله فى نومه وهيئته وأموره ويُخبِره رسول الله صلعم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوّة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده فلما فرغ اقبل على عمّه ابى طالب فقال ما هذا الغلام منك قال ابنى قال ما هو بآبنك وما ينبغى لهذا الغلام ان يكون ابوه حيًّا فانه ابن اخى قال فما فعل ابوه قال مات وأمّه حُبلَى به قال صدقتَ فارجِعْ

بابن اخيك الى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما
عرفت ليبغُنّه شرًّا فانه كائنٌ لابن اخيك هذا شانٌ عظيم فأسرعْ
به الى بلاده فخرج به عمّه ابو طالب سريعاً حتى اقدمه مكّة حين
فرغ من تجارته بالشام فزعموا ان نفراً من اهل الكتاب قد كانوا راوا
من رسول الله صلعم مثل ما راى بَحيرا فى ذلك السفر الذى كان فيه
مع عمّه ابى طالب فارادوه فردّهم عنه بحيرا وذكّرهم الله وما يجدون
فى الكتاب من ذكره وصفاته وانهم ان اجمعوا لما ارادوا لم يخلصوا اليه
حتى عرفوا ما قال لهم وصدّقوا بما قال فتركوه وانصرفوا عنه فشبّ رسول
الله صلعم ويَكْلَؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية لما يريد به
من كرامته ورسالته حتى بلغ ان كان رجلاً افضل قومه مروؤةً وأحسنهم
خُلقاً وأكرمهم حسباً وأحسنهم جواراً وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثا
وأعظمهم امانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنّس الرجالَ تنزّهاً
وتكرّماً حتى ما اسمُه فى قومه الا الامينُ لما جمع الله فيه من الامور الصالحة
وكان رسول الله صلعم يحدّث عما كان الله يحفظه به فى صغره وأمر
جاهليته انه قال لقد رايتنى فى غلمان قريش تنقل حجارة لبعض ما

يلعب به الغلمان كلّنا قد تعرّى وأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فانّى لأقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمنى لاكمٌ ما اراه لكمة وجيعةً ثم قال شُدَّ عليك إزارك قال فاخذته فشددته علىّ ثم جعلتُ احمل الحجارة على رقبتى وإزارى علىّ من بين أصحابى

وذكر البخارى عنه صلعم انه قال ماهممتُ بسوءٍ من امر الجاهلية الا مرّتين وروى غيره ان احدى المرّتين كان فى غنمٍ يرعاها هو وغلام من قريش فقال لصاحبه اكفنى امر الغنم حتى اتى مكّة وكان بها عرس فيه لهو فلما دنا من الدار ليحضر ذلك أُلقِىَ عليه النوم فنام حتى ضربته الشمس عصمةً من الله له والمرّة الاخرى مثل الأولى سواءً

وذكر الواقدى عن امّ ايمن قالت كانت بُوانة صنماً تحضره قريش وتعظّمه وتنسك له وتحلق عنده وتعكف عليه يوماً الى الليل فى كل سنة فكان ابو طالب يحضره مع قومه ويكلّم رسول الله صلعم ان يحضر ذلك العيد معهم فيأبى ذلك قالت حتى رايتُ ابا طالب غضب عليه ورايتُ عمّاته غَضِبْنَ يومئذ اشدّ الغضب وجعلْنَ يقلْنَ انّا لنخاف عليك ممّا تصنع من اجتناب الهتنا ويَقُلْنَ ما نريد يا محمد ان تحضر

لقومك عيداً ولا تُكثِر لهم جمعاً فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع مرعوباً فزِعاً فقُلْنَ له ما دَهَاك قال انى أخشى ان يكون لى لمَمٌ فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذى رايتَ قال انى كلّما دنوتُ من صنمٍ منها تمثّل لى رجلٌ ابيض طويل يصيح بى وراءك يا محمد لا تمسّه قالتْ فما عاد الى عيد لهم حتى نبّىء صلوات الله عليه وعلى آله

ولما بلغ رسول الله صلعم خمساً وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خُوَيلد فيما ذكره غير واحد من اهل العلم

وذكر الواقدى بإسناد له الى نفيسة بنت مُنيّة اخت يعلى بن منية وقد رويناه ايضا من طريق ابى على بن السكن وحديث احدهما داخلٌ فى حديث الاخر مع تقارب اللفظ وربّما زاد احدهما الشىء اليسير وكلاهما ينمى الى نفيسة قالت لما بلغ رسول الله صلعم خمساً وعشرين سنة وليس له بمكّة اسمٌ الا الامين لِما تكاملتْ فيه من خصال الخير قال له ابو طالب يابن اخى انا رجل لا مال لى وقد اشتدّ الزمان علينا والحّتْ علينا سنون مُنكِرة وليست لنا مادّة ولا

تجارة وهذه عِير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة بنت
خويلد تبعث رجالًا من قومك فى عيرها فيتجرون لها فى مالها
ويُصيبون منافع فلو جئتَها فعرضتَ نفسك عليها لَأسرعتْ اليك
وفضّلتْك على غيرك لما بلغها عنك من طهارتك وإن كنتُ لاكره
ان تاتى الشام وأخاف عليك من يهود ولكن لا تجد من ذلك
بُدًّا وكانت خديجة رضها امراة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة
تبعث بها الى الشام فيكون عِيرها كعامّة عير قريش وكانت تستأجر
الرجال وتدفع لهم المال مضاربةً وكانت قريش قوماً تجاراً ومن لم
يكن تاجراً من قريش فليس عندهم بشىء فقال رسول الله صلعم
فلعلّها ترسل الىّ فى ذلك فقال ابو طالب انى اخاف ان تولى غيرك
فتطلب امراً مدبراً فافترقا وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمّه له
وقبل ذلك ما قد بلغها من صدْق حديثه وعظم امانته وكرم أخلاقه
فقالت ما علمتُ انه يريد هذا ثم أرسلت اليه فقالت انه دعانى
الى البعثة اليك ما بلغنى من صدْق حديثك وعظم امانتك وكرم
أخلاقك وأنا أعطيك ضعْف ما أعطى رجلًا من قومك ففعل رسول

الله صلعم ولقى ابا طالب وذكر له ذلك فقال ان هذا لرِزْقٌ ساقه
الله اليك فخرج مع غلامها مَيْسَرَة حتى قدم الشام وجعل عمومته
يوصون به اهل العير حتى قدم الشام فنزلا فى سوق بُصرَى فى ظلّ
شجرة قريباً من صومعة راهبٍ يقال له نَسْطورا فاطّلع الراهب الى
ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة مَن هذا الذى نزل تحت هذه
الشجرة فقال ميسرة رجل من قريش من اهل الحرم فقال له الراهب
ما نزل تحت هذه السجرة الا نبىّ ثم قال له فى عينيه حُمْرة
قال ميسرة نعم لا تفارقه فقال الراهب هو هو وهو اخر الأنبياء ويا ليت
انى أدركه حين يُؤمَر بالخروج فوَعَى ذلك ميسرة ثم حضر رسول الله
صلعم سوقَ بُصرَى فباع سِلْعَته التى خرج بها واشترى سلعة فكان
بينه وبين رجلٍ اختلاف فى سلعة فقال الرجل احلف باللات والعُزّى
فقال رسول الله صلعم ما حلفتُ بهما قطّ فقال الرجل القول قولك ثم
قال لميسرة وخلا به يا ميسرة هذا نبىّ والذى نفسى بيده انه لَهو
تجده أحبارُنا منعوتاً فى كتبهم فوَعَى ذلك ميسرة ثم انصرف اهل

العير جميعاً وكان ميسرة يرى رسول الله صلعم اذا كانت الهاجرة واشتد الحرّ يرى مَلَكَين يظلّانه من الشمس وهو على بعيره

قال وكان الله عز وجل قد القى على رسول الله صلعم المحبّة من ميسرة فكان كأنّه عبدٌ لرسول الله صلعم فلما رجعوا وكانوا بمرّ الظُّهْرانِ تقدّم رسول الله صلعم حتى دخل مكّة في ساعة الظهيرة وخديجة في عليّة لها معها نساء فيهنّ نفيسة بنت مُنية فرأت رسول الله صلعم حين دخل وهو راكب على بعيره ومَلَكان يظلّان عليه فأرته نساءها فعجبْن لذلك ودخل عليها رسول الله صلعم فخبّرها بما ربحوا فسُرّتْ بذلك فلما دخل عليها ميسرةُ اخبرته بما رأت فقال لها ميسرة قد رايتُ هذا منذ خرجنا من الشام وأخبرها بقول الراهب نسْطورا وقول الاخر الذى خالفه فى البيع قالوا وقدم رسول الله صلعم بتجارتها فربحتْ ضعْف ما كانت تربح واضعفتْ له ما سمّتْ له فلما استقرّ عندها هذا وكانت امراةً حزيمة شريفة لبيبة مع ما اراد الله بها من الكرامة والخير وهى يومئذ أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهنّ شرفاً وأكثرهنّ مالاً وكلّ قومها كان حريصاً على نكاحها لو يقدر عليه

عرضتْ عليه نفسها فقالت له فيما يزعمون يابن عمّى انى قد رغبتُ فيك لِقرابتك وصِيتك فى قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدْق حديثك فلما قالت له ذلك ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمّه حمزة بن عبد المطلب رحمه الله حتى دخل على خُوَيلِد بن أسد فخطبها اليه فتزوّجها هكذا ذكر ابن اسحاق

وذكر الواقدى وغيره من حديث نفيسة ان خديجة أرسلت اليه دسيساً فدعته الى تزوّجها فلما أجاب رسول الله صلعم ارسلتْ الى عمّها عمرو بن أسد فحضر ودخل رسول الله صلعم فى عمومته فزوّجه احدُهم وقال عمرو هذا الفحل لا يُقدَع انفُه

قال ابن هشام وأصدقها رسول الله صلعم عشرين بكرة وكانت اوّل امراة تزوّجها ولم يتزوّج عليها غيرها حتى ماتت

قال ابن اسحاق فولدت خديجة لرسول الله صلعم ولدَه كلَّهم الا ابراهيم القاسم وبه كان يكنى صلعم والطاهرَ والطيّب وزَينَب ورُقَيّة وأم كلثوم وفاطمة فأما القاسم والطاهر والطيّب فهلكوا فى الجاهلية وأما

بناته فكلّهنّ أدركن الاسلام فأسلمن وهاجرن معه هذا قول ابن اسحاق في ذكور البنين انهم هلكوا في الجاهلية

وقال الزبير بن بكّار وهو من أئمّة هذا الشان ولدت له القاسم وعبد الله وهو الطاهر والطيّب وُلِدَ بعد النبوّة ومات صغيراً

وفي مسند الفريابي ما يدلّ على انه مات قبل ان تتمّ رضاعته وبعد النبوّة وذلك ان خديجة دخل عليها رسول الله صلعم بعد موت القاسم وهي تبكي عليه فقالت يا رسول الله لو كان عاش حتى تكمّل رضاعته لهوّن عليّ فقال انّ له مُرضِعاً في الجنّة تستكمل رضاعته فقالت لو أعلمُ ذلك لهوّن عليّ فقال ان شئتِ أسمعتُك صوتَه في الجنة فقالت بل أصدّق الله و رسوله

قال ابن هشام وأما ابراهيم فأمّه مارية سُرّية النبي صلعم التي أهداها اليه المُقوقِس من حَفْنَ من كورة أنْصِنا وهي قِبطية من قبط مصر وهذا هو الصهر الذي ذكره لهم رسول الله صلعم في قوله الله الله في اهل الذّمة اهل المَدَرَة السوداء السُحْم الجعاد فإنّ لهم نسباً وصهْراً

قال مولى غُفْرة نسبهُم ان ام اسمعيل النبى عم منهم وصهْرُهم ان رسول الله صلعم تسرّر فيهم

وفى حديث اخر ان رسول الله صلعم قال اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإنّ لهم ذمّةً ورَحِماً

قال ابن اسحاق وكانت خديجة بنت خُوَيلد قد ذكرت لوَرَقة بن نوفل بن اسد بن عبد العُزّى وكان ابنَ عمّه وكان نصرانيا قد تتبّع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامُها مَيسَرة من قول الراهب وما كان يرى منه اذ كان الملكان يظلّانه فقال وَرَقة لئن كان هذا حقّا يا خديجة ان محمداً لنبىُّ هذه الأمّة قد عرفتُ انه كائنٌ لهذه الأمّة نبىٌّ يُنتَظَر هذا زمانه او كما قال فجعل ورقةُ يستبطىء الأمر ويقول حتى متى وقال فى ذلك

لَجِجتُ وكنتُ فى الذِكرَى لَجُوجاً * لِهَمٍّ طال ما بعث النَشيجا
ووَصْفٍ من خديجة بعد وصفٍ * فقد طال انتظارى يا خديجا
ببطْن المكّتين على رجائى * حديثَكِ أن ارى منه خروجا
بما خبّرتِنا من قول قسٍّ * من الرُهبان أكرَهُ ان يَعوجا

بأن محمداً سيَسُود يوماً * ويَخصِم من يكون له حجيجا

ويُظهِر في البلاد ضِياءَ نورٍ * يقيم به البريّة ان تموجا

فيَلقَى من يُحاربه خساراً * ويَلقَى من يسالمه فُلوجا

فيا ليتى اذا ما كان ذاكم * شهدتُ فكُنتُ أوّلهم وُلوجا

ولوجاً في الذى كرِهتْ قريشٌ * ولو عجّت بمكّتها عجيجا

أُرَجّى بالذى كرِهوا جميعاً * الى ذى العرش ان سفلوا عُروجا

وهَل امرُ السفاهة غير كُفرٍ * بمن نختار مَن سَمَكَ البُروجا

فإن يَبقَوا وأَبْقَ تكن أمورٌ * يضِجّ الكافرون لها ضجيجا

وإن أهلِكْ فكلّ فتًى سَيلقَى * من الأقدار مَتْلَفَةً خروجا

وقال ورقة بن نوفل ايضا فى ذلك وهو مما رواه يونس بن بكير عن ابن اسحاق

أتبْكر أم انت العشية رائحُ * وفى الصدر من اضمارك الحزن قادحُ

لِفرقة قوم لا أحبّ فراقهم * كأنّك عنهم بعد يومَين نازح

واخبار صِدْقٍ خَبّرَتْ عن محمد * يخبّرها عنه اذا غاب ناصح

فتاكِ الذى وجّهتِ يا خير حُرّة * بِغَوْرٍ وبالنجدين حيث الصحاصح

الى سوق بُصرى فى الركاب التى غدت * وهنّ من الأحمال قُعْصٌ دوالح
فخبّرنا عن كلّ حَبْرٍ بعلمه * وللحق أبواب لهنّ مفاتح
بأنّ ابن عبد الله أحمد مُرسَل * الى كلّ من ضمّت عليه الأباطح
وظنّى به أن سوف يبعث صادقاً * كما أُرسِلَ العبدانِ هُود وصالح
ومُوسَى وابراهيم حتى يُرَى له * بهاءٌ ومنشورٌ من الذكر واضح
ويتْبعُه حيّاً لُوَىّ بن غالب * شبابُهُمُ والأشيبون الجحاجح
فإن أَبْقَ حتى يدرك الناس دهره * فانّى به مستبشر الود فارح
والا فانّى يا خديجة فاعلمى * عن أرضكِ فى الأرض العريضة سائح

*****

ذكر بنيان قريش الكعبة

مع ذكر ما أحدثوه فى المناسك

ولما بلغ رسول الله صلعم خمساً وعشرين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة

قال موسى بن عقبة وانما حمل قريشاً على بنيانها ان السيل كان اتى من فوق الردم الذى صنعوا فأخربه فخافوا ان يدخلها الماء وكان رجل يقال له مُلَيح سرق طيب الكعبة فأرادوا ان يشيدوا بنيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها الا من شاؤوا وأعدّوا لذلك نفقةً وعمّالاً ثم عمدوا اليها ليهدموها على شفقٍ وحذر من ان يمنعهم الله الذى ارادوا

قال ابن اسحاق وكانوا يهمّون بذلك ويهابون هدمها وانها كانت رضماً فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك ان نفراً سرقوا كنز الكعبة وانما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة قال وكان الذى وُجِد عنده الكنزُ دُوَيك مولًى لبنى مُلَيح بن عمرو من

خزاعة فقطعت قريش يده وتزعم قريش ان الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيك قال وكان البحر قد رمى بسفينة الى جُدّة لرجل من تجار الروم فتحطّمت فأخذوا خشبها فأعدّوه لتسقيفها وكان بمكّة رجل قِبْطىّ نجّار فتهيّأ لهم فى انفسهم بعض ما يُصلِحها وكانت حيّة تخرج من بئر الكعبة التى كان يُطرَح فيها ما يُهدى لها فتتشرّق على جدار الكعبة وكانت مما يهابون وذلك انه كان لا يدنو منها احدٌ الا احزألّت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبينما هى يوماً تتشرّق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله اليها طائراً فاختطفها فذهب بها فقالت قريش انا لَنرجو ان يكون الله قد رضى بما أردنا عندنا عاملٌ رفيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحيّة فلما أجمعوا امرهم فى هدمها وبنيانها قام ابو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تُدخلوا فى بنيانها من كسْبكم الا طيّباً لا تُدخلوا فيها مهْرَ بغيٍ ولا بيع رباً ولا مظلمة احد من الناس والناس ينحلون هذا الكلامَ الوليدَ بن المغيرة بن عبد

الله بن عمر بن مخزوم ثم ان قريشاً تجزّأت الكعبة فكان شقّ الباب لبنى عبد مناف وزُهرة وكان ما بين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضمّوا اليهم وكان ظهر الكعبة لبنى جُمَح وبنى سهْم وكان شقّ الحجر لبنى عبد الدار بن قصى ولبنى اسد بن عبد العزّى بن قصى ولبنى عدى بن كعب وهو الحطيم ثم ان الناس هابوا هدْمها وفرقوا منها فقال الوليد بن المغيرة انا ابدأكم فى هدْمها فأخذ المعْول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم تُرَعْ ويقال لم تَرِعْ اللهم انا لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربّص الناسُ تلك الليلة وقالوا ننظر فإن أصيبَ لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت وإن لم يُصِبْه شىءٌ فقد رضى الله ما صنعنا فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله فهدم وهدم الناسُ معه حتى اذا انتهى الهدمُ بهم الى الأساس اساس ابراهيم عم أفضوا الى حجارة خضْر كالأسنمة آخذ بعضها بعضاً

قال ابن اسحاق فحدثنى بعض من يروى الحديث ان رجلا من قريش ممن كان يهدمها ادخل عَتَلة بين حجرَين منها ليقلع بها

احدهما فلما تحرك الحجرُ ننقضت مكةُ بأسرها فانتهبوا عن ذلك الأساس قال وحُدِّثتُ ان قريشاً وجدوا فى الركن كتاباً بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود فإذا هو انا الله ذو بكّة خلقتُها يوم خلقتُ السموات والأرض وصوّرتُ الشمس والقمر وخففتُها بسبعة أملاك حُنَفاء لا تزول حتى يزول أخشابها مبارَكٌ لأهلها فى الماء واللبن وحُدِّثتُ انهم وجدوا فى المقام كتاباً فيه مكّة الله الحرام يأتيها رزقُها من ثلاث سُبُل لا يُحِلّها أوّل من أهلها

وزعم ليث بن ابى سُلَيم انهم وجدوا حجرا فى الكعبة قبل مبعث النبى صلعم بأربعين سنة إن كان ما ذُكر حقاً مكتوباً فيه من يزرع خيراً يحصد غبْطة ومن يزرع شرًّا يحصد ندامة تعملون السيّئات وتُجزَون الحسنات أَجَل كما يُجتنَى من الشوك العِنَبُ

قال ابن اسحاق ثم ان القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه كلّ قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى تحاوزوا وتحالفوا وأعدّوا للقتال فقرّبت بنو عبد الدار جفنةً مملوءةً دماً ثم

تعاقدوا هم وبنو عدى على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى
تلك الجفنة فسُمّوا لَعَقَةَ الدم فمكث قريش على ذلك اربع ليال او
خمساً ثم انهم اجتمعوا فى المسجد فتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض اهل
الرواية ان ابا امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عامئذ
أسنّ قريش كلّها قال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه
اوّل من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم ففعلوا فكان اوّل
داخلٍ رسول الله صلعم فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمدٌ فلما
انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلعم هلمّ الىّ ثوباً فأُتِى به فأخذ الركن
فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم آرفعوه
جميعاً ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلعم ثم بُنى
عليه

وكانت الكعبة على عهد النبى صلعم ثمانىَ عشرة ذراعاً كانت
يُكسَى القباطىّ ثم كُسِيَت البُرودَ وأوّل من كساها الديباجَ الحجاج بن
يوسف هذا قول ابن اسحاق وقال الزبير بل اوّل من كساها الديباج
عبد الله بن الزبير وذكر جماعة سواهما منهم الدارَقُطنى ان نُتَيلة بنت

جناب امّ العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلت العباس وهو يومئذ صغير فنذرت إن هى وجدته أن تكسوَ الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته وذكر الزبير ان الذى أضلته نُتَيلة بنت جناب انما هو ابنها ضرار بن عبد المطلب شقيق العباس نذرت أن تكسو البيت إن وجدته فكسته حين وجدته ثياباً بيضاً فالله تعالى اعلم

قال ابن اسحاق وكانت قريش لا ادرى أقبْلَ الفيل ام بعده ابتدعت امرَ الحُمْس رأياً رأوه وأدروه فقالوا نحن بنو ابراهيم وأهل الحُرْمة وولاة البيت وقاطنُ مكّة وساكنها فليس لأحد من العرب مثل حقّنا ولا مثل منزلتنا ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا فلا تعظّموا شيئاً من الحلّ كما تعظمون الحرم فانّكم ان فعلتم ذلك استخفّت العربُ بحرْمتكم وقالوا قد عظّموا من الحلّ مثل ما عظّموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها وهم يعرفون ويقرّون انها من المشاعر والحجّ ودين ابراهيم ويرون لسائر العرب ان يقفوا عليها وان يُفيضوا منها الا انهم قالوا نحن اهل الحرم فليس ينبغى لنا ان نخرج من الحرمة ولا نعظّم غيرها كما نعظّمها نحن الحُمس والحمس اهل الحرم

ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحلّ والحرم مثل الذى لهم بولادتهم اياهم يحلّ لهم ما يحلّ لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم وكانت كِنانة وخُزاعة قد دخلوا معهم فى تلك ثم ابتدعوا فى ذلك اموراً لم تكن لهم حتى قالوا لا ينبغى للحمس ان يأتقطوا الأقط ولا يسألوا السمن وهم حُرُم ولا يدخلوا بيتاً من شَعَر ولا يستظلّوا إن استظلّوا الا فى بيوت الأدم ما كانوا حُرُماً ثم رفعوا فى ذلك فقالوا لا ينبغى لاهل الحلّ ان يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاءوا حُجّاجاً او عُمّاراً ولا يطوفوا بالبيت اذا قدموا اوّل طوافهم الا فى ثياب الحُمس فان لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عُراةً فان تكرّم منهم متكرّم من رجل او امراة ولم يجد ثياب أحمس فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحلّ القاها اذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمسّها هو ولا احد غيره ابداً فكانت العرب تسمّى تلك الثياب اللَّقى فحملوا على ذلك العربَ فدانت به فوقفوا على عَرَفات وأفاضوا منها وطافوا بالبيت عُراةً اما الرجال فيطوفون عراة وأما النساء فتضع احداهنّ ثيابها

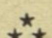
كلّها الا ثوباً مفرّجاً عليها ثم تطوف فيه فكانوا كذلك حتى بعث الله رسوله صلعم فأنزل الله عليه حين احكم له دينه وشرع له سنن حجّه ثم افيضوا من حيث افاض الناس الآية (١) يعنى قريشاً والناس العرب فرفعهم فى سنّة الحجّ الى عرفات والوقوف عليه والإفاضة منها وأنزل عليه فيما كانوا حرّموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عند البيت عُراة وحرّموا ما جاءوا به من الحلّ من الطعام (٢) يا بنى ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا انه لا يحبّ المسرفين قُلْ من حرّم زينة الله التى اخرج لعباده والطيّبات من الرزق الآية كلها فوضع الله امر الحمس وما كانت قريش ابتدعت منه على الناس بالاسلام حين بعث الله رسوله ولم يكن رسول الله صلعم بالموافق قومَه على تغيير مشاعر الحجّ والعدول عن مواقف الناس قال جُبَير بن مُطعِم لقد رايت رسول الله صلعم قبل ان ينزل عليه

---

(١) س ٢ آ ١٩٥

(٢) س ٧ آ ٢٩

الوحى وانه لَواقفٌ على بعيره بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقاً من الله له وقد تقدّم ما أحدثوه فى النسىء وما أبطل الله من حُكمه بقوله سبحانه (١) انما النسىء زيادة فى الكفر يضلّ به الذين كفروا يُحِلّونه عاماً و يحرّمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرّم الله فيُحِلّوا ما حرّم الله زُيّن لهم سوءُ أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين فأغنى ذلك عن اعادته



---

(١) س ٩ آ ٣٧

ذكر ما حفظ عن الاحبار والرهبان

والكهان من امر رسول الله صلعم قبل مبعثه سوى ما تقدّم من ذلك مع ذكر شيء مما سُمِع من ذلك عند الأصنام او هتفت به الهواتف

قال ابن اسحاق وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهّان من العرب قد تحدّثوا بأمر رسول الله صلعم قبل مبعثه لما تقارب من زمانه أما الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى فعمّا وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد انبيائهم اليهم وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع اذ كانت لا تُحجَب عن ذلك وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض اموره لا تُلقِى العربُ لذلك فيه بالًا حتى بعثه الله ووقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون فعرفوها فلما تقارب امر رسول الله صلعم وحضر مبعثه حُجِبت الشياطين عن السمع وحِيلَ بينها وبين المقاعد التى

كانت تقعد فيها لاستراقه فرُموا بالنجوم فعرفت الجنّ ان ذلك لأمر حدث من امر الله فى العباد يقول الله لنبيّه محمد صلعم حين بعثه يقصّ عليه خبر الجنّ اذ حُجِبوا (١) قل أوحى الىّ انه استمع نفر من الجنّ فقالوا انّا سمعنا قراناً عجباً يهدى الى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربّنا احداً وانه تعالى جدّ ربّنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً وانه كان يقول سفيهنا على الله شططاً وانّا ظننّا ان لن تقول الإنس والجنّ على الله كذباً وانه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقاً وانهم ظنّوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احداً وأنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً وأنّا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهاباً رصداً وانّا لاندرى أشرّ أريد بمن فى الأرض ام اراد بهم ربّهم رشداً فلما سمعت الجنّ القران عرفت انها انما مُنِعت من السمع قبل ذلك لئلا يُشكِل الوحىُ بشىء من خبر السماء فيُلبَس على اهل الأرض ما جاءهم من الله فيه لوقوع الحجّة وقطع الشبهة فأمنوا وصدّقوا

---

(١) س ٧٢ آ ١

ثم (١) ولّوا الى قومهم مُنذِرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتاباً أُنزِل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدِى الى الحق وإلى طريق مستقيم وقول الجنّ (٢) وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقاً هو ان الرجل من العرب من قريش وغيرهم كان اذا سافر فنزل بَطنَ وادٍ من الأرض ليبيت فيه قال انى أعوذ بعزيز هذا الوادى من الجنّ الليلة من شرّ ما فيه

وذُكر ان اول العرب فزع للرمىّ بالنجوم حين رُمى بها ثقيفُ وانهم جاءوا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية احد بنى علاج وكان أدهَى العرب وانكرها وراْياً فقالوا له يا عمرو ألم ترَ ما حدث فى السماء من القذف بهذه النجوم قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم التى يُهتَدَى بها فى البرّ والبحر وتُعرَف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يُصلِح الناس فى معائشهم هى التى يُرمَى بها فهو والله طىّ الدنيا

---

(١) س ٤٦ آ ٢٨

(٢) س ٧٢ آ ٦

وهلاكُ هذا الخلق الذى فيها وان كانت نجوماً غيرها وهى ثابتة على حالها فهذا لأمرٍ أرادْ الله به هذا الخلق فما هو

وقد قال رسول الله صلعم فيما رُوى عنه لنفر من الأنصار ما كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يُرمَى به قالوا يا نبى الله كنا نقول حين رايناها يُرمَى بها مات مَلِكٌ مَلِكٌ وُلِد مولودٌ مات مولودٌ فقال رسول الله صلعم ليس ذلك كذلك ولكنّ الله تبارك وتعالى كان اذا قضى فى خلقه امراً سمعه حملةُ العرش فسبّحوا فسبّح من تحتهم لتسبيحهم فسبّح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهى الى السماء الدنيا فيسبّحوا ثم يقول بعضهم لبعض مِمّ سبّحتم فيقولون سبّح من فوقنا فسبّحنا لتسبيحهم فيقولون الا تسألون من فوقكم مِمّ سبّحوا فيقولون مثل ذلك حتى ينتهوا الى حملة العرش فيقال لهم مِمّ سبّحتم فيقولون قضى الله فى خلقه كذا وكذا للأمر الذى كان فيهبط به الخبرُ من سماء الى سماء حتى ينتهى الى السماء الدنيا فيتحدّثوا به فتسترقه الشياطين بالسمع على توهّم واختلاف ثم ياتون به الكهّان من اهل الأرض فيحدثونهم فيُخطِئون ويصيبون فتحدّث

به الكهّان فيُخطئون بعضاً ويصيبون بعضاً ثم ان الله حجب الشياطين بهذه النجوم التى يُقذَفون بها فانقطعت الكهانةُ اليوم فلا كهانة

وذكر ابو جعفر العُقَيلى بإسناد له الى لُهَيب بن مالك اللهبى قال حضرتُ عند رسول الله صلعم فذُكِرت عنده الكهانة فقلتُ بأبى انت وأمّى يا رسول الله نحن اول مَن عرف حراسة السماء وزجْر الشياطين ومنْعهم من استراق السمع عند قذف النجوم وذلك انّا اجتمعنا الى كاهنٍ لنا يقال له خطر بن مالك فكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائة سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهّاننا فقُلْنا يا خطر هل عندك علم بهذه النجوم التى يُرمَى بها فانّا قد فزعنا لها وخفْنا سوء عاقبتها فقال ائتونى بسحر، اخبركم الخبر، أخير ام ضرر، او امن او حذر، قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد فى وجه السحر اتيناه فإذا هو قائم على قدميه شاخصٌ فى السماء بعينيه فناديناه يا خطر يا خطر فأومأ الينا ان أمسكوا فأمسكنا فانقضّ نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعاً صوته أصابه أصابه، خامره عقابه، عاجَله عذابُه، أحرقه شهابه، زايَله جوابه، يا وَيلَهُ ما حاله، بَلبَلَه بلباله، عاوَدَه خَباله، تقطّعت حباله، وغُيّرت أحواله،

ثم أمسك طويلا وقال يا معشر بنى قحطان، اخبركم بالحق والبيان، اقسمت بالكعبة والأركان، والبلد المؤتمن والسدان، لقد منع السمع عتاة الجان، بثاقب بأمر ذى سلطان، من اجل مبعوث عظيم الشان، يبعث بالتنزيل والقران، وبالهدى وفاصل الفرقان، تبطل به عبادة الأوثان، قال فقلتُ يا خطر انك لتذكر أمراً عظيماً فما ذا ترى لقومك قال أرى لقومى ما أرى لنفسى، ان يتبعوا خير بنى الانس، برهانه مثل شعاع الشمس، يبعث فى مكّة دار الحُمس، بمحكم التنزيل غير اللبس، فقلنا له يا خطر وممّن هو فقال والحياة والعيش، انه لمن قريش، ليس فى حكمه طيش، ولا فى خلقه هيش، يكون فى جيش، وايّ جيش، من آل قحطان وآل ايش، فقلنا له بيّن لنا من اىّ قريش هو فقال والبيت ذى الدعائم، انه لمن نجل هاشم، من معشر أكارم، يبعث بالملاحم، وقتل كل ظالم، ثم قال هذا هو البيان، أخبرنى به رئيس الجان، ثم قال الله اكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن الجنّ الخبر، ثم سكت وأغمى عليه فما أفاق الا بعد ثالثه فقال لا اله الا الله فقال رسول الله

صلعم سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوّة وانه لَيبعث يوم القيامة أمّةً وحده

قال ابن اسحاق وحدثنى بعض اهل العلم ان امراة من بنى سهم يقال لها الغَيطلة كانت كاهنة فى الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالى فانقضّ تحتها ثم قال بدْر ما بدْر، يوم عقْر ونحر، فقالت قريش حين بلغها ذلك ما تريد ثم جاءها ليلة اخرى فانقضّ تحتها ثم قال شَعوبُ ما شعوب، تُصرَع فيه كعبٌ لجنوب، فلما بلغ ذلك قريشاً قالوا ما ذا يريد انّ هذا لَأمرٌ هو كائنٌ فانظروا ما هو فما عرفوه حتى كانت وقعة بدْر وأُحُد بالشعْب فعرفوا انه كان الذى جاء به الى صاحبته

قال وحدثنى على بن نافع الجُرَشى ان جنْباً بطناً من اليمن كان لهم كاهنٌ فى الجاهلية فلما ذُكر امر رسول الله صلعم وانتشر فى العرب قالت له جنبٌ انظرْ لنا فى امر هذا الرجل واجتمعوا له فى اسفل جبله فنزل عليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له فرفع راسه الى السماء طويلاً ثم جعل ينزو ثم قال ايها الناس ان الله اكرم

محمداً واصطفاه وطهّر قلبه وحشاه ومكّثه فيكم ايها الناس قليلً ثم أسند في جبله راجعاً من حيث جاء

قال وحدثني من لا أتهِمُ ان عمر بن الخطاب رضه بينا هو جالس في الناس في مسجد رسول الله صلعم اذ اقبل رجل من العرب يريد عمر فلما نظر اليه عمر قال ان الرجل لعَلَى شِرْكه ما فارقه بعد او لقد كان كاهناً في الجاهلية فسلّم عليه الرجل ثم جلس فقال له عمر هل أسلمتَ قال نعم يا امير المومنين قال فهل كنت كاهناً في الجاهلية فقال له الرجل سبحان الله يا امير المومنين لقد خِلْتَ فيّ واستقبلتني بأمر ما اراك قُلْتَه لأحد من رعيّتك منذ وليتَ فقال عمر اللهم غفراً قد كنّا في الجاهلية على شرّ من هذا نعبد الأصنام ونعتنق الأوثان حتى اكرمنا الله برسوله وبالاسلام قال نعم والله يا امير المومنين لقد كنتُ كاهناً في الجاهلية قال فاخبرْني بما جاءك به صاحبُك قال جاءني قبيل الاسلام بشهر او شَيعه فقال الم تر الى الجنّ وإبلاسها وإياسها، من دينها ولُحوقها بالقلاص وأحلاسها،

قال ابن هشام هذا الكلام سجْع وليس بشعر وأنشدني بعض اهل العلم بالشعر

عَجِبتُ للجنّ وإبلاسها * وشدّها العِيسَ بأحلاسها

تَهوِى الى مكّة تبغِى الهُدَى * ما مؤمن الجنّ كأنجاسها

فقال عمر عند ذلك يحدّث الناسَ والله انى لَعند وثنٍ من أوثان الجاهلية فى نفر من قريش قد ذبح له رجل من العرب عجلا فنحن ننتظر قسْمه ليُقسَم لنا منه اذ سمعتُ من جوف العجل صوتاً ما سمعت قط انفذ منه وذلك قبيل الاسلام بشهر او شيعه يقول يا ذريح، امرٌ نجيح، رجلٌ يصيح، يقول لا اله الا الله

قال ابن هشام ويقال رَجل يصيح، بلسان فصيح، يقول لا اله الا الله

وهذا الرجل الذى ظنّ به عمر رضه ما ظنّ هو سَواد بن قارب الدَّوسى وكان يتكهّن فى الجاهلية وقد ذكر خبرَه غير ابن اسحاق فساقه سياقةً احسن من هذه وأتمّ وذكر فيه انه كان قائماً على جبل من جبال السراة ليلة من الليالى فأتاه آتٍ فضربه برِجْله وقال قُم يا سواد بن قارب، أتاك رسول من لُوىّ بن غالب، قال فرفعتُ راسى وجلست فأدبر وهو يقول

عَجِبتُ للجنّ وتطلابها * وشدّها العيسَ بأقتابها

تهوى الى مكّة تبغى الهدى * ما صادق الجنّ ككذّابها

فارحل الى الصفوة من هاشمٍ * ليس قداماها كأذنابها

وأتاه فى الليلة الثانية فضربه برجْله وقال قم يا سواد بن قارب، أتاك رسول من لوى بن غالب، قال فرفعت راسى فجلست فأدبر وهو يقول

عجبت للجنّ وأخبارِها * ورَحْلِها العِيسَ باكوارها

تهوى الى مكّة تبغى الهدى * ما مومنوها مثل كفّارها

فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قدامها كأدبارها

وأتاه فى الليلة الثالثة بعد ما نام فضربه برجله وقال قم يا سواد بن قارب، أتاك رسول من لوى بن غالب، قال فرفعت راسى وجلست فأدبر وهو يقول

عجبتُ للجنّ وإبلاسها * ورحْلها العيس بأحلاسها

تهوى الى مكّة تبغى الهدى * ما مؤمنوها مثل أرجاسها

فارحل الى الصفوة من هاشم * وآرمِ بعينيك الى راسها

قال فلما اصبحتُ اقتعدتُ بعيري فأتيتُ مكّة فاذا رسول الله صلعم قد ظهر فأخبرتُه الخبر وبايعتُه

وفي بعض طرق حديثه انه أنشد رسول الله صلعم شعراً منه في معنى ما جاء به رئيّه

أتاني رئيٌّ بعد هدْءٍ ورَقْدَةٍ * ولم يكُ فيما قد بلوتُ بِكاذب

ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك نبيٌّ من لؤيّ بن غالب

فرفعتُ أذيال الإزار وشمّرتْ * بيَ العِرْمِسُ الوجْناءُ وسْطَ السباسب

فأشهد ان الله لا ربّ غيره * وأنّك مأمونٌ على كل غائب

وانّك أدنى المرسلين وسيلةً * الى الله يابن الأكرمين الأطائب

فمُرْنا بما يأتيك من وحْي ربّنا * وإن كان فيما جئتَ شيبُ الذوائب

وكُنْ لي شفيعاً يوم لاذو شفاعة * بمغْنٍ فتيلاً عن سواد بن قارب

ولسواد بن قارب هذا مقامٌ حميدٌ في قومه دَوْس حين بلغهم وفاة رسول الله صلعم يُثبِّتهم في الدين ويحضّهم على التمسّك بالاسلام سنذكره ان شاء الله مع نظائره بعد استيفاء الخبر عن وفاة رسول الله صلعم

وذكر الواقدي بإسناد له قال كان ابو هريرة يحدّث ان قوماً من

خَثعَم كانوا عند صنم لهم جلوساً وكانوا يتحاكمون الى أصنامهم فيقال لأبى هريرة هل كنتَ انت تفعل ذلك فيقول قد والله فعلتُ فأكثرتُ فالحمد لله الذى انقذنى بمحمّد صلعم قال ابو هريرة فبينما الخثعميون عند صنمهم اذ سمعوا هاتفاً يهتف يايّها الناس ذوو الأجسام، ومُسنِدو الحكم الى الأصنام، أكلّكم أوّره كالكهام، ألا ترون ما أرى أمام، من ساطعٍ يجلوا دُجَى الظلام، ذاك نبىّ سيّد الأنام، من هاشم فى ذِروَة السنام، مستعْلِنٌ بالبلد الحرام، جاء يهدّ الكفر بالاسلام، أكرمه الرحمن من إمام، قال ابو هريرة فأمسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرّقوا فلم تَمْضِ بهم ثالثةٌ حتى فجاءهم خبر رسول الله صلعم انه قد ظهر بمكّة قال فما أسلم الخثعميون حتى استأخر اسلامُهم ورأوا عبراً عند صنمهم

وذكر الواقدى ايضا ان رجلاً من الأنصار حدّث عمر بن الخطاب رضه قال انطلقتُ انا وصاحبان لى نريد الشام حتى اذا كنّا بقفْرة من الأرض نزلنا بها فبينما نحن كذلك اذ لحقنا راكبٌ فكنّا اربعة وقد أصابنا سغبٌ شديد والتفتُّ فإذا انا بظبية عضباء ترتع قريباً

منى فوثبتُ اليها فقال الرجل الذى لحقنا خلِّ سبيلها لا ابا لك والله لقد رايتها ونحن نسلك هذه الطريق ونحن عشرة او اكثر فيختطف بعضنا فما هو الا ان كانت هذه الظبية فما يهاج بها احدٌ فأبيتُ وقلتُ لا لعَمْرُ الله لا أخلّيها فارتحلنا وقد شددتُها معى حتى اذا ذهب سدف من الليل اذا هاتفٌ يهتف بنا ويقول

يأيّها الركبُ السراع الأربعهْ * خلّوا سبيلَ الناقر المفزّعهْ

خلّوا عن العضباء فى الوادى سعهْ * لا تذبحنّ الظبية المروّعهْ

فيها لِأيتامٍ صغارٍ مَنْفَعَهْ

قال فخلّيتُ سبيلها ثم انطلقنا حتى أتينا الشام فقضينا حوائجنا ثم أقبلنا حتى اذا كنّا بالمكان الذى كنّا فيه هتف بنا هاتفٌ من خلفنا

ايّاك لا تَعْجَلْ وخُذْها من ثِقَهْ * فانّ شرّ السَير سيرُ الحقْحقهْ

قد لاحَ نجْمٌ فأضاءَ مَشرِقه * يخرِج من ظَلْما عَسُوفٍ موبِقه

ذاك رسولُ مفلحٌ من صدّقه * اللهُ أعلَى أمْرَه وحقّقه

قال الرجل فأتيتُ مكّة فإذا رسول الله صلم يدعو الى الاسلام فقال عمر رح الحمد لله الذى أكرمنا بمحمّد صلعم

وَرَوينا عن ابى المنذر هشام بن محمد الكلبى بإسناد متّصل اليه
قال لقد لقيتُ شيوخاً من شيوخ طيء المتقدّمين فسألتُهم عن قصة
مازن يعنى مازن بن الغضوبة الطائى وسبب اسلامه ووفوده على
رسول الله صلعم و إقطاعه أرض عمان وذلك بمنّ الله وفضله وكان
مازن بأرض عمان بقرية تُدعَى سَنابل قال مازن فعترتُ ذات يوم
عتيرة هى الذبيحة فسمعتُ صوتاً من الصنم يقول يا مازن اقبَلْ اقبل،
فاسمعْ ما لا تجهلْ، هذا نبيٌّ مُرسَلْ، جاء بحقّ مُنزَل، فآمِنْ به كى
تعزَل، عن حرّ نارٍ تُشعَل، وقودُها بالجندل، قال مازن فقلتُ ان هذا
والله لَعجبٌ ثم عترتُ بعد ايام عتيرة اخرى فسمعتُ صوتاً أبين من
الاول وهو يقول يا مازن اسمعْ تسرّ، ظَهَرَ خيرٌ وبَطَن شرّ، بُعِث نبيّ من
مُضَر، بدين الله الأكبر، فدَعْ نحيتاً من حجر، تسلم من حرّ سقر،
قال مازن فقلتُ انّ هذا والله لعجب وانه لَخيرٌ يُراد بى وقدم علينا رجل
من اهل الحجاز فقلنا ما الخبر وراءك قال خرج بتهامة رجل يقول لمن
أتاه أجيبوا داعى الله يقال له احمد فقلتُ هذا والله نبأ ما سمعتُ

فثرْتُ الى الصنم فكسرتُه جذاذاً وشددتُ راحلتى ورحلتُ حتى أتيت رسول الله صلعم فشرح لى الاسلام فأسلمتُ وأنشدتُ أقول

كسّرتُ ياجُر أجذاذاً وكان لنا * ربّاً نطيف به ضلاًّ بتضلال

بالهاشمىّ هدانا من ضلالتنا * ولم يكن دينهُ منّا على بال

يا راكباً بَلّغَنْ عمراً وإخوتَها * انى لمن قال ربّى ياجُرٍ قال

وقلتُ يا رسول الله انّى امرؤ مولع بالطرب وبشرب الخمر وبالهلوك الى النساء وألحّتْ علينا السنون فأذهبْن الأموال وأهزلْن الذرارى والرجال وليس لى ولدٌ فادْعُ الله ان يُذهِب عنّى ما أجد ويأتينى بالحياء ويهب لى ولداً فقال النبى صلعم اللهمّ أبْدِله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وأْتِه بالحياء وهبْ له ولداً قال مازن فأذهب الله عنّى كل ما أجد واخصبتْ عُمانُ وتزوّجتُ اربع حرائر ووهب الله لى حيّة بن مازن وأنشأتُ أقول

اليك رسول الله سُقْتُ مطيّتى * تجوب الفيافى من عُمان الى العرْج

لتشْفَعَ لى يا خير من وطىء الثرى * فيغفرَ لى ربّى فأرْجعَ بالفلْج

الى معْشرٍ خالفتُ فى الله دينهم * فلا رايهم رأيى ولا شرجهم شرجى

وكنتُ امرءًا بـاللهو والخمر مُولعاً * شبـابيَ حتى أذن الجسْمُ بالنهْج
فأصبحْت همىّ فى جهادٍ ونيّتى * فللّه ما صومى ولله ما حجّى

ومما يلحق بهذا الباب من حِسان أخبار الكهّان، وان كان بعد المبعث بزمان، ولاكنه يجتمع مع الأحاديث السابقة فى الدلالة على صدْق الرسول، والإعلام بالغيب المجهول، والإرشاد الى سَواء السبيل، ما ذكره ابو على اسماعيل بن القاسم فى أماليه بإسنادٍ له الى ابن الكلبى عن ابيه قال كان خُنافر بن التوأم الحميرى كاهناً وكان قد أوتى بسْطةً فى الجسم وسَعَةً فى المال وكان عاتياً فلما وفدتْ وفود اليمن على النبى صلعم وظهر الاسلام أغار على ابل لمرادٍ فاكْتسحَها وخرج بأهله وماله ولحق بالشِحْر فحالف جُودان بن يحيى الفرضمى وكان سيداً منيعاً ونزل بوادٍ من أودية الشِحْر مُخصِب كثير الشجر من الأيك والعرين قال خُنافر وكان رَئيى فى الجاهلية لا يغيب عنّى فلما شاع الاسلام فقدتُه مدّةً طويلة وساءنى ذلك فبينا انا ليلةً بذلك الوادى نائماً اذ هَوَى هُوِىَّ العُقاب فقال خنافرُ فقلتُ شِصار فقال اسمعْ أقُلْ قلتُ قُلْ أسمعْ فقال عِهْ تغنم، لكلّ مدة نهاية، وكلّ ذى أمد الى غاية،

قلتُ أجَل، فقال كلّ دولة الى أجَل، ثم يتاح لها حِوَل، انتُسِخَتِ النِحَل، ورجعتْ الى حقائقها المِلَل، انّك سجير موصول، والنصح لك مبذول، انّى آنستُ بأرض الشام، نفراً من اهل العُذام، حكّاماً على الحُكّام، يَذْبُرون ذا رونق من الكلام، ليس بالشعر المؤلف، ولا بالسجع المتكلّف، فأصغيتُ فزَجرتُ، فعاودتُ فظُلفتُ، فقلتُ بِمَ تهينمون، وإلامَ تعتزون، فقالوا خطابُ كُبّار، جاء من عند الملك الجبّار، فاسمعْ يا شِصار، عن أصدق الأخبار، واسلكْ أوضح الآثار، تَنجُ من أُوار النار، فقلتُ وما هذا الكلام، قالوا فرقانُ بين الكفر والايمان، رسول من مُضَر، من اهل المدر، ابتُعِث فظَهَر، فجاء بقول قد بَهَر، وأوضح نهْجاً قد دثر، فيه مواعظُ لمن اعتبَر، ومعاذٌ لمن ازدجر، أُلِّف بالآي الكُبَر، فقلتُ ومَن هذا المبعوث من مضر، قالوا احمد خير البشر، فإن آمنتَ اعطيتَ الشَبَر، وإن خالفتَ أُصْلِيتَ سَقَر، فآمنتُ يا خُنافِر، وأقبلتُ اليك أبادر، فجانب كلّ نجس كافر، وشايعْ كل مؤمن طاهر، وإلّا فهو الفراق، لا عن تلاق، قلتُ من اين أبغي هذا الدين. قال من ذات الاحرّين، والنفر اليمانين، اهل الماء والطين، قلتُ اوضحْ

قال الحق بيثرب ذات النخل، والحرة ذات النعل، فهنالك أهل الطول والفضل، والمواساة والبذل، ثم اتملس عني فبت مذعوراً اراعي الصباح فلما برق لي النور امتطيت راحلتي وآذنت أعبدي واحتملت بأهلي حتى وردت الجوف فرددت الإبل على أربابها بحولها وسقابها وأقبلت أريد صنعاء فاصبت بها معاذ بن جبل اميراً لرسول الله صلعم فبايعته على الاسلام وعلمني من القرآن فمن الله علي بالهدى بعد الضلالة، والعلم بعد الجهالة، وقلت في ذلك

ألم تر ان الله عاد بفضله * فأنقذ من لفح الزخيخ خنافرا
وكشف لي عن جحمتي عماهما * وأوضح لي نهجي وقد كان داثرا
دعاني شصار للتي لو رفضتها * لأصليت جمراً من لظى الهوب واهرا
فأصبحت والاسلام حشو جوانحي * وجانبت من أمسى عن الحق نائرا
وكان مضلي من هديت برشده * فلله مغو عاد بالرشد آمرا
نجوت بحمد الله من كل قحمة * تؤرث هلكاً يوم شايعت شاصرا
فقد أمنتني بعد ذاك يحابر * بما كنت أغشى المنديات يحابرا
فمن مبلغ فتيان قومي ألوكة * بانني من أقتال من كان كافرا

عليكم سواءَ القصد لا فُلّ حدّكم * فقد أصبح الاسلام للشرْك قاهرا

وذكر ابن هشام ان بعض اهل العلم حدّثه انه كان لِمرْداس ابى العبّاس بن مرداس السلميّ وَثَنٌ يعبده وهو حجرٌ يقال له ضِمار فلما حضر مرداس قال للعباس اى بُنَيّ اعبُدْ ضمار فانه ينفعك ويضرّك فبينا العباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

قل للقبائل من سُلَيم كلّها * أوْدَى ضمار وعاش اهلُ المسجد
ان الذى وِرث النبوّة والهُدَى * بعد ابن مريم من قريش مُهتَد
أوْدَى ضمارُ وكان يُعبَد مرّةً * قبل الكتاب الى النبى محمد

فحرّق العباس ضماراً ولَحِق بالنبى صلعم فأسلم

والاخبار فى هذا الباب ممّا نُقِل من ذلك عن الكهّان او سمع عند الأصنام او هتفت به هواتف الجانّ كثيرة جدّا وقد أثبتنا منها ما استحسنّاه ممّا ذكره ابن اسحاق او ذكره سواه

قال ابن اسحاق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا ان ممّا دعانا الى الاسلام مع رحمة الله لنا وهُداهُ لَما كنّا

نسمع من اخبار يهود كنّا اهل شرك أصحابَ أوثان وكانوا اهل كتاب عندهم عِلمٌ ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرورٌ فإذا نِلْنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا انه قد تقارب زمان نبيّ يُبعَث الان نقتلكم معه قتلَ عادٍ وإرَمَ فكنّا كثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمد صلعم أجبْناه حين دعانا الى الله وعرفنا ما كانوا يتواعَدوننا به فبادَرْناهم اليه فآمنّا به وكفروا به ففينا وفيهم نزلت هذه الآيات من البقرة ولمّا جاءهم كتاب من عند الله مصدّقٌ لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (١)

قال وحدثني صالح بن ابراهيم عن محمود بن لبيد عن سَلَمة بن سلامة بن وَقَش كان من اصحاب بدْر قال كان لنا جارٌ من يهود فى بنى عبد الأشهل فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بنى عبد الأشهل فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنّة والنار فقال ذلك

---

(١) س ٢ آ ٨٣

لقومٍ من اهل شركٍ وأصحاب أوثان لا يرون ان بعثاً كائنٌ بعد الموت فقالوا له ويحك يا فلان أترَى هذا كائناً انّ الناس يُبعثون بعد موتهم الى دارٍ فيها جنّةٌ ونار يُجزَون فيها بأعمالهم قال نعم والذى يُحلَف به ولَوَدّ أَنّ له بحظه من تلك النار اعظمُ تنورٍ فى الدار يُحمونه ثم يُدخِلونه اياه فيُطيِّنونه عليه بأن يَنجُوَ من تلك النار غداً فقالوا له ويحك يا فلان وما آية ذلك قال نبيّ مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده الى مكة واليمن قالوا ومتى تراه قال فنظر الىّ وأنا من أحدثهم سنّاً فقال إن يستنفدْ هذا الغلام عمرَه يُدرِكه قال سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله محمداً صلعم وهو حىّ بين أظهرنا فآمنّا به وكفر به بغياً وحسداً فقلنا له ويحك يا فلان أَلستَ بالذى قلتَ لنا فيه ما قلتَ قال بلى ولكن ليس به

قال وحدثنى عاصم بن عمر عن شيخ من بنى قُرَيظة قال قال لى هل تدرى عَمَّ كان اسلام ثعلبة بن سَعيَة وأُسَيد بن سعية وأسد بن عُبَيد نفرٍ من هدَل اخوة بنى قريظة كانوا معهم فى جاهليتهم ثم كانوا سادتَهم فى الاسلام قال قلتُ لا قال فانّ رجلاً من يهود من اهل الشام يقال له

ابن الهَيّبان قدم علينا قبل الاسلام بسنين فحلّ بين أظهرنا لا والله ما راينا رجلاً قطّ لا يصلّي الخمس افضل منه فأقام عندنا فكنّا اذا قحط عنّا المطر قلنا له اخرجْ يا ابن الهيّبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدّموا بين يدى مَخرَجكم صدقةً فنقول له كم فيقول صاعاً من تمر ومُدَّين من شعير فنُخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرّتنا فيستسقى لنا فوالله ما يبرح مجلسه حتى تمرّ السحاب ونُسقَى قد فعل ذلك غير مرّة ولا مرّتين ولا ثلاث ثم حضرْته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه اخرَجَنى من ارض الخمْر والخمير الى ارض البؤس والجوع قُلنا انت اعلم قال فانما قدمتُ هذه البلدة اتوكّف خروج نبيّ قد اظلّ زمانه وهذه البلدة مُهاجرُه فكنتُ ارجو ان يُبعَث فأتّبعَه وقد اظلّكم زمانه فلا تُسبَقُنّ اليه يا معشر يهود فانه يُبعَث بسفك الدماء وسَبْيِ الذرارى والنساء ممن خالفه فلا يمنعنَّكم ذلك منه فلما بُعث رسول الله صلعم وحاصر بنى قريظة قال هاولاء الفتيةُ وكانوا شباباً أحداثاً يا بنى قريظة والله انه لَلنبيُّ الذى

عهد اليكم فيه ابنُ الهيبّان قالوا ليس به قالوا بلى والله انه لهو بصِفَته فنزلوا وأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم

قال ابن اسحاق فهذا ما بلغنا من اخبار يهود

قال وحدثنى عاصم عن محمود عن ابن عباس رضه قال حدثنى سلمان الفارسى مِن فِيه قال كنتُ رجلاً فارسياً من اهل اصبهان من اهل قرية يقال لها جَىّ وكان ابى دِهْقانَ قريته وكنتُ احبّ خلق الله اليه لم يزل به حُبّه اياىَ حتى حبسنى فى بيته كما تُحبَس الجاريةُ واجتهدتُ فى المجوسيّة حتى كنتُ قَطَنَ النار الذى يُوقدها لا يتركها تخبو ساعةً وكانت لأبى ضيعةٌ عظيمة فشُغِل فى بنيان له يوما فقال لى يا بُنَىّ انى قد شغلتُ فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى فاذهبْ اليها فاطّلعْها وأمرنى فيها ببعض ما يريد ثم قال لى لا تحتبس عنّى فانك ان احتبستَ عنى كنتَ أهمّ الىّ من ضيعتى وشغلتنى عن كل شىء من امرى فخرجتُ أريد ضيعته التى بعثنى اليها فمررتُ بكنيسة من كنائس النصارى فسمعتُ أصواتهم فيها وهُم يصلّون وكنتُ لا أدرى ما أمرُ الناس لحبس ابى اياىَ فى بيته فلما

سمعت أصواتهم دخلتُ اليهم انظرُ ما يصنعون فلما رايتُهم أعجبتني صلاتُهم ورغبتُ في امرهم وقلتُ هذا والله خيرٌ من الذي نحن عليه فوالله ما بَرِحْتُهم حتى غربت الشمس وتركتُ ضيعة ابي فلم آتِها ثم قلتُ لهم اين أصلُ هذا الدين قالوا بالشام فرجعتُ الى ابي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كلّه فلما جئتُه قال اي بنيّ اين كنتَ الم اكن عهدتُ اليك بما عهدتُ قلتُ يا ابة مررتُ بأناس يصلّون في كنيسة لهم فأعجبني ما رايتُ من دينهم فوالله ما زِلتُ عندهم حتى غربت الشمس قال اي بنيّ ليس لي ذلك الدين خيرٌ دينُك ودين ابائك خيرٌ منه فقلتُ له كلّا والله انه لخير من ديننا قال فخافني فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته وبعثتُ الى النصارى فقلتُ لهم اذا قدم عليكم ركبٌ من الشام فاخبروني بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبروني فقلتُ لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة الى بلادهم فآذنوني بهم قال فلما أرادوا الرجعة أخبروني بهم فألقيتُ الحديد من رجلي ثم خرجتُ معهم حتى قدمتُ الشام فلما قدمتُها قلتُ مَن افضلُ اهل هذا الدين علماً

قالوا الأسقف فى الكنيسة فجئته فقلتُ انى قد رغبتُ فى هذا الدين وأحببتُ ان اكون معك وأخدمك فى كنيستك وأتعلّم منك وأصلّى معك قال إدخل فدخلتُ معه فكان رجلَ سوءٍ يامرهم بالصدقة ويرغّبهم فيها فاذا جمعوا اليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ولم يُعطِه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب ووَرِق فابغضتُه بُغضاً شديداً لما رايته يصنع ثم مات واجتمعت النصارى ليدفنوه فقلتُ لهم ان هذا كان رجل سوءٍ يامرهم بالصدقة ويرغّبهم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يُعطِ المساكين منها شيئاً فقالوا لى وما علمك بذلك قلت انا أدلّكم على كنزه فأريتُهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه ابداً فصلبوه ورجموه بالحجارة وجاءوا برجل اخر فجعلوه مكانه فما رايتُ رجلاً لا يصلّى الخمس ارى انه أفضل منه أزهد فى الدنيا ولا ارغب فى الاخرة ولا أدأبَ ليلا ونهاراً منه فأحببتُه حبًّا لم احبّه شيئاً قبله فأقمتُ معه زماناً ثم حضرته الوفاة فقلتُ له يا فلان انى قد كنت معك واحببتك حبّاً لم أحبّه شيئاً قبلك وقد حضرك من امر الله

ما ترى فإلى من تُوصِي بى و بِمَ تأمرنى فقال اى بنىّ والله ما أعلم اليوم احداً على ما كنت عليه لقد هلك الناس وبدّلوا الا رجلاً بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فلما مات وغُيّب لحقتُ بصاحب الموصل فقلت له يا فلان ان فلاناً أوصانى عند موته ان ألحق بك وأخبرنى انك على أمره فقال أقِمْ عندى فأقمتُ عنده ووجدتُه خير رجل على امر صاحبه فلم يلبث ان مات فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان ان فلاناً أوصانى اليك وأمرنى باللحوق بك وقد حضرك من امر الله ما ترى فإلى من تُوصى بى وبمَ تأمرنى قال يا بنىّ والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنّا عليه الا رجلاً بنَصِيبِين وهو فلان فالحَق به فلما مات وغُيّب لحقتُ بصاحب نصيبين فأخبرتُه خبرى وما أمرنى به صاحبى فقال اقمْ عندى فأقمتُ عنده فوجدته على امر صاحبيه فأقمتُ مع خير رجل فوالله ما لبث ان نزل به الموت فلما حُضِرَ قلتُ له يا فلان ان فلاناً كان أوصى بى الى فلان ثم أوصى بى فلان اليك فإلى من توصى بى وبم تامرنى قال يا بنىّ والله ما أعلمه بقى احدٌ على أمرنا آمرك ان تاتيه الا رجلا بعَمُورِيّة من

ارض الروم فانه على مثل ما نحن عليه فان احببتَ فأتِـهِ فلما مات
وغُيّب لحقتُ بصاحب عمورية فأخبرتُـه خبرى فقال اقمْ عندى
فأقمتُ عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم واكتسبتُ حتى
كانت لى بقراتٌ وغُنَيمَة ثم نزل به امرُ الله فلما حُضِر قلت له يا فلان
انى كنت مع فلان فأوصى بى الى فلان ثم أوصى بى فلان الى
فلان ثم أوصى بى فلان اليك فإلى من توصى بى وبم تامرنى قال
اى بنىّ والله ما أعلمه اصبح على مثل ما كنّا عليه احدٌ من الناس
آمرك ان تاتيه ولكنه قد أظل زمانُ نبىّ مبعوث بدين ابراهيم
يخرج بأرض العرب مهاجَرُه الى ارض بين حرّتين بينهما نخلٌ به
علامات لا تخفى ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة بين كتفيه خاتم
النبوّة فان استطعتَ ان تلحق بتلك البلاد فافعلْ ثم مات وغُيّب
فمكثتُ بعمورية ما شاء الله ان أمكث ثم مرّ بى نفرٌ من كلْبٍ تجارٌ
فقلت لهم احملونى الى ارض العرب وأُعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى هذه
قالوا نعم فأعطَيتُموها وحملونى معهم حتى اذا بلغوا وادى القُرَى ظلمونى
فباعونى من رجل يهودى عبداً فكنت عنده فرايتُ النخل فرجوتُ

ان يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ولم يَحِقّ فى نفسى فبينا انا عنده اذ قدم عليه ابن عمّ له من بنى قريظة من المدينة فابتاعنى منه فاحتملنى الى المدينة فوالله ما هو الا ان رايتُها فعرفتُها بصِفَتِه صاحبى فأقمتُ بها وبُعِث رسول الله صلعم وأقام بمكّة ما أقام لا أسمعُ له بذكر مع ما انا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله انى لفى راس عذْقٍ لسيّدى اعملُ له فيه بعض العمل وسيّدى جالس تحتى اذ اقبل ابنُ عمّ له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بنى قَيلَةَ والله انهم لَمجتمِعون بقُباءٍ على رجل قدم عليهم من مكّة اليوم يزعمون انه نبىّ فلما سمعتُها اخذتنى العُرَواء حتى ظننتُ انى سأسقط على سيدى فنزلتُ عن النخلة فجعلتُ أقول لابن عمّه ذلك ما ذا تقول فغضب سيدى فلكمنى لكْمة شديدة ثم قال ما لك ولهذا أقبلْ على عملك فقلتُ لا شىء انما أردتُ ان أستثبِتَه عما قال وقد كان عندى شىء جمعتُه فلما أمسيتُ أخذتُه ثم ذهبتُ به الى رسول الله صلعم وهو بقُباءٍ فدخلتُ عليه فقلت له انه قد بلغنى انك رجل صالح ومعك

اصحاب لك غرباءُ ذوو حاجة وهذا شيءٌ كان عندي للصدقة فرايتُكم احق به من غيركم فقرّبته اليه فقال رسول الله صلعم لأصحابه كُلوا وأمسك يده فلم ياكل فقلت فى نفسي هذه واحدة ثم انصرفتُ عنه فجمعتُ شيئاً وتحوّل رسول الله صلعم الى المدينة ثم جئتُه به فقلت انى قد رايتك لا تاكل الصدقة وهذه هديةٌ أكرمتُك بها فأكل رسول الله صلعم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلتُ فى نفسي هاتان ثنتان ثم جئت رسول الله صلعم وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازةً من أصحابه علىّ شملتان لى وهو جالس فى أصحابه فسلمتُ عليه ثم استدرتُ أنظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى فلما رآنى رسول الله صلعم أستديرُ به عرف انى استثبتُ فى شيء وُصِف لى فألقى الرداء عن ظهره فنظرتُ الى الخاتم فعرفته فأكببتُ عليه أقبّلُه وأبكى فقال لى رسول الله صلعم تحوّل فتحوّلتُ فجلستُ بين يديه فقصصتُ عليه حديثى كما حدّثتُك يا ابن عباس فأعجب رسول الله صلعم أن يسمع ذلك أصحابه ثم شغل سلمانَ الرِقُّ حتى فاته مع رسول الله صلعم بَدْر وأُحد

قال سلمان ثم قال لى رسول الله صلعم كاتبْ يا سلمان فكاتبتُ صاحبى على ثلاث مائة نخلة أحييها له بالفقير وأربعين أوقية فقال رسول الله صلعم أعينوا أخاكم فأعانونى بالنخل الرجل بثلاثين وديّة والرجل بعشرين وديّة والرجل بخمس عشرة والرجل بعشر يُعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعتْ الى ثلاث مائة ودية فقال لى رسول الله صلعم اذهبْ يا سلمان ففقّرْ لها فاذا فرغتَ فائتنى أكن انا أضَعُها بيدي ففقّرتُ وأعاننى أصحابى حتى اذا فرغتُ جئته فأخبرته فخرج معى اليها فجعلنا نقرّب اليه الوديّ ويَضَعُه رسول الله صلعم بيده حتى فرغتُ فوالذى نفس سلمان بيده ما ماتت منها وديّةٌ واحدة فأدّيتُ النخل وبقى علىّ المال فأُتِىَ رسول الله صلعم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال ما فعل الفارسىّ المكاتبُ فدُعيتُ له فقال خذْ هذه فأدّها مما عليك يا سلمان قلتُ وأين تَقَعُ هذه يا رسول الله مما علىّ قال خذْها فان الله سيُؤدّى بها عنك فأخذتُها فوزنتُ لهم منها والذى نفس

سلمان بيده اربعين أوقية فأوفيتهم حقّهم فشهدتُ مع رسول الله صلعم الخندق حُرًّا ثم لم يَفُتني معه مشهد

وعن سلمان ايضا انه قال لمّا قلتُ وأين تَقَعُ هذه من الذى علىّ يا رسول الله أخذها رسول الله صلعم فقلّبها على لسانه ثم قال خذها فأوفهم منها فأخذتُها فأوفيتُهم منها حقّهم كلّه اربعين أوقية وعنه ايضا انه قال لرسول الله صلعم حين أخبره خبره ان صاحب عَمّوريّة قال له اِئتِ كذا وكذا من أرض الشام فان بها رجلاً بين غَيضَتين يخرج فى كل سنة من هذه الغيضة الى هذه الغيضة مستجيزاً يعترضه ذوو الأسقام فلا يدعو لأحد منهم الا شُفِىَ فسَلْه عن هذا الدين الذى تبتغى فهو يُخبِرك عنه

قال سلمان فخرجتُ حتى جئتُ حيث وُصِف لى فوجدتُ الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزاً من احدى الغيضتين الى الاخرى فغَشِيَه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض الا شُفى وغلبونى عليه فلم أخلص اليه حتى دخل الغيضة التى يريد ان يدخل الا مَنكِبُه فتناولتُه فقال من هذا

والتفت اليّ قلتُ يرحمك الله اخبرْنى عن الحنيفية دين ابراهيم قال انك لتسأل عن شيء ما يسال عنه الناس اليوم قد أظلّك نبىٌّ يُبعَث بهذا الدين من اهل الحرم فائته فهو يحملك عليه ثم دخل فقال رسول الله صلعم لئن كنتَ صدقتَنى يا سلمان لقد لقيتَ عيسى بن مريم

ومن حديث غير ابن اسحاق عن ابى سفيان بن حرب قال خرجتُ انا وأميّة بن ابى الصلت وآخر سقط اسمهُ من كتابى تجاراً الى الشام قال ابو سفيان فكلّما نزلنا منزلاً أخرج أميّة سِفْراً يقرأه علينا فكنّا كذلك حتى نزلنا بقرية من قرى النصارى قال فرأوه وعرفوه واهدوا له فذهب معهم الى بيعتهم ثم رجع فى وسط النهار فطرح ثوبيْه واستخرج ثوبين أسودين فلبسهما ثم قال يا ابا سفيان هل لك فى عالم من علماء النصارى اليه انتهى علمُ الكتب تسأله عما بذلك قال قلتُ لا أرَبَ لى فيه والله لئن حدّثنى ما أحِبُّ لا أثِق به ولئن حدثنى ما أكْره لأوجلنّ منه قال وذهب ويخالفه شيخ من النصارى فدخل علينا فقال يعنى له وللاخر الذى كان معه ما منعكما ان تذهبا

الى هـذا الشيخ قُلنـا لسنـا على دينه قال وانّ فانّكما تسمعان عجباً وتَريانه قال قُلنا لا أرَبَ لنا فى ذلك قال أَثَقفيّانِ انتما قلنا لا ولكن من قريش قال فما منعكما من الشيخ فوالله انـه ليُحبّكم ويُوصى بكم وخرج من عندنـا ومكث أميّـة عنا حتى جاءنـا بعد هـدأةٍ من الليل فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه فوالله ما قام ولا نـام حتى أصبح قال فأصبح كئيباً حزيناً ساقطاً غبوقُـه على صبوحه ما يكلّمنا ثم قال ألا تَـرحَلانِ قلنـا وهل بك من رحيل قال نعم فارحلا فرحلنـا فسِرْنـا بذلك ليلتين من همّه وبثّه ثم قال ليلةً ألا نتحدّث يا ابا سفيـان قلت وهل بك من حديث فوالله ما رايتُ مثل الـذى رجعتَ بـه من عند صاحبك قال لست فيه انمـا ذلك شىء وجلتُ بـه من منقلبى قلت وهل لك من منقلب قال إى والله لأموتنّ ولأحاسبنّ قلت فهل انت قائل امانى قال وعلى ما ذا قلتُ على انك لا تبعث ولا تحاسب فضحك ثم قال بلى والله يا ابا سفيان لَنبعثنّ ولَنُحاسبنّ وليدخلنّ فريق فى الجنّة وفريق فى النـار قلتُ فى أيّتهمـا انـت أخبرَك صاحبُك قـال لا عِلْم لصاحبى فى ذلك فىّ ولا فى نفسه

فكنّا فى ذلك ليلتنا يعجب منّا ونضحك منه حتى قدمنا غُوطة دِمَشق وايّاها كنّا نريد فبِعْنا متاعنا وأقمنا بها شهرين ثم ارتحلنا حتى نزلنا بتلك القرية من قرى النصارى فلما رأوه جاءوه فأهدوا له وذهب معهم الى بيعتهم حتى جاءنا مع نصف النهار فلبس ثوبيه الأسودين فذهب ولم يَدْعُنا اليه كما دعانا اوّل مرّة حتى جاءنا بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ثم رمى بنفسه على فراشه فوالله ما نام ولا قام فأصبح مبثوثاً حزيناً لا يكلّمنا ولا نكلّمه ثم قال لى ألا تَرحَلانِ قلت بلى ان شئتَ قال فآرحلا فرحلنا فسِرْنا كذلك من بثّه وحزنه ليالى ثم قال لى ليلةً يا ابا سفيان هل لك فى المسير وتخلّف هذا الغلام يستأنس بأصحابنا ويستأنسون به قلتُ له ما شئتَ قال سِرْ فسِرْنا حتى برزنا قال هى يا صخر قلتُ ما لك قال هى عن عُتْبة بن ربيعة أيجتنب المحارم والمظالم قلتُ إى والله قال ويَصِل الرَحِمَ ويأمر بصِلَتِها قلت نعم ويصل الرحم ويأمر بصلتها قال وكريم الطرفين واسِطٌ فى العشيرة قلت كريم الطرفين واسط فى العشيرة قال فهلْ تعلم قُرَيشيّاً أشرفَ منه قلت لا والله ما أعلم قال ومُحْوِجٌ هو قلتُ لا بل

ذو مال قال فكمْ أتى له قلت هو ابن سبعين نظر اليها قد قاربها هو لها هو ابنها قال السِنّ والشرف أزْريا بـه قلت وما لهما أرزيا بـه لا والله بل هما زاداه خيراً قال هو ذاك هل لك فى المبيت قلت هل لك فيه حاجة قال فاضطجعنا حتى مرّ الثقل فسِرْنا حتى نزلنا فكنا فى المنزل وبتْنا ثم رحلنا فلما كان الليل قال يا ابا سفيان قلت لبّيك قال هل لك فى البارحة قلت هل لى قال فسرْنا على ناقتين ناجيتين حتى اذا برزنا قال يا صخر إيهٍ عن عتبة قلت إيهٍ عنه قال أيجتنب المحارم والمظالم ويأمر بصِلَة الرحم ويصلها قلت ويفعل قال ومحوج قلت ومحوج قال تعلم قُرَيشيا أسود منه قلت والله ما أعلمه قال وكمْ أتى له قلت سبعون هو لها هو ابنها قد أوقعها قال فانّ السنّ والشرف ارزيا به قلت لا والله ما ارزيا به ولكنّهما زاداه وأنت قائل شيئاً فقُلْه قال والله لا تذكر حديثى حتى يأتى ما هو آتٍ قلت والله لا أذكره قال الذى رأيتُ اصابنى فإنّى جئتُ هذا العالم فسألتُه عن أشياء قلت اخبرنى عن هذا النبى الذى يُنتَظر قال هو رجل من العرب قلت قد علمتُ فمن أىّ العرب قال هو من اهل بيتٍ تحجّه

العرب قلت فينا بيتُ تحجّه العرب قال لا هم إخوتكم وجيرانكم من
قريش قال فأصابنى والله شىء ما أصابنى مثله قط وخرج من يدى
فوز الدنيا والآخرة وقد كنت أرجوان أكون انا هو فاذا كان ما كان
فصِفْه لى قال هو شابّ حين دخل فى الكهولة بَدْءُ أمْره انه يجتنب
المحارم والمظالم ويصل الرحم ويامر بصلتها وهو محوج ليس ينازع
شرفاً كريمُ الطرفين متوسّط فى العشيرة أكثرُ جنْده من الملائكة قال
قلت وما آية ذلك قال قد رجف بالشام منذ هلك عيسى بن
مريم عم ثمانون رجْفة كلّها فيهم مصيبةٌ عامّةٌ وبقيت رجفة عامّة
فيها مصيبة يخرج على أثرها قال ابو سفيان قلت وان هذا هو الباطل
لئن بعث الله رسولاً لا ياخذه الا شريفاً مُسِنًّا قال والذى يُحلَف به
ان هذا لهكذا يا ابا سفيان هل لك فى المبيت فبتْنا حتى مرّ بنا
الثقل فرحلنا حتى اذا كان بيننا وبين مكّة ليلتان أدركَنا الخبرُ من
خلفنا أصاب الشام بعدكم رجْفةٌ ودمّر أهلُها وأصابتهم فيها مصيبة
عظيمة قال وكيف ترى يا ابا سفيان قلت أرى والله ما أظنّ صاحبَك
الا صادقاً وقدمنا مكّة فقضيتُ ما كان معى ثم انطلقتُ حتى جئتُ

ارض الحبشة تاجراً فمكثتُ بها خمسة أشهر ثم أقبلتُ حتى قدمتُ مكّة فبينا انا فى منزلى جاءنى الناس يسلّمون علىّ حتى جاءنى فى اخرهم محمد بن عبد الله صلعم وعندى هِنْدُ جالسة تلاعب صبيةً لها فسلّم علىّ ورحّب بى وسألنى عن سفرى ومقدمى ثم انطلق فقلت والله انّ هذا الفتى لعجبٌ ما جاءنا احدٌ من قُرَيش له معى بضاعة الا سألنى عنها وما بلغتْ و والله انّ له معى لبضاعةً ما هو بأغذاهم عنها ثم ما سألنى فقالتْ او ما علمتَ بشأنه قلتُ وفزعتُ ما شانُه قالت والله انه ليزعم انه رسول الله قال فوَقَرَنى ذلك وذكرنى قول النصرانى ووجمتُ حتى قالت لى ما لك فانتبهتُ وقلتُ ان هذا والله لَهُو الباطل لهو أعقل من ان يقول هذا قالت بلى والله انه ليقوله ويُوتى عليه وانّ له لَصاحبةٌ معه على أمره قلتُ هو والله باطل فخرجتُ فبينا انا أطوف اذ لقيتُه فقلت انّ بضاعتك قد بلغتْ وكان فيها خيرٌ فأرْسِلْ اليها فخُذْها ولستُ آخذاً فيها ما اخذُ من قومك قال فانّى غير آخذها حتى تاخذ منى ما تاخذ من قومى قلتُ ما انا بفاعل قال فوالله إذاً لا اخذها قلتُ فأرسِلْ اليها فأخذتُ منها ما كنتُ اخذ

وبعثتُ اليه ببضاعته ولم أنشب ان خرجتُ تاجراً الى اليمن فقدمتُ الطائف فنزلنا على أميّة فتغدّيتُ معه ثم قلتُ يا ابا عثمان هل تذكر حديث النصراني قال أذكره قلتُ فقد كان قال ومَن قلتُ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ثم قصصتُ عليه خبر هند قال فالله يعلم انه تصبّب عرقاً ثم قال يا ابا سفيان لعلّه وان صِفَتَه لَهِيَهْ ولئن ظهر وأنا حيّ لأُبلين الله فى نصرته عُذْراً ومضيتُ الى اليمن فلم أنشب ان جاءنى هناك استهلاله وأقبلتُ حتى قدمتُ الطائف فنزلنا على أميّة بن ابى الصلتُ قلت قد كان من هذا الرجل ما قد بلغك وسمعتَ قال قد كان قلتُ فأين انت قال ما كنتُ لأُومن برسولٍ ليس من ثقيف قال ابو سفيان فأقبلتُ الى مكّة والله ما انا منه ببعيد حتى جئته فوجدتُه هو وأصحابه يُضرَبون ويُقهَرون فجعلتُ أقول فأين جُنْدُه من الملائكة ودخلنى ما دخل الناس من النفاسة

ووقع فى هذا الحديث من قول ابى سفيان ان عتبة بن ربيعة ذو مال ووقع بعد ذلك من قول ابى سفيان ايضا انه مُحوِج ولا يصحّ ان يجتمع الأمران وأحدُهما غلطٌ من الناقل والله أعلم والمشهور من

حال عتبة انه كان فقيراً وكان يقال لم يسدّ من قريش مُملقٌ الا عتبة وأبو طالب فانّهما سادا بغير مال

وأما أميّة بن ابى الصلت فرجلٌ من ثقيف لم يَرضَ دين اهل الجاهلية ولا وفَقه الله للدخول فى السمْحة الحنيفية فكان كما رُوى عن عُروَة بن الزبير قال سُئِل رسول الله صلعم عن أمية بن ابى الصلت فقال أوتى علماً فضيّعه وكما رُوى عن الحسن وقتادة انّهما قالا فى قول الله تعالى (١) واتْلُ عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين انه أمية بن ابى الصلت

قال ابن اسحاق واجتمعت قريش يوماً فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظّمونه وينحرون له ويعتكفون عنده فخلص منهم اربعة نفر نجيّاً ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وَلْيَكْتُمْ بعضكم على بعض قالوا أجَلْ وهم وَرَقَة بن نوفل وعُبيد الله بن جحش وعثمان بن الحُوَيرث بن أسد بن عبد العزّى وزيد بن عمرو بن نُفَيل فقال بعضهم

---

(١) س ٧ آ ١٧٤

لبعض تعلّموا والله ما قومُكم على شيء لقد أخطئُوا دين أبيهم ابراهيم ما حَجَرٌ نُطِيف به لا يسمع ولا يُبصِر ولا يضرّ ولا ينفع يا قوم التمسوا لأنفسكم [ديناً] فانّكم والله ما انتم على شيء فتفرّقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم فأما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية واتّبع الكتب من أهلها

وذكر الزبير بن بكّار بإسناد له الى عروة بن الزبير قال سُئل رسول الله صلعم عن ورقة بن نوفل فقال لقد رايته فى المنام عليه ثياب بيض فقد أظنّ انه لو كان من اهل النار لم أر عليه البياض وكان يذكر الله فى شعره فى الجاهلية ويسبّحه وهو الذى يقول

لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم * انا النذير فلا يغرركم احدُ
لا تعبدون إلاهاً غير خالقكم * فإن دَعَوْكم فقولوا بيننا حَدَد
سبحان ذى العرش سبحانا يدوم له * ربّ البريّة فرْد واحدٌ صمد
سبحان ذى العرش سبحانا نعود له * وقبلُ سبّحه الجوديّ والجمد
مسخّرٌ كل ما تحت السماء له * لا ينبغى ان يُناوى ملكَه احدُ
لا شيءَ مما ترى يبقى بشاشته * يبقى الاله ويودى المال والولد

لم تغن عن هرمزٍ يوماً خزانته * والخلدَ قد حاولتْ عادٌ فما خلدوا

ولا سليمان اذ تجرى الرياح به * والانس والجنّ فيما بينها بُرُد

اين الملوك التى دانت لعزّتها * من كل أوبٍ اليها وافدٌ يفد

حوضٌ هنالك موردٌ بلا كذب * لا بدّ من ورده يوماً كما وردوا

وفي هذا الشعر ألفاظ عن غير الزبير والبيت الأخير كذلك وفيه أبيات تُروى لأمية بن ابى الصلت

قال ابن اسحاق وأما عبيد الله بن جحش فانه أقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين الى أرض الحبشة ومعه امرأته أمّ حبيبة بنت ابى سفيان مُسلمةً فلما قدماها تنصّر وفارق الاسلام حتى هلك هنالك نصرانياً وخلف رسولُ الله صلعم بعده على امرأته أم حبيبة وكان حين تنصّر يمرّ بأصحاب رسول الله صلعم فيقول فقّحْنا وصأصأتم اى أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تُبصروا بعد وأما عثمان بن الحُوَيرث فقدم على قَيصَر ملك الروم فتنصّر وحسنتْ منزلتُه عنده

وذكر الزبير ان قيصر ملّكه على اهل مكة وكتب له اليهم فأنفت قريش ان يدينوا لأحدٍ وصاح فيهم ابن عمه ابو زمعة الأسود بن المطلب بن اسد والناسُ فى الطواف انّ قريشاً لا تَملِك ولا تُملك فمضتْ قريش على كلامه ومنعوا عثمان ما جاء يطلب فرجع الى قيصر ومات بالشام مسموماً يقال سَمَّه عمرو بن جفْنة الغسّانى الملك وكان يقال لعثمان هذا البطريق ولا عقب له

قال ابن اسحاق وأما زيد بن عمرو بن نُفَيل فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التى تُذبَح على الأوثان ونَهَى عن قتل المَوْؤودَة وقال أعبُدُ ربَّ ابراهيم وبَادَى قومَه بعَيب ما هم عليه

قالتْ أسماء بنت ابى بكر الصديق رضها لقد رايتُ زيد بن عمرو بن نفيل شيخاً كبيراً مُسنِداً ظهرَه الى الكعبة وهو يقول يا معشر قريش والذى نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحدٌ على دين ابراهيم غيرى ثم يقول اللهم لو اننى أعلم اىَّ الوجوه أحبُّ اليك عبدتُك به ولكن لا أعلم ثم يسجد على راحلته وسأل ابنُه سعيد بن زيد وابن عمه

عمر بن الخطاب بن نفيل رضهما رسولَ الله صلعم أنستَغفِر لزيد بن عمرو قال نعم فانه يُبعَث أُمّةً وحده وقال زيد بن عمرو بن نفيل فى فراق دين قومه

أَرَبًّا واحداً ام أَلْفَ ربٍّ * أَدِينُ اذا تَقَسَّمَتِ الأمورُ

عَزَلْتُ اللاتَ والعُزَّى جميعاً * كذلك يفعل الجَلْدُ الصَبور

فلا العزّى أدينُ ولا ابنتَيْها * ولا صَنَمَىْ بنى عمرو أزور

ولا غنْماً أدينُ وكان ربًّا * لنا فى الدهر اذ حِلْمِى يَسير

عجبتُ وفى الليالى مُعجِبات * وفى الأيام يَعرِفُها البَصير

فإنّ الله قد أفْنَى رجالاً * كثيراً كان شأنَهم الفَجور

وأَبْقَى اخرين بِبِرِّ قوم * فيَرْبُلُ منهم الطِفْلُ الصغير

وبينا المرْءُ يَفتر ثابَ يوماً * كما يتروّح الغُصْنُ المطير

ولكن أعبُدُ الرحمنَ ربّى * لِيَغفِرَ ذنبىَ الربُّ الغفور

فتَقْوَى اللهِ ربِّكُمُ احْفَظوها * متى ما تَحفَظوها لا تَبوروا

تَرَى الأبرارَ دارُهمُ جِنانٌ * وللكفّار حاميةٌ سعير

وخِزْىٌ فى الحياة وإن يموتوا * يلاقوا ما تَضِيقُ به الصُدور

وقال زيد بن بن عمرو بن نفيل وذكر ابن هشام ان اكثرها لأمية بن ابى الصلت فى قصيدة له

الى الله أُهدِى مِدحَتى وثَنائيا * وقَولاً رصيناً لا ينى الدَّهْرَ باقيا

إلى الملك الأعلى الذى ليس فوقه * إلَهٌ ولا ربٌّ يكون مُدانيا

ألا ايّها الانسان اياك والرَّدى * فانّك لا تُخفى من الله خافيا

فإياك لا تَجعَلْ مع الله غيرَه * فانّ سبيلَ الرُشْد أصبحَ باديا

حَنانَيك ان الجِنّ أنتَ رَجاؤهم * وأنت إلَهى ربّنا ورَجائيا

رضيتُ بك اللهم ربّاً فلن أُرَى * أدينُ الاهاً غيرك الله ثانيا

فأنت الذى من فضل مَنٍّ ورحمةٍ * بعثتَ الى موسى رسولاً مناديا

فقلتَ له ياأذْهَبْ وهارون فادْعُوا * الى الله فرعونَ الذى كان طاغيا

وقُولا له أأنت سَوّيتَ هذه * بلا وَتَدٍ حتى اطمأنّتْ كما هِيا

وقولا له أأنت رَفعتَ هذه * بلا عَمَدٍ أَرْفِقْ اذاً بك بانيا

وقولا له أأنت سوّيتَ وسطها * مُنيراً اذا ما جَنَّه الليلُ هاديا

وقولا له مَن يُرسل الشمسَ غُدْوَةً * فيُصبح ما مَسّتْ من الأرض حيا

وقولا له مَن يُنبت الحبّ فى الثَرى * فيُصبح منه البَقْلُ يَهْتَزُّ رابيا

ويخرج منه حبّه في رؤوسه * وفي ذاك آياتٌ لِمن كان واعيا

وأنت بفضلٍ منك نَجّيت يُونُساً * وقد باتَ في أضعافِ حوتٍ لياليا

وانى وإن سبّحتُ باسمِك ربّنا * لأُكثِرُ إلّا ما غفرْتَ خطائيا

فرَبَّ العِباد أَلْقِ سَيباً ورحمةً * عليّ وبارِكْ في بَنِيَّ وماليا

وقال زيد بن عمرو ايضا

اسلمتُ وجْهى لِمَن أسلمَتْ * له الأرضُ تَحمِلُ صخْراً ثقالا

دَحاها فلمّا رآها استوَتْ * على الماء أَرْسَى عليها الجبالا

وأسلمتُ وجهى لمن اسلمتْ * له المُزْنُ تحمل عَذْباً زُلالا

إذا هيَ سِيقَتْ الى بلدةٍ * أطاعتْ فصبّتْ عليها سِجالا

ويُروى ان زيداً كان اذ استقبل الكعبة داخِل المسجد قال لبّيك حقّاً حقّاً، تعبُّداً ورِقّاً، عُذتُ بما عاذ به ابراهيم مستقبِل الكعبة وهو قائم اذ قال أنفى لك عانٍ راغِم مهْما تجشّمنى فانّى جاشم البرّ أبغى لا الخال، ليس مهجّر كمَنْ قال، ويقال البرّ أبغى لا الخال، وكان الخطّاب بن نفيل قد آذى زيداً حتى أخرجه الى أعلى مكّة فنزل حِراءً مقابل مكّة وكان الخطاب عمّه وأخاه لأمّه ووكّل به شباباً من

شباب قريش وسفهائهم فقال لهم لا تتركوه يدخل مكة فكان لا يدخلها
الا سِرًّا منهم فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطّاب فأخرجوه وآذَوه مخافةَ
ان يُفسِد عليهم دينهم وأن يتابعه احدٌ منهم على فراقه وكان زيد قد
أجمع الخروج من مكة ليضرب فى الأرض يطلب الحنيفية دينَ ابراهيم
فكانت امراته صفيّةُ بنت الحضرمى كلّما رأته قد تهيّأ للخروج وأراده
آذنت به الخطّابَ بن نفيل وكان الخطاب وكّلها به وقال اذا رأيتيه هَمَّ
بأمرٍ فآذنينى به ثم خرج يطلب دين ابراهيم ويسال الرهبان والأحبار
حتى بلغ الموصل والجزيرة كلّها ثم أقبل فجالَ الشامَ كلَّها حتى انتهى
الى راهب بمَيفَعَة من أرض البلقاء كان ينتهى اليه علمُ أهل النصرانية
فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين ابراهيم فقال انك لَتطلُب ديناً ما
انت بِواجدٍ مَن يحملك عليه اليوم ولكن قد أظلّك زمانُ نبىّ يخرج
فى بلادك التى خرجتَ منها يُبعَث بدين ابراهيم الحنيفية فالحَقْ
به فانّه مبعوث الان هذا زمانه وقد كان زيد شامّ اليهودية والنصرانية
فلم يَرضَ منها شيئاً فخرج سريعاً حين قال له ذلك الراهب ما قال

يريد مكة حتى اذا توسّط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه وقال ورقة بن نوفل يبكّيه

رشدتَ وأنعمتَ ابنَ عمرو وانّما * تجنّبتَ تنّوراً من النار حاميا

بدينك ربّا ليس ربٌّ كمثله * وتركك أوثانَ الطواغى كما هيا

فأصبحتَ فى دارٍ كريمٍ مُقامُها * تُعَلَّلُ فيها بالكرامة لاهيا

تُلاقِى خليلَ الله فيها ولم تكن * من الناس جبّاراً الى النار هاويا

وقد تُدرِكُ الانسانَ رحمةُ ربّه * ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

قال ابن اسحاق وكان فيما بلغنى عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله فى الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله صلعم مما أثبت يحنّس الحوارىّ لهم حين نسخ لهم الإنجيل من عهد عيسى ابن مريم اليهم فى رسول الله صلعم انه قال مَن ابغَضنى فقد ابغض الربَّ ولولا انّى صنعتُ بحضرتهم صنائع لم يصنعها احدٌ قبلى ما كانت لهم خطيئةٌ ولكن من الان بطروا وظنّوا انهم يعزّوننى وأيضاً للربّ ولكن لا بدّ من ان تتمّ الكلمة التى فى الناموس انهم ابغضونى مجّاناً اى باطلاً فلو قد جاء المنْحَمَنّا هذا الذى يُرسله الله اليكم من

عند الربّ روح القِسْط هو الذى من عند الربّ خرج فهو شهيدُ علىَّ وأنتم أيضا لانّكم قديماً كنتم معى هذا قلتُ لكم لِكيلا تشكّوا فالمنحمنّا بالسريانية هو محمد صلعم وهو بالرومية البَرَقْليطس

قال ابن هشام وبلغنى ان رؤساء نجْران كانوا يتوارثون كتاباً عندهم فكلّما مات رئيس منهم فأفضت الرياسةُ الى غيره خَتَمَ على ذلك الكتاب خاتماً مع الخواتم التى قبلها ولم يكسرها فخرج الرئيس الذى كان على عهد النبى صلعم يمشى فعثر فقال ابنه تعِسَ الأبعد يريد النبى صلعم فقال له ابوه لا تفعل فانه نبىٌّ واسمه فى الوضائع يعنى الكتب فلما مات لم تكن لابنه هِمّةٌ الا ان شدّ فكسر الخواتم فوجد ذكر النبى صلعم فأسلم فحسن اسلامه وحجّ وهو الذى يقول

اليك تعْدو قَلِقاً وضينُها

معترضاً فى بطْنها جَنينُها ۞ مخالفاً دينَ النصارى دينُها

وقد جاءت أحاديث حِسانٌ بما وقع من صفة النبى صلعم فى التوراة لم يذكر ابن اسحاق منهم شيئاً فمن ذلك ما ذكره الواقدى عن عطاء بن يسار قال لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاصى فقلت اخبرْنى

عن صفة رسول الله صلعم في التوراة فقال اجل والله انه لَموصوفٌ في التوراة بصفته في الفرقان يا ايها النبي انّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً (١) وحِرْزاً للأميين انت عبدى ورسولى سمّيتُك المتوكّل ليس بفظّ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق ولا يدفع السيّئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولنْ يقبضه الله حتى يُقيم به الملّةَ العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله يفتح بها أعيُناً عُمْياً وآذاناً صُمّاً وقُلوباً غُلْفاً قال عطاء ثم لقيتُ كعب الأحبار فسألتُه فما اختلفا في حرف

وذكر الواقدى ايضا عن النعمان السبّائى قال كان من أحبار اليهود باليمن فلما سمع بذكر النبى صلعم قدم عليه فسأله عن أشياء ثم قال ان أبى كان يختم على سِفْر يقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبيّ قد خرج بِيَثْرِب فإذا سمعتَ به فافتحْه فقال نعمان فلما سمعتُ بك فتحتُ السفر فإذا فيه صِفَتُك كما أراك الساعة وإذا فيه ما تُحِلّ وما تحرّم وإذا فيه انك خير الأنبياء وأمّتك

(١) س ٣٣ آ ٤٤

خير الأمم واسمك أحمد صلى الله عليك وسلم وأمتك الحمادون قُربانهم دماؤهم وأناجيلهم فى صدورهم لا يحضرون قتالاً الا وجبريل معهم يتحنّن الله عليهم كتحنُّنِ الطير على أفراخه ثم قال لى اذا سمعتَ به فاخرجْ اليه وآمنْ به وصدّقْ به فكان النبى صلعم يحبّ ان يستمع أصحابَه حديثه فأتاه يوماً فقال له النبى صلعم يا نعمان حدّثْنا فابتدأ النعمان الحديث من اوّله فرِئِىَ رسول الله صلعم يتبسّم ثم قال اشهد انى رسول الله ويقال ان النعمان هذا هو الذى قتله الأسود العنْسى وقطّعه عضواً عضْواً وهو يقول أشهد ان محمداً رسول الله وانك كذّاب مفترٍ على الله عز وجل ثم حرقه بالنار

***

ذكر المبعث

قال ابن اسحاق فلما بلغ رسول الله صلعم اربعين سنة بعثه الله رحمةً للعالمين وكافّة للناس وكان الله تعالى قد أخذ له الميثاق على كل نبيّ بعثه قبله بالايمان به والتصديق له والنصر له على من خالفه وأخذ عليهم ان يؤدّوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم فأدّوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه يقول الله تعالى لنبيه محمد صلعم (١) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي اى ثقل ما حمّلتكم من عهدى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فأخذ الله ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له والنصر وأدّوا ذلك الى من آمن بهم وصدّقهم من اهل هذين الكتابين

---

(١) س ٣ آ ٧٥

فعن عائشة رضها ان اول ما ابتُدِئ به رسول الله صلعم من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة لا يُرَى رويا الا جاءت كفَلَق الصُّبح وحبّب الله اليه الخلوة فلم يكن شيءٌ أحبَّ اليه من ان يخلو وحده

وعن بعض أهل العلم ان رسول الله صلعم حين أراده الله بكرامته وابتدائه بالنبوة كان اذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسرَ عنه البيوتُ ويُفضِيَ الى شعاب مكة وبطون اوديتها فلا يمرّ رسول الله صلعم بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله فيلتفت رسول الله صلعم حوله عن يمينه وشماله فلا يرى الا الشجر والحجارة فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله ان يمكث ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحِرَاءٍ فى شهر رمضان

وعن عُبيد بن عُمير بن قتادة الليثى يحدث كيف كان بدءُ ما ابتُدِئَ به رسول الله صلعم من النبوة حين جاءه جبريل قال كان رسول الله صلعم يجاور فى حراء من كل سنة شهراً وكان ذلك ممّا تحنّث به قريش فى الجاهلية والتحنُّث التبرّر فكان يجاور ذلك

الشهر من كل سنة يُطعِم من جاءه من المساكين فإذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به اذا انصرف قبل ان يدخل بيته فيطوف بها سبعاً او ما شاء الله ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذى اراد الله به فيه ما اراد من كرامته وذلك الشهر رمضان خرج رسول الله صلعم الى حراءٍ كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى اذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورَحِمَ العباد بها جاءه جبريل بأمر الله قال رسول الله صلعم فجاءنى وأنا نائم بنَمَطٍ من ديباج فيه كتاب فقال اقرأْ قلت ما أقرا فغتّنى به حتى ظننتُ انه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أقرا فغتّنى به حتى ظننت انه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أقرأ فغتّنى به حتى ظننت انه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما ذا أقرا ما أقول ذلك الا آقتداءً منه ان يعود لى بمثل ما صنع فقال اقرا بآسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذى علّم بالقلم علّم الانسانَ ما لم يعلم فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنى وهببتُ من نومى فكانما كُتِبَتْ فى قلبى كتاباً فخرجت حتى

اذا كنت فى وَسَطٍ من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول يا محمد انت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسى الى السماء أنظر فاذا جبريل فى صورة رجل صافٍ قدمَيْه فى أُفُق السماء يقول يا محمد انت رسول الله وأنا جبريل فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخّر وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء فلا أنظر فى ناحية منها الا رايته كذلك فما زلت واقفاً ما أتقدم امامى وما أرجع وراءى حتى بعثت خديجة رُسُلها فى طلبى فبلغوا مكة ورجعوا اليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ثم انصرف عنى وانصرفت عنه راجعاً الى أهلى حتى اتيت خديجة فجلست الى فخذها مُضيفاً اليها فقالت يا ابا القاسم اين كنت فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا الىّ ثم حدثتُها بالذى رايت فقالت أبشِرْ يابن عمى واثبُتْ فوالذى نفس خديجة بيده انى أرجو ان تكون نبىّ هذه الامة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والانجيل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلعم

انه رأى وسمع فقال ورقة قُدُّوس قُدُّوس والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى يا خديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان ياتى موسى وانه لنبى هذه الامة فقولى له فليثبت فرجعت خديجة الى رسول الله صلعم فأخبرته بقول ورقة فلما قضى رسول الله صلعم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال له يا ابن اخى اخبرنى بما رايت وسمعت فأخبره رسول الله صلعم فقال له ورقة والذى نفسى بيده انك لنبى هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذى جاء موسى ولتُكَذَّبَنَّه ولتؤذِيَنَّه ولتقاتلَنَّه ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصُرَنَّ الله نصراً يعلمه ثم أدنى راسه منه فقبّل يافوخه ثم انصرف رسول الله الى منزله

ويروى عن خديجة انها قالت لرسول الله صلعم أي ابْنَ عَمِّ استطيع ان تخبرنى بصاحبك هذا الذى ياتيك اذا جاءك قال نعم قالت فاذا جاءك فاخبرنى به فجاءه جبريل كما كان يصنع فقال رسول الله صلعم يا خديجة هذا جبريل قد جاءنى قالت قم يا ابن

عم فاجلس على فخذى اليسرى فقام فجلس عليها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاقعد على فخذى اليمنى فتحول فقعد على فخذها اليمنى فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس فى حجرى فتحول فجلس فى حجرها ثم قالت له هل تراه قال نعم فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله صلعم جالس فى حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم أثبت وأبشر فوالله انه لملك وما هذا بشيطان

ويروى ان خديجة أدخلت رسول الله صلعم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل

وابتدئ رسول الله صلعم بالتنزيل فى رمضان يقول الله عز وجل (١) شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ وقال (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ القَدْرِ الى خاتمة

(١) س ٢ آ ١٨١

(٢) س ٩٧ آ ١

السورة وقال (١) حم وَالكِتَابِ المُبِينِ إنَّا أنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أمْرٍ حَكِيمٍ أمْراً مِنْ عِنْدِنَا إنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ وقال (٢) إنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ وَمَا أنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ يعنى ملتقى رسول الله صلعم والمشركين ببدر وذلك يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان

هكذا أورد ابن اسحاق رح هذه الآيات كالمستشهد بها على ابتداء التنزيل فى شهر رمضان على رسول الله صلعم وفى صورة هذا الاستشهاد نظر فإن ظاهر قوله سبحانه شهر رمضان الذى أنزل فيه القران عموم نزول القران بجملته فيه وكذلك قوله انا أنزلناه فى ليلة القدر وانا أنزلناه فى ليلة مباركة ولم يقع الامر فى انزاله على رسوله صلعم هكذا بل أنزله الله عليه فى رمضان وفى غيره مفترقا آيات وسوراً بحسب سؤال السائلين او أحداث المحدثين او ما شاء

---

(١) س ٤٤ آ ١-٤

(٢) س ٨ آ ٤٢

الله من هداية العالمين وقد قيل فى قوله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القران اى الذى انزل فى شانه القران اى نزل الامر من الله عزّ وجلّ بصيامه كتاباً يُتلَى وقرانا لا يُدرس ولا يبلى كما يقال نزل القران بالصلاة اى نزل جزء منه يعرضها ونزل القران فى عائشة وانما نزلت منه آيات ببراءتها من الإفك ومثل هذا الاطلاق موجود فى الاحاديث والاثار كثيراً وليسلّم ان معنى قوله انزل فيه القران اى ابتُدِئ فيه إنزاله فقد قيل ذلك وليس ببعيد فى المفهوم ولا مما تضيق عنه سعة الكلام ثم تجرى ذلك المجرى فى الايتين الأُخرَيَيْن وهما (١) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ (٢) وَإِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وان بعد ذلك فيهما لما ورد من الاثار المصحّحة حكم عمومها حسبما نذكره بعد فما بال الاية الاخرى التى هى (٣) وَمَا

---

(١) س ٤٤ آ ٢

(٢) س ٩٧ آ ١

(٣) س ٨ آ ٤٢

أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ تنتظم فى هذا النظام وقد اعقبها مفسّراً بان المعنى بذلك يوم بدر وهو الحق وهل كان يوم بدر الا فى السنة الثانية من الهجرة وبعد اثْنَتَيْ عشرة سنة من البعث ونزول الوحى او بعد خمس عشرة سنة ما ورد من الخلاف فى مدة مكث رسول الله صلعم بمكة بعد النبوة وما زال القران المكّىّ والمدنىّ ينزل فيما مضى تلك السنين فإن كان ابن اسحاق عنى ما ذكرناه عنه ونسبناه اليه فقد بَيّنّا وَجْهَ رَدّه واستوفينا التنبيه عليه وإن كان عنى غير ذلك فقصّر عنه تحرير عبارته او سقط على الناقل من كلامه ما كان يفى لو بقى افهامه فالله تعالى اعلم والرجل أولى منا بان يصيب ويسلم الا انه لا يُنكَر ان يغلط هذا البشر ونعوذ بالله ان نقصد بهذا الاعتداء على ذى علم او الغض من ذى حق فان العلماء هم أباؤنا الاقدمون وهُداتنا المقدّمون بأنوارهم نسرى فنُبصِر ونستبصر وإلى غايتهم نجرى فطورا نَصِل وأطوارا نقصّر فلهم دوننا قصب السبق، ولهم علينا فى كل الاحوال أعظم الحق، اذا أصابوا اعتدنا، وإذا أخطؤا استفدنا، واذا أفادوا استمدّدنا، فجزاهم

الله عنا أفضل الجزاء، ووفقنا لتوفية حقوق الائمة والعلماء، وبعد فمن أحسن ما يتعلق بتلك الايات الثلاث التى صدر بها كلامه مما يحفظ حكم عمومها، ويطابق ظاهر مفهومها، ما رواه سعيد بن جُبير عن ابن عباس رضه ان القران أنزل جملة واحدة فى شهر رمضان الى سماء الدنيا فجعل فى بيت العِزّة ثم أنزل على النبى صلعم شيئاً فشيئاً الى حين وفاته

وقيل للشعبى شهر رمضان الذى أنزل فيه القران اما كان ينزل فى سائر السنة قال بلى ولكن جبريل عم كان يعارض محمداً صلعم فى شهر رمضان ما انزل فى ماضى السنة فيمحو الله ما يشاء ويُثبت

قال ابن اسحاق ثم تتامّ الوحىُ الى رسول الله صلعم وهو مؤمن بالله مصدِّق لما جاءه منه قد قبله بقبوله وتحمّل منه ما حمّله على رضا العباد وسَخَطِهم وللنبوة اثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيع بها الا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله وتوفيقه لما يلقَون من الناس وما يُرَدّ عليهم مما جاءوا به عن الله عز وجل فمضى رسول الله صلعم على امر الله على ما يَلْقَى من قومه من الخلاف والاذى وآمنت

به خديجة ابنة خُوَيْلِد وصدّقت بما جاءه من الله وأزرته على أمره فكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدّق بما جاء منه فخفّف الله بذلك عن رسوله لا يسمع شيئاً يكرهه من ردٍّ عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك لله فرّج اللهُ عنه بها اذا رجع اليها تثبّته وتخفّف عليه وتصدّقه وتهوّن عليه امر الناس يرحمها الله

ثم فتر عن رسول الله صلعم الوحْيُ حتى شق عليه وأحزنه فجاءه جبريل بسورة وَالضُّحَى يُقْسِم له رَبُّه جل وتعالى وهو الذى أكرمه بما أكرمه به ما ودّعه وما قلاه فقال (١) وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى يقول ما صَرَمَك فتركك وما أبغضك منذ أحبّك وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى اى لما عندى من مَرْجعك الىّ خير لك مما عجّلْتُ لك من الكرامة فى الدنيا وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى من الفَلْج فى الدنيا والثواب فى الاخرة أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ

---

(١) س ٩٣ آ ١ — ١١

عَائِلاً فَأَغْنَى يعرفه ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ومَنّه عليه في يُتْمه وعَيْلته وضلالته واستنقاذه من ذلك كله برحمته فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ اى لا تكن جبّاراً ولا متكبّراً ولا فحّاشاً فَظّاً على الضعفاء من عباد الله وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ اذكرها وادْعُ اليها فجعل رسول الله صلعم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرّا الى من يطمئنّ اليه من أهله

وافترِضَتْ عليه الصلاة فعلى صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته قالت عائشة رضها افتُرِضت الصلاة على رسول الله صلعم أول ما افتُرضت ركعتين ركعتين كل صلاة ثم ان الله أتمّها في الحضر اربعاً وأقرّها في السفر على فرضها الاول ركعتين

وعن بعض أهل العلم ان الصلاة حين افترضت على رسول الله صلعم أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعَقِبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عينٌ فتوضأ جبريل ورسول الله ينظر ليُرِيَه كيف الطهور للصلاة ثم توضأ رسول الله صلعم كما راى جبريل توضأ ثم قام

به جبريل فصلى به وصلى رسول الله صلعم بصلاته ثم انصرف جبريل فجاء رسول الله خديجة فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها ثم صلّى بها كما صلى به جبريل فصلت بصلاته

وعن نافع بن جُبير بن مُطْعم وكان كثير الرواية عن ابن عبّاس رضه قال لما افترضت الصلاة على رسول الله صلعم أتاه جبريل فصلى به الظهر حين مالت الشمس ثم صلى به العصر حين كان ظلّه مثله ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشَّفَق ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ثم صلى به الظهر حين كان ظله مثله ثم صلى به العصر حين كان ظله مثلَيْه ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالامس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الاول ثم صلى به الصبح مُسْفِراً غير مُشْرِق ثم قال يا محمد الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالامس

قال ابن اسحاق ثم كان أوّل ذَكَرٍ من الناس آمن برسول الله صلعم وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تبارك وتعالى عليّ بن ابي

طالب رضه وهو ابن عشر سنين يومئذ وكان مما أنعم الله به عليه انه كان فى حجر رسول الله صلعم قبل الاسلام وذلك ان قريشاً أصابتهم أزمةٌ شديدةٌ وكان ابو طالب ذا عيال كثير فقال رسول الله صلعم للعباس عمه وكان من أيسر بنى هاشم يا عباس ان أخاك ابا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة فانطلقْ بنا اليه فلنخفف من عياله آخُذُ من بنيه رجلا وتاخذ انت رجلا فنَكْفُلُهما عنه قال العباس نعم فانطلقا حتى أتيا ابا طالب فقالا انا نريد ان نخفّف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما ابو طالب اذا تركتما لى عقيلًا فاصنعا ما شئتما ويقال عقيلا وطالباً فأخذ رسول الله صلعم عليّاً فضمّه اليه وأخذ العباس جعفراً فضمه اليه فلم يزل علىّ مع رسول الله صلعم حتى بعثه الله نبياً فاتبعه على وآمن به وصدقه ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه

وذكر بعض اهل العلم ان رسول الله صلعم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه على بن ابى طالب مستخفياً من

ابى طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فيها فإذا امسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله ان يمكثا ثم ان ابا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله يا ابن اخى ما هذا الدين الذى أراك تدين به قال اى عَمِّ هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا ابراهيم او كما قال صلعم بَعَثَنى الله به رسولا الى العباد وأنت اى عم أحق مَنْ بذلتُ له النصيحة ودعَوْتُه الى الهدى وأحق من أجابنى اليه وأعاننى عليه او كما قال فقال ابو طالب اى ابن اخى انى لا أستطيع ان أفارق دين آبائى وما كانوا عليه ولكن والله لا يُخاص اليك بشىء تكرهه ما بقيتُ

وذكروا انه قال لعلى اى بُنَىَّ ما هذا الدين الذى انت عليه فقال يا أَبَتِ آمنتُ برسول الله وصدقت بما جاء به وصليت معه لله واتبعته فزعموا انه قال له أَمَا إنه لم يدعك الا الى خير فالْزَمْه

قال ابن اسحاق ثم أسلم زيد بن حارثة الكلبى مولى رسول الله صلعم فكان أول ذَكَرٍ أسلم وصلى بعد على بن ابى طالب وعن غير ابن اسحاق ان زيداً أصابه فى الجاهلية سباء فاشتراه حكيم بن حزام

لعمته خديجة بنت خويلد وقيل بل وهبه لها فوهبته خديجة لرسول الله صلعم فاعتقه وتبناه وذلك قبل ان يُوحَى اليه وكان ابوه حارثة قد جزع عليه جَزَعاً شديداً وبكى عليه حين فقده فقال

بكيتُ على زيدٍ ولم أدرِ ما فَعَلْ * أحَيٌّ فيُرْجَى ام اتى دونه الأَجَلْ

فوالله ما أدري وانى لسائلٌ * اغالَكَ بعدى السهلُ ام غالك الجَبَلْ

ويا ليت شعرى هل لك الدهر اوبةٌ * فحسْبى من الدنيا رجوعك لى بَجَلْ

تذكّرنيه الشمسُ عند طلوعها * وتعْرِض ذكراه اذا قَرْصُها أَفَلْ

وان هبّت الارواح هَيَّجْنَ ذكرَه * فيا طول ما حُزْنى عليه وما وَجَلْ

سأعمل نصّ العِيس فى الارض جاهدا * ولا أسأم التطوافَ او تسأم الإبِلْ

حياتىَ او تأتى علىَّ منيّتى * فكل امرئٍ فانٍ وإن غرّه الأمَلْ

ثم ان أناساً من كلب حجوا فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه فأعلموا اباه ووصفوا له موضعه وعند من هو فخرج ابوه حارثة وعمه كعب ابنا شراحيل لفدائه وقدما مكة فسألا عن النبى صلعم فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب بن هاشم يا ابن سيد قومه انتم اهل حَرَم الله وجيرانه تفكّون العانى وتطعمون الاسير جئناك فى ابننا عبدك

فَآمْنُنْ علينا وأحسنْ الينا فى فدائه قال من هو قالا زيد بن حارثة فقال رسول الله صلعم فهلاّ غير ذلك قالا ما هو قال ادعوه فاخيّره فإن اختاركم فهو لكم وإن اختارنى فوالله ما انا بالذى أختارُ على من اختارنى أحداً قالا قد زِدتّنا على النصف وأحسنت فدعاه فقال هل تعرف هولاء قال نعم قال من هذا قال ابى وهذا عمى قال قد علمتَ ورايت محبّتى لك فآخترْنى او اخترْهما قال زيد ما انا بالذى اختار عليك أحداً انت منى مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد اتختار العبودية على الحرّية وعلى ابيك وعمك وأهل بيتك قال نعم قد رايت من هذا الرجل شيئاً ما انا بالذى أختار عليه أحداً ابداً فلما راى ذلك رسول الله صلعم أخرجه الى الحِجْر فقال يا من حضر اشهدوا ان زيداً ابنى يَرِثنى وأرثه فلما سمع ذلك ابوه وعمه طابت نفوسهما فانصرفا ودُعِىَ زيد بن محمد حتى جاء الله بالاسلام فنزلت (١) أُدْعُوهم لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ ٱللَّهِ فدُعِىَ من يومئذ زيد بن حارثة

---

(١) س ٣٣ آ ٥

قال ابن اسحاق ثم أسلم ابو بكر بن ابى قُحافة رضه واسمه عتيق وقيل عبد الله وعتيق لقَبٌ لحُسْن وجهه وعتْقِه فيما قال ابن هشام واسم ابى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لُؤَيّ فلما أسلم أظهر اسلامه ودعا الى الله وإلى رسوله وكان ابو بكر رضه رجلا مألفاً لقومه محبّباً سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر وكان رجلا تاجراً ذا خُلُق ومعروف وكان رجال قومه ياتونه ويألَفونه لغير واحد من الامر لعلمه وتجارته وحُسْن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه فأسلم بدعائه فيما بلغنى عثمان بن عفان بن ابى العاصى بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ والزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة بن كلاب وسعد بن ابى وقّاص مالك بن أُهَيْب بن عبد مناف بن زهرة وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فجاء بهم

الى رسول الله صلعم حين استجابوا له فأسلموا وصلّوا فكان رسول الله صلعم يقول فيما بلغني ما دعوت احداً الى الاسلام الا كانت فيه عنده كبْوةٌ ونظرٌ وتردّدٌ الا ما كان من ابى بكر بن ابى قحافة ما عَكَمَ عنه حين ذكرتُه له وما تردد فيه قال فكان هولاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالاسلام فصلّوا وصدّقوا رسول الله صلعم بما جاءه من الله

ثم أسلم ابو عُبَيْدة عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هلال بن أُهَيْب بن ضبّة بن الحرث بن فِهْر وأبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم والارقم بن ابى الارقم بن أسد ابى جُنْدُب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون وعبيدة بن الحرث بن المطّلب بن عبد مناف بن قُصَىّ وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن رزاح بن عَدىّ بن كعب بن لؤى وامراته فاطمة

بنت عمه الخطاب بن نفيل أخت عمر بن الخطاب وأسماء بنت ابى بكر الصِّدِّيق وعائشة بنت ابى بكر الصديق وهى يومئذ صغيرة وخَبّاب بن الأرتّ حليف بنى زهرة وعُمير بن ابى وقاص أخو سعد بن ابى وقاص وعبد الله بن مسعود الهذلى حليف بنى زهرة وجماعة سوى هؤلاء سماهم ابن اسحاق قال ثم دخل الناس فى الاسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتُحُدِّث به

ثم ان الله عزوجل أمر رسوله ان يصدع بما جاءه منه وأن يُبادِئَ الناسَ بأمره ويدعو اليه وكان ما أخفى رسولُ الله أمره واستسرّ به الى ان أمره الله باظهاره ثلاث سنين فيما بلغنى من مبعثه ثم قال له الله اصدَعْ بما تؤمر وأعرض عن المشركين ثم قال وأنذِرْ عشيرتك الاقربين واخفضْ جناحك لمن اتبعك من المومنين وقُلْ إنى انا النذير المبين قال وكان أصحاب رسول الله صلعم اذا صلّوا ذهبوا فى الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم فبينا سعد بن ابى وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله صلعم فى شعب من شعاب مكة اذ ظهر

عليهم ناس من المشركين وهم يصلّون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن ابى وقاص يومئذ رجلا من المشركين بِلَحْيِ بَعِيرٍ فشجّه فكان أول دم هُرِيقَ فى الاسلام فلما بادى رسول الله صلعم قومه بالاسلام وصَدَعَ به كما أمره الله لم يبعدْ منه قومه ولم يردّوا عليه حتى ذكر آلِهَتَهُمْ وعابها فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافَه وعداوتَه الا مَنْ عصم اللهُ منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون وحَدِبَ على رسول الله صلعم عمه ابو طالب ومنعه وقام دونه ومضى رسول الله صلعم على امر الله مُظهِراً له لا يرده عنه شىء

فلما رات قريش ان رسول الله صلعم لا يُعتِبهم من شىء انكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ورأوا ان عمه ابا طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يُسلِمه لهم مَشى رجال من أشرافهم الى ابى طالب عُتْبَةُ وشيبةُ ابنا ربيعة بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب وأبو البَخْتَرى بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قُصىّ والاسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العزى وابو جهل بن

هشام بن المغيرة ونُبيْه ومُنبِّه ابنا الحجاج والعاصي بن وائل او
من مشى منهم فقالوا يا ابا طالب ان ابن أخيك قد سبّ آلهتنا
وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضلل آباءنا فإما ان تُخلِّيَ بيننا
وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكْفيكه فقال
لهم ابو طالب قولا رفيقاً وردّهم ردّاً جميلاً فانصرفوا عنه ومضى رسول
الله صلعم على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو اليه ثم شَرِيَ الامر
بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثرت قريش
ذكْر رسول الله صلعم بينها فتذامروا فيه وحضّ بعضهم بعضاً عليه
ثم انهم مشوا الى ابى طالب مرة اخرى فقالوا له يا ابا طالب
ان لك سنّا وشرفاً ومنزلة فينا وانا قد استهيناك من ابن اخيك
فلم تَنْهَهُ عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه
أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكُفّه عنا او ننازله وإياك فى
ذلك حتى يهلك احدُ الفريقين او كما قالوا ثم انصرفوا عنه فعظُم
على ابى طالب فراقُ قومه وعداوتهم ولم يطب نفساً بإسلام رسول
الله صلعم ولا خذلانه وذكر ان ابا طالب حين قالت له قريش هذه

المقالة بعث الى رسول الله صلعم فقال له يا ابن اخى ان قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا للذى قالوا له فأبقِ علىّ وعلى نفسك ولا تحمّلنى من الامر ما لا أطيق فظن رسول الله صلعم انه قد بدأ لعمه فيه بداء وانه خاذِله ومُسلِمه وانه قد ضعف عن نصرته والقيام معه فقال له والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان أترك هذا الامر حتى يُظهِره الله او أهلِكَ فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلعم فبكى ثم قام فلما ولّى ناداه ابو طالب فقال أقبِلْ يا ابن أخى فأقبل عليه فقال اذهب يا ابن اخى فقل ما أحببت فوالله لا أُسلِمُك لشىء ابداً

ثم ان قريشاً حين عرفوا ان ابا طالب قد ابى خذلان رسول الله صلعم وإسلامه مشوا اليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا ابا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهدُ فتى فى قريش وأجمله فخذه فلك عقله ونصره واتخذْه ولداً وأسلِمْ الينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك ودين آبائك وفرّق جماعة قومك وسفّه أحلامهم

فنقتله فانما هو رجل كرجل قال والله لبئس ما تسومونني أتعطونني ابنكم أغذوه لكم واعطيكم ابني تقتلونه هذا والله ما لا يكون ابداً فقال المطعم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف والله يا ابا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما أراك تريد ان تقبل منهم شيئاً فقال له ابو طالب والله ما أنصفوني ولكنك قد اجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ فاصنع ما بدا لك او كما قال فحقب الامرُ وحميت الحرب وتنابذ القوم وبادى بعضهم بعضاً

قال ثم ان قريشاً تذامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلعم الذين أسلموا معه فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذّبونهم ويَفْتِنونهم عن دينهم ومنع الله تبارك وتعالى رسوله منهم بعمه ابي طالب وقد قام ابو طالب حين راى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم الى ما هو عليه من منع رسول الله صلعم والقيام دونه فاجتمعوا اليه وقاموا معه وأجابوه الى ما دعاهم اليه الا ما كان من ابي لَهب

فلما راى ابو طالب من قومه ما سرّه فى جدّهم وحدَبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم وفضل رسول الله فيهم ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليحدبوا معه الى أمره فقال

اذا اجتمعت يوماً قريش لمفخرٍ * فعبد مناف سِرّها وصميمُها

فانْ حُصّلَتْ أشرافُ عبد منافها * ففى هاشم أشرافها وقديمُها

وان فخرت يوماً فان محمداً * هو المصطفى من سرّها وكريمُها

تداعت قريش غثّها وسمينُها * علينا فلم تظفر وطاشت حُلومُها

وكنّا قديماً لا نُقِرّ ظلامة * اذا ما ثنَوا صُعْرَ الخدودِ نُقيمُها

ونَحْمِى حِمَاها كلَّ يوم كريهة * ونضرب عن أحجارها من يَرُومُها

بنا انتعش العودُ الذوِىّ وانما * بأكنافنا تندَى وتنمِى أرُومُها

ثم ان الوليد بن المغيرة اجتمع عليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم يا معشر قريش انه قد حضر هذا الموسم وانّ وفودَ العرب ستَقْدَم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجتمعوا فيه رأياً واحداً ولا يختلفوا فيكذّب بعضُكم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضاً قالوا فأنت يا ابا عبد شمس فقل وأقِمْ لنا رأياً

نقول فيه قال بل انتم فقولوا أسمع قالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن لقد راينا الكُهّان فما هو بزَمْزَمة الكاهن ولا سجْعه قالوا فنقول مجنون قال وما هو بمجنون لقد راينا الجنون وعرفناه فما هو بخَنْقه ولا تخالُجه ولا وَسْوَسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر قد راينا السُّحّار وسحرهم فما هو بنَفْثه ولا عقْده قالوا فما نقول يا ابا عبد شمس قال والله ان لقوله لحلاوة وان أصله لعذق وان فرعه لجناة وما انتم بقائلين من هذا شيئاً الا عرف انه باطل وان أقرب القول فيه لان تقولوا ساحر جاء بقول هو سِحْر يفرّق به بين المرء وابنه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسُبُل الناس حين قدموا الموسم لا يمرّ بهم احد الا حذّروه اياه وذكروا لهم أمره وصدرت العربُ من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلعم فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها

فلما خشِيَ ابو طالب دهماء العرب ان يركبوه مع قومه قال قصيدته

التى تعوّذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودّد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم فى ذلك من شعره انه غير مسلم رسول الله صلعم ولا تاركه لشىء ابداً حتى يهلك دونه وأولها

لما رايت القومَ لا وُدَّ فيهم * وقد قطعوا كل العُرَى والوسائلِ
وقد صارحونا بالعداوة والأذى * وقد طاوعوا أمر العدوّ المزائلِ
وقد حالفوا قوماً علينا أظِنّةً * يعضّون غيظا خلفنا بالاناملِ
صبرْتُ لهم نفسى بسمراء سمْحةٍ * وأبيض عَضْبٍ من تُراثِ المقاولِ
وأحظرْتُ عند البيت رهطى وإخوتى * وأمسكت من أثوابه بالوصائلِ
قياماً معاً مستقبلين رِتاجَه * لدى حيث يقضى حَلْفه كُلّ نافلِ
وحيث يُنِيخ الاشعرون رِكَابَهم * بمُفْضَى السيول من إسافٍ ونائلِ
موسّمةً الاعضاد او قَصَراتها * مخيّسة بين السديس وبازل
ترى الوَدْع فيها والرُّخام وزينة * بأعناقها معقودة كالعثاكل
أعوذُ بربِّ الناس من كل طاعن * علينا بسوءٍ او مُلِحّ بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبةٍ * ومن مُلْحِقٍ فى الدين مالم نُحاوِلِ

وثَوْرٍ ومن أَرْسَى ثبيراً مكانه * وراقٍ ليَرْقَى فى حراءٍ ونازل

وبالبيت حق البيت من بطن مكة * وبالله ان الله ليس بغافل

وبالحجر الاسود اذ يَمسَحونه * اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل

وموطىء ابراهيم فى الصخر وَطْئَةٌ * على قدمَيْه حافياً غير ناعل

ومَنْ حجَّ بيت الله من كل راكب * ومن كل ذى نذْر ومن كل راجل

وبالمشعر الاقصى اذا عمدوا له * إلال الى مُفْضَى الشراج القوابل

وتَوْقافِهم فوق الجبال عشية * يقيمون بالايدى صُدورَ الرواحل

وليلةِ جمْعٍ والمنازل من مِنًى * وهل فوقها من حُرْمة ومنازل

وجمعٍ اذا ما المُقْرَبات أَجَزْنَهُ * سراعاً كما يخرجن من وَقْع وابل

وبالجمرة الكبرى اذا صمدوا لها * يؤمّون قذْفاً رأسها بالجنادل

وكندة اذ هم بالحِصاب عشية * تُجِيز بهم حُجّاج بكر بن وائل

حليفان شدّا عقْد ما احتلفا له * وردّا عليه عاطفات الوسائل

وحطْمِهم سمْرَ الصفاح وسرْحه * وشِبرِقَهُ وَخْد النَّعام الجوافل

فهل بعد هذا من معاذ لعائذٍ * وهل من مُعيذ يتّقى اللهَ عادلِ

يُطاعُ بنا العِدَى وودّوا لو اننا * تُسَدُّ بنا أبواب تُرْك وكابُلِ

كذبتم وبيت الله نترك مكة * ونظعن الا أمركم فى بلابل

كذبتم وبيت الله نُبْزَى محمداً * ولما نطاعن دونه ونناضل

ونُسْلِمُه حتى نُصَرَّعَ حوله * ونذْهَلَ عن أبنائنا والحلائل

وتنهض قوم فى الحديد اليكم * نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

وحتى نرى ذا الضِغْن يركب ردعه * من الطعن فِعْلَ الانكب المتحامل

وانّا لعمرُ الله ان جدّ ما أرى * لتلتبِسَنْ أسيافنا بالا ماثل

بكَفّىْ فتًى مثل الشهاب سَمَيْدَعٍ * أخى ثقة حامى الحقيقة باسل

وما ترْكُ قوم لا ابالك سيداً * يحوط الذمار غير ذرْب مُواكل

وابْيَض يُستسقى الغمامُ بوجهه * ثِمالُ اليتامى عِصْمة للارامل

يلوذ به الهُلّاك من آل هاشم * فهم عنده فى رحمة وفواضل

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شرٍّ عاجلا غيرَ آجل

بميزان قِسْط لا يُخِسّ شعيرةً * له شاهدٌ من نفسه غيرُ عائل

لقد سفِهت أحلامُ قوم تبدّلوا * بنى خَلَفٍ قَيْضاً بنا والغياطل

ونحن الصميم من ذؤابة هاشم * وآل قُصيّ فى الخطوب الاوائل

وسَهْمٌ ومخزوم تمالوا وألّبوا * علينا العِدَى من كل طِمْلٍ وخامل

فعبد مناف انتمُ خير قومكم * فلا تُشْركوا فى أمركم كلَّ واغل

لعمرى لقد وَهَنْتُمُ وعجزتمُ * وجئتم بأمر مخطىءٍ للمُفاصِلِ

فإن نك قوماً نَتَّئِدْ ما صنعتمو * وتحتلبوها لِقْحة غير باهل

فأبلغْ قُصيّاً ان سيُنْشَر أمرُنا * وبَشِّرْ قصيّاً بعدنا بالتخاذُلِ

ولو طرقتْ ليلا قصيّاً عظيمة * اذا ما اجأنا دونهم فى المداخل

ولو صدقوا ضرباً خلالَ بيوتِهم * لكُنَّا أُسًى عند النساء المطافل

فإن تك كعب من لؤى صقيبةً * فلا بدّ يوماً مرة من تزائل

فكل صديق وآبن اخت نَعُدّه * لعمرى وجدنا غبّه غير طائل

سِوى أنّ رهطاً من كلاب بن مرة * بُراءٍ الينا من مَعقّة خاذل

ونِعْمَ ٱبْنُ اخت القوم غير مكذَّب * زهيرٌ حساماً مُفْرداً من حمائل

اشمُّ من الشُّمّ البهاليل ينتمى * الى حَسَبٍ فى حومة المجد فاضل

لعمرى لقد كُلِّفْتُ وجداً بأحمد * وإخوته دأبَ المُحِبِّ المُوَاصلِ

فلا زال فى الدنيا جمالا لاهلها * وزيناً لمن والاه ذبّ المشاكل

فمَنْ مِثْلُه فى الناس أىُّ مؤمّل * اذا قاسه الحُكّام عند التفاضُلِ

حكيم رشيد عادل غير طائش * يُوالى إلاهاً ليس عنه بغافل

فأيده رب العباد بنصره ❊ وأظهر ديناً حقه غير ناصل

فوالله لولا ان اجيء بسُبَّةٍ ❊ تُجَرُّ على أشياخنا فى القبائل

لكنا اتبعناه على كل حالة ❊ من الدهر جِدّاً غير قول التهازلِ

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذَّبٌ ❊ لدينا ولا يعنى بقول الاباطل

فأصبح فينا أحمدُ فى أرومة ❊ يُقصّر عنها سَوْرةُ المتطاول

حدبت بنفسى دونه وحميته ❊ ودافعت عنه بالذُّرَى والكلاكل

وذكر ابن هشام ان بعض اهل العلم بالشعر ينكر أكثر هذه القصيدة قال وحدثنى من اثق به قال أَقْحَطَ اهل المدينة فأتوا رسول الله صلعم فشكوا اليه ذلك فصعد المنبر فاستسقى فما لبث ان جاء من المطر ما اتاه اهل الضواحى يشكون منه الغرق فقال رسول الله صلعم اللهم حَوالَيْنا ولا علينا فانجاب السحابُ عن المدينة فصار حواليها كالاكليل فقال رسول الله صلعم لو ادرك ابو طالب هذا اليوم لسره فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ❊ ثمال اليتامى عصمة للارامل

قال أَجَلْ

قال ابن اسحاق فلما انتشر أمر رسول الله صلعم فى العرب وبلغ البلدان ذُكر بالمدينة ولم يك حيٌّ من العرب أعلم برسول الله صلعم حين ذُكر وقبل ان يُذْكَر من الاوس والخزرج وذلك لما كانوا يسمعون من أخبار اليهود وكانوا لهم حلفاء ومعهم فى بلادهم فلما وقع ذكره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال ابو قيس بن الاسلت الاوسى وكان يحب قريشاً وكان يقيم فيهم السنين بامرأته أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قُصَىّ قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قريشاً عن الحرب ويذكر فضلهم وأحلامهم ويامرهم بالكفّ بعضهم عن بعض وعن رسول الله صلعم ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه الفيل عنهم فقال

يا راكباً إما عرضت فبلِّغَنْ * مغلغلة عنى لُؤَىّ بن غالب
رسول امرىءٍ قد راعه ذاتُ بينكم * على النأى محزون بذلك ناصب
وقد كان عندى للهموم معرّس * ولم أقض منها حاجتى ومآربى
أعيذكمُ بالله من شرّ صُنْعكم * وشر تباغيكم ودَسّ العقارب
وإظهارِ اخلاقٍ ونجوى سقيمة * كوَخْز الاشافى وَقْعها حقّ صائب

فـذَكِّـرْهـمُ بـالله أول وهـلـة * وإحلال إحرام الظباء الشواذب

وقل لهمُ والله يحكم حُكْمَه * ذَرُوا الحربَ تذهبْ عنكم في المراحب

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة * هي الغول للاقصَيْن او للاقارب

تُقطّع أرحاماً وتُهلك امّة * وتبرِي السديف من سنام وغارب

فاياكم والحرب لا تعْلقنّكم * وحوضاً وخيمَ الماءِ مُرّ المشارب

تزيّن للاقوام ثم يرونها * بعاقبة اذ بينت أمّ صاحب

تُحرّق لا تُشْوِي ضعيفاً وتنتحي * ذوي العز منكم بالحتوف الصوائب

ألَمْ تعلموا ما كان في حرب داحس * فتعتبروا او كان في حرب حاطب

وكم قد أصابت من شريف مُسوّدٍ * طويل العماد ضيفه غيرُ خائب

وماءٍ هُريقَ في الضلال كانما * اذاعت به ريحُ الصبا والجنائب

يخبّركم عنها امرؤٌ حقّ عالم * بأيامها والعلم علم التجارب

فبيعوا الحراب مِلمحارب واذكروا * حسابكمُ الله خير محاسب

وليّ امرئ فاختار ديناً فلا يكن * عليكم رقيباً غير رب الثواقب

أقيموا لنا ديناً حنيفاً فانتمُ * لنا غاية قد يهتدى بالذوائب

وانتم لهذا الناس نور وعصمة * تُؤَمّون والاحلام غير عوازب

تصونون أجساداً كراماً عتيقة * مهذَّبة الانساب غير أشائب

ترى طالبى الحاجات نحو بيوتكم * عصائبَ هَلْكى تهتدى بعصائب

لقد علِم الاقوام ان سراتكم * على كل حال خير اهل الجباجب

فقوموا فصلّوا ربكم وتمسّحوا * بأركان هذا البيت بين الاخاشب

فعندكمُ منه بلاءٌ ومَصْدَقٌ * غداة ابى يكسوم هادى الكتائب

كتيبته بالسهل تمسى ورَجْله * على القاذفات فى رؤوس المناقب

فلما أتاكم نصر ذى العرش ردّهم * جنود إلاه بين ساف وحاصب

فولَّوْا سراعاً هاربين ولم يَؤُبْ * الى قومه ملْحبْشِ غير عصائب

فان تهلكوا نهلك وتهلكْ عصائبُ * يُهَاش بها قول آمرئ غير كاذب

ثم ان قريشاً اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله صلعم ومن أسلم معه منهم فأغرَوْا برسول الله سفهاءهم فكذّبوه وأذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ورسول الله صلعم مُظْهِر لأَمْر الله لا يستخفى به مُبادٍ لهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه اياهم على كفرهم

فحدث عروة بن الزبير انه قال لعبد الله بن عمرو بن العاصي
ما أكثر ما رايت قريشاً أصابوا من رسول الله صلعم فيما كانوا يظهرون
من عداوته قال حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر فذكروا
رسول الله صلعم فقالوا ما راينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل
قط سفّه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب
آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم اوكما قالوا فبينا هم في ذلك
طلع رسول الله صلعم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً
بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك في وجه
رسول الله صلعم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت
ذلك في وجه رسول الله صلعم ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها
فوقف ثم قال أتسمعون يا معشر قريش والذي نفسي بيده لقد
جئتكم بالذبح قال فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا
كانما على رأسه طائر واقع حتى انّ أشدّهم فيه وصاة قبل ذلك
ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول انصرفْ يا ابا
القاسم فوالله ما كنتَ جهولا قال فانصرف رسول الله صلعم حتى اذا

كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم
ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبينا
هم فى ذلك طلع رسول الله صلعم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد
فأحاطوه به يقولون انت الذى تقول كذا وكذا للذى يقول من
عيب آلهتهم ودينهم فيقول رسول الله نعم انا الذى أقول ذلك فلقد
رايت رجلا منهم أخذ بمجمع رداءه فقام ابو بكر دونه وهو يبكى
ويقول أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله ثم انصرفوا عنه فان ذلك
لاشدّ ما رايت قريشاً نالوا منه قط

⁂

ذكر اسلام حمزة بن عبد المطلب رضه

قال ابن اسحاق وحدثني رجل مِنْ أَسْلَمَ كان واعيَةً ان ابا جهل
مر برسول الله صلعم عند الصفا فأذاه وشتمه وقال منه بعض ما يكره
من العيب لدينه والتضعيف لامره فلم يكلّمه رسول الله صلعم ومولاة
لعبد الله بن جُدْعان في مسكن لها تسمع ذلك ثم انصرف عنه
فعمد الى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد
المطلب ان أقبل متوشِّحاً سيفه راجعاً من قَنَصٍ له وكان صاحب
قنص يرميه ويخرج له وكان اذا رجع من قنصه لم يصل الى أهله
حتى يطوف بالكعبة وكان اذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش
الا وقف وسلم وتحدث معهم وكان أعز فتى في قريش وأشده شكيمة
فلما مر بالمولاة وقد رجع رسول الله صلعم الى بيته قالت له يا ابا
عُمارة لو رايتَ ما لقي ابن اخيك محمد آنفاً من ابي الحكم بن هشام
وَجَدَه هاهنا جالسا فأذاه وسبّه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم

يكلمه محمد فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته فخرج يسعى لم يقف على أحد مُعِدًّا لابى جهل اذا لقيه ان يقع به فلما دخل المسجد نظر اليه جالسا فى القوم فأقبل نحوه حتى اذا قام على راسه رفع القوس فضربه بها فشجّه مُنكِرة ثم قال أتشتمه فأنا على دينه أقول كما يقول فرُدَّ ذلك علىّ ان استطعت فقامت رجالٌ من بنى مخزوم الى حمزة لينصروا ابا جهل فقال ابو جهل دعوا ابا عمارة فانى والله قد سببت ابن اخيه سبّا قبيحاً وتمّ حمزة على اسلامه وعلى ما تابع عليه رسول الله من قوله فلما أسلم حمزة عرفت قريش ان رسول الله صلعم قد عزّ وامتنع وان حمزة سيمنعه فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه

وعن محمد بن كعب القُرَظىّ قال حُدّثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيداً قال يوماً وهو جالس فى نادى قريش والنبى صلعم جالس فى المسجد وحده يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه ايّها شاء ويكف عنا وذلك حين أسلم

حمزة ورأوا ان أصحاب رسول الله صلعم يزيدون ويكثرون فقالوا بلى
يا ابا الوليد فقم اليه فكلّمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله
صلعم فقال يا ابن اخى انك منا حيث قد علمت من السِّطّة فى
العشيرة والمكان فى النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم
فرقت به جماعتهم وسفّهت به أحلامهم وعِبْت به آلهتهم ودينهم
وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمعْ منى أعرضْ عليك أموراً تنظر
فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال له رسول الله صلعم قل ابا الوليد
أسمعْ قال يا ابن اخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا
الامر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت
تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك وان كنت
تريد مُلكا ملّكناك علينا وان كان هذا الذى ياتيك رَئِيًّا تراه لا
تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطِبّ وبذلنا فيه أموالنا حتى
نبرءك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوَى منه او كما
قال له حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلعم يستمع منه قال أقد

فرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال أفعل قال (١) بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حٰم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ومضى رسول الله صلعم فيها يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة انصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يستمع منه ثم انتهى رسول الله صلعم الى السجدة منها فسجد ثم قال قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فأنت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال ورائي اني سمعت قولا والله ماسمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوا فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ

---

(١) س ٤١ آ ١-٤

فان تصبه العرب فقد كُفِيتموه بغيركم وان يَظهَرْ على العرب فمُلكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به قالوا سحرك الله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم

قال ابن اسحاق ثم ان الاسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء وقريش تحبس من قدرت على حبسه وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين ثم ان أشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه فبعثوا اليه فجاءهم رسول الله صلعم سريعاً وهو يظن ان قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عَنَتُهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد قد بعثنا اليك لنكلمك وأنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعِبْت الدين وشتمت الالهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح الا قد جئته فيما بيننا وبينك او كما قالوا له فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا

مالا وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسوّدك علينا وان كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وان كان هذا الذى ياتيك رَئِيّاً تراه قد غلب عليك وكانوا يُسمّون التابع من الجنّ رَئِيا فربما كان ذلك بذلنا اموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرءك منه او نُعْذِر فيك فقال لهم رسول الله صلعم ما بى ما تقولون ما جئت بما جئت به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل علىّ كتاباً وأمرنى ان أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه علىّ أصبر لحُكْم الله حتى يحكم الله بينى وبينكم او كما قال صلعم قالوا يا محمد فان كنت غير قابل شيئاً مما عرضناه عليك فانك قد علمت انه ليس من الناس أحد اضيق بلداً ولا أقلّ ماءً ولا أشدّ عيشاً فسَلْ لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليُسَيِّرْ عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا وليبسُطْ لنا بلادنا وليخرق لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا مَنْ مضى من آباءنا وليكن لنا فيمن يبعث لنا منهم قُصَىّ بن كلاب فانه كان

شيخ صدق فنسألهم عما تقول أحق هو ام باطل فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وانه بعثك رسولا الينا كما تقول فقال لهم رسول الله صلعم ما بهذا بعثت اليكم انما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلغتكم ما ارسلت به اليكم فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه عليّ أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك سل ربك ان يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما تلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال لهم رسول الله صلعم ما انا بفاعل وما انا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً او كما قال فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه عليّ أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فأسقط السماء علينا كسفاً كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فانا لا نؤمن

بك الا ان تفعل فقال رسول الله صلعم ذلك الى الله ان شاء ان يفعله بكم فعل قالوا يا محمد فما علم ربك انا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك فيعلمك ما تراجعنا به و يخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا اذا لم نقبل منك ما جئتنا به انه قد بلغنا انك انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لا نؤمن بالرحمان ابداً فقد اعتذرنا اليك يا محمد وانا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك او تهلكنا وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تاتى بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك لرسول الله صلعم قام عنهم وقام معه عبد الله بن أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك و يتبعوك فلم تفعل ثم سألوك ان تاخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تعجّل لهم بعض ما تخوّفهم به من العذاب فلم

تفعل او كما قال له فوالله لا أؤمن لك ابداً حتى تتخذ الى السماء سُلّماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تاتيها ثم تاتى معك بِصَكٍّ معك اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وَأَيْمُ الله لو فعلت ذلك ما ظننت انى اصدقك ثم انصرف عن رسول الله صلعم وانصرف رسول الله صلعم الى أهله حزيناً آسفاً لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ولما راى من مباعدتهم اياه فلما قام عنهم قال ابو جهل يا معشر قريش ان محمداً قد ابى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا وانى أعاهدُ الله لاجلسن له غداً بحَجَرٍ ما اطيق حَمْلَهُ اوكما قال فاذا سجد فى صلاته فضخت به راسه فأسلمونى عند ذلك او امنعونى فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا والله لا نسلمك لشىء ابداً فامض لما تريد فلما أصبح ابو جهل أخذ حجراً كما وصف ثم جلس لرسول الله صلعم ينتظره وغدا رسول الله كما كان يغدو وكان بمكة وقبلته الى الشام فكان اذا صلى صلى بين الركنين الركن اليمانى والحجر الاسود وجعل الكعبة بينه وبين الشام فقام

رسول الله صلعم يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون
ما ابو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلعم احتمل ابو جهل الحجر
ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعاً لونُه مرعوباً
قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده وقامت اليه
رجال قريش فقالوا ما لك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت
لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل لا والله
ما رايت مثل هامته ولا قَصَرته ولا أنيابه لفحل قط فهمّ بي ان يأكلني

قال ابن اسحاق فذُكِرَ لي ان رسول الله صلعم قال ذلك جبريل
لو دنا لاخذه

فلما قال ذلك لهم ابو جهل قام النضر بن الحارث بن كلدة بن
علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيّ فقال يا معشر قريش
انه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد قد كان محمد فيكم
غلاماً حَدَثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى اذا
رايتم في صُدْغَيْه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما
هو بساحر قد راينا السحرة نَفْثهم وعُقَدهم وقلتم كاهن لا والله ما هو

بكاهن قد راينا الكهنة تخالجهم وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر لقد راينا الشعر وسمعنا أصنافه كله هزجه ورجزه وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون لقد راينا الجنون فما هو بخَنْقه ولا وسوسته ولا تخليطه يا معشر قريش انظروا فى شانكم فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه وبعثوا معه عقبة بن ابى مُعَيْط الى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصِفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم علم ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلعم ووصفا لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله وقالا لهم انكم اهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقالت لهما أحبار يهود سلوه عن ثلاث فأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقوّل فروْا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ما كان أمرهم فانه كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هو فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فانه

نبى وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم فأقبل النضر بن الحارث وعقبة بن ابى مُعَيْط حتى قدما مكة فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد أمرنا أحبار يهود ان نساله عن أشياء فإن أخبركم عنها فهو نبى وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم فجاءوا رسول الله صلعم فسألوه عن تلك الاشياء فقال لهم أخبركم بما سألتم عنه غداً ولم يستثنِ فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلعم فيما يذكرون خمسة عشرة ليلة لا يُحْدِث الله اليه فى ذلك وحياً ولا ياتيه جبريل حتى أرجف اهلُ مكة وقالوا وَعَدَنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه وحتى أحزن رسول الله مكث الوحى عنه وشق عليه ما يتكلم به اهل مكة ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سالوه عنه من امر الفتية والرجل الطواف والروح

فذكر لى ان رسول الله صلعم قال لجبريل حين جاءه لقد احتبست عنى يا جبريل حتى سُؤتَ ظنّا فقال له جبريل وما نتنزّل الا بأمر

ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيًّا فلما جاءهم رسول الله صلعم بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه حال الحَسَدُ منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه فعَتَوْا على الله وتركوا أمره عياناً ولجّوا فيما هم عليه من الكفر فقال قائلهم لا تسمعوا لهذا القران وٱلغوا فيه لعلكم تغلبون اى اجعلوه لَغْواً وباطلا واتخذوه هُزُءًا لعلكم تغلبونه بذلك فانكم ان ناظرتموه وخاصمتموه غلبكم فقال ابو جهل يوماً وهو يهزا برسول الله صلعم وما جاء به من الحق يا معشر قريش يزعم محمد انما جنود الله الذين يعذبونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وانتم أعظم الناس عدداً وكثرة أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم فأنزل الله فى ذلك من قوله (١) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً

---

(١) س ٧٤ ا ٣١

الى آخر القصة فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا اذا جهر رسول الله صلعم بالقران وهو يصلي يتفرقون عنه و يأبون ان يستمعوا له فكان الرجل منهم اذا أراد ان يستمع من رسول الله صلعم بعض ما يتلو من القران وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقاً منهم فإن رأى انهم قد عرفوا انه يستمع ذهب خشية اذاهم فلم يستمع وإن خفض رسول الله صلعم صوته فظن الذى يستمع انهم لا يسمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه

قال عبد الله بن عباس رضه انما نزلت هذه الآية (١) وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا من أجل اولائك يقول لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ولا تخافت بها فلا يسمعها من يحب ان يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يَرْعَوِى الى بعض ما يسمع فينتفع به

وكان اول من جهر بالقران بعد رسول الله صلعم بمكة عبد الله بن

---

(١) س ١٧ آ ١١٠

مسعود فيما حدّث به عروة بن الزبير قال اجتمع يوماً أصحاب
رسول الله صلعم فقالوا والله ما سمعت قريش هذا القران يجهر لها به
قط فمن رجل يسمعهموه فقال عبد الله بن مسعود رضه انا قالوا انا
نخشاهم عليك انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن
أرادوه قال دعونى فان الله سيمنعنى قال فغدا ابن مسعود رضه حتى
أتى المقام فى الضحى وقريش فى أنديتها حتى قام عند المقام ثم قال
بسم الله الرحمن الرحيم رافعاً بها صوته (١) الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ثم قالوا
استقبلها يقراها وتأملوه فجعلوا يقولون ما قال ابن ام عبد ثم قالوا انه
ليتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا اليه فجعلوا يضربون فى وجهه
وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله ان يبلغ ثم انصرف الى أصحابه
وقد أثروا بوجهه فقالوا هذا الذى خشينا عليك فقال ما كان أعداء الله
أهون علىّ منهم الان ولئن شئتم لأغادينّهم بمثلها قالوا لا حسبك قد
اسمعتهم ما يكرهون

---

(١) س ٥٥ آ ١

وذكر الزهري ان ابا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والاخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلعم وهو يصلي من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا اول مرة ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الاخنس بن شريق اخذ عصاه ثم خرج حتى أتى ابا سفيان في بيته فقال اخبرني يا ابا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال يا ابا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها واعرف ما يراد بها وسمعت

أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الاخنس وأنا والذى حلفت
به كذلك ثم خرج من عنده حتى أتى ابا جهل فدخل عليه بيته
فقال يا ابا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد قال ما ذا سمعت
تنازعنا نحن و بنو عبد مناف الشرف اطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا
وأعطوا فأعطينا حتى اذا تجاذينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا
منا نبىّ ياتيه الوحى من السماء فمتى ندرك هذه والله لا نؤمن به
ابداً ولا نصدقه فقام عنه الاخنس وتركه

قال ابن اسحاق وكان رسول الله صلعم اذا تلا عليهم القران ودعاهم
الى الله قالوا يهزؤن به قلوبنا فى أكنة لا نفقه ما تقول وفى
آذاننا وَقْرٌ لا نسمع ما تقول ومن بيننا وبينك حجاب قد حال بيننا
وبينك فاعمل بما انت عليه انّا عاملون بما نحن عليه انا لا نفقه
عنك شيئاً فأنزل الله عليه فى ذلك من قولهم (١) وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ
جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً الى

(١) س ١٧ آ ٤٧

قوله (١) وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً
اى كيف فهموا توحيدك ربك ان كنت جعلت على قلوبهم أكنة
وفى آذانهم وقراً وبينك وبينهم حجاباً بزعمهم اى انى لم أفعل (٢)
نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ
يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً اى ذلك ما تواصوا به
من تركك ما بعثتك به اليهم (٣) أُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ
فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً اى اخطؤوا المثل الذى ضربوا لك فلا
يصيبون به هدى ولا يعتدل بهم فيه قول (٤) وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً
وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً اى قد جئت تخبرنا انا سنبعث بعد
موتنا اذا كنا عظاماً ورفاتاً وذلك ما لا يكون (٥) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً

---

(١) س ١٧ آ ٤٩

(٢) س ١٧ آ ٥٠

(٣) س ١٧ آ ٥١

(٤) س ١٧ آ ٥٢

(٥) س ١٧ آ ٥٣

أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ اى الذى خلقكم مما تعرفون فليس خلقكم من تراب بأعز من ذلك عليه

وسئل ابن عباس رضه عن قول الله عز وجل او خلقاً مما يكبر فى صدوركم ما الذى أراد به فقال الموت

قال ابن اسحاق ثم انهم عدوا على من أسلم واتّبع رسول الله صلعم من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذّبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرَمْضاءِ مكة اذ اشتد الحرّ من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم منهم من يفتتن من شدة البلاء الذى يصيبه ومنهم من يُصْلَب لهم ويَعصِمه الله منهم فكان بلال بن رباح وهو ابن حمامة لبعض بنى جمح مولّداً من مولّديهم وكان صادق الاسلام طاهر القلب فكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الظهيرةُ فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو فى ذلك البلاء أَحَدٌ

أَحَدٌ وكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يُعذَّب بذلك وهو يقول احد احد فيقول احد احد والله يا بلال ثم يقبل على أمية ومن يصنع ذلك به من بني جمح فيقول أحلفُ بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً اى لاتخذن قبره مسكناً ومسترحماً والحنان الرحمة حتى مر به ابو بكر الصديق رضه يوماً وهم يصنعون ذلك به فقال لامية ألا تتّقى الله فى هذا المسكين حتى متى قال انت أفسدته فأنقِذه فقال ابو بكر أفعلُ عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك اعطيكه به قال قد قبلتُ قال هو لك فأعطاه ابو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالا فأعتقه وأعتق معه على الاسلام قبل ان يهاجر الى المدينة ستّ رقبات بلال سابعهم عامر بن فُهيرة وأم عُبيس وزِنّيرة فاصيب بصرها حينَ اعتقها فقالت قريش ما أذهب بصرَها الا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضرّ اللاتُ والعزى ولا تنفعان فردّ الله اليها بصرَها وأعتق النهديّة وابنتها وكانتا لامراة من بنى عبد الدار فمر بهما ابو بكر وقد بعثتهما سيدتُهما بطحين لها وهى تقول والله لا أعتقكما ابداً فقال ابو بكر حِلَّا يا ام فلان

فقالت حلَّ انت أفسدتهما فأعتقهما قال فبكم هما قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حُرّتان ارجعا اليها طحينها قالتا او نفرغ منه يا ابا بكر ثم نرده اليها قال او ذلك ان شئتما ومرّ بجارية بني مُؤمّل حي من بني عدي وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الاسلام وهو يومئذ مشرك فابتاعها أبو بكر فأعتقها وقال له ابوه ابو قُحافة يا بُنَيَّ أراك تعتق رقاباً ضعافاً ولو انك اذا فعلت ما فعلت اعتقت رجالا جُلداً يمنعونك ويقومون دونك فقال ابو بكر يا ابة اني انما أريد ما أريد فيُتحدّث ما نزل هؤلاء الايات الا فيه وفيما قال له ابوه (١) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَٱتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى الى آخر السورة وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمّار بن ياسر وبأبيه وأمه وكانوا اهل بيت الاسلام اذا حَمِيَت الظهيرةُ يعذّبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله صلعم فيقول فيما بلغني صبراً آل ياسر مَوْعِدُكم الجنّة فأما أمّه فقتلوها وهي تأبى الا الاسلام وكان ابو

---

(١) س ٩٢ آ ٥-٧

جهل الفاسق الذى يُغْرِى بهم فى رجال من قريش اذا سمع بالرجل له شرفٌ ومنعةٌ قد أسلم أنَّبَهُ وخزاه فقال تركت دين أبيك وهو خير منك لنُسَفِّهَنّ حلمك ولنفيّلن رأيك ولنضعن شرفك وإن كان تاجراً قال والله لنكسِدنّ تجارتك ولنُهْلِكن مالك وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به وقال سعيد بن جبير لعبد الله بن عباس أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلعم من العذاب ما يُعذَرون به فى ترك دينهم قال نعم والله ان كانوا ليضربون أحدهم ويجيّعونه ويعطّشونه حتى ما يقدر ان يستوى جالساً من شدة الضرّ الذى به حتى يعطيَهم ما سالوه من الفتنة حتى يقولوا له اللاتُ والعزى إلهك من دون الله فيقول نعم حتى ان الجُعَلَ ليمر بهم فيقولون له لا هذا الجعلُ إلهك من دون الله فيقول نعم افتداءً منهم مما يبلغون من جهده

***

ذكر الهجرة الى ارض الحبشة

قال ابن اسحاق فلما راى رسول الله صلعم ما يصيب اصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه ابى طالب وانه لا يقدر على ان يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم الى ارض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده احد وهى ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما انتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون من اصحاب رسول الله صلعم الى ارض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً بدينهم الى الله فكانت اول هجرة كانت فى الاسلام وكان اول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان معه امراته رُقَيَّة بنت رسول الله صلعم وأبو حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة معه امراته سهلة بنت سُهيل والزبير بن العوّام وعبد الرحمن بن عوف ومصعب بن عمير بن هاشم بن عبدمناف بن عبد الدار وأبو سلمة بن عبد الاسد المخزومى معه امراته ام سلمة وعثمان بن

مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح وعامر بن ربيعة
حليف آل الخطاب بن نفيل معه امراته ليلى بنت ابى حَثْمة
وسهيل بن بيضاء من بنى الحارث بن فهر وأبو سبرة بن ابى رُهْم
ويقال بل ابو حاطب بن عمرو ويقال هو كان اول من قدمها وكان
هولاء العشرة اول من خرج من المسلمين ثم خرج جعفر بن ابى طالب
وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة منهم من خرج بأهله
ومنهم من خرج بنفسه فكان جميع من لحق بأرض الحبشة من
المسلمين سوى ابنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً او ولدوا بها ثلاثة
وثمانين رجلا ان كان عمار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه وكان مما قيل
من الشعر فى الحبشة ان عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن
سعيد بن سهم حين امنوا بأرض الحبشة وحمدوا جوار النجاشى
وعبدوا الله لا يخافون على ذلك احداً قال

يا راكباً بَلِّغَنْ عنى مغلغلة * من كان يرجو بلاغَ الله والدينِ
كل امرئ من عباد الله مضطهد * ببطن مكة مقهور ومفتون
إنا وجدنا بلاد الله واسعة * تنجى من الذل والمخزاة والهُونِ

فلا تقيموا على ذل الحياة وخِزْ * يٍ فى الممات وعَيْب غير مامونِ

إنا تبِعْنا رسول الله واطّرحوا * قول النبى وعالوا فى الموازينِ

فاجعل عذابك بالقوم الذين بغوا * وعائذاً بك ان يعلوا فيطغون

وقال عبد الله بن الحارث ايضا يذكر نفى قريش اياهم من بلادهم ويعاتب بعض قومه فى ذلك

أبَتْ كبِدى لا أكْذبَنْك قتالهم * علىّ وتأباه علىّ أنامـلى

وكيف قتالى معشراً ادّبوكمُ * على الحق ان لا تأشبوه بباطل

نفتهم عباد الجنّ من حرّ أرضهم * فأضحوا على امر شديد البلابل

فان تك كانت فى عدىّ امانة * عدىّ بْن سعد عن تُقاً او تواصُل

فقد كنت ارجو ان ذلك فيكمُ * بحمد الذى لا يُطّبَى بالجعائل

وبُدّلت شبلا شبلَ كل ضعيفة * بذى فخر مأوَى الضعاف الارامل

وقال عبد الله بن الحارث ايضا

وتلك قريش تجْحد الله حقه * كما جحِدتْ عاد ومدْيَن والحِجْرُ

فان انا لم أبْرِقْ فلا يسعنّنى * من الارض برٌّ ذو فضاءٍ ولا بحْر

بأرض بها عبد الاله محمد * أبيّن ما فى النفس اذ بُلّغ النقْر

فسُمِّيَ عبد الله المُبْرِق ببيته الذي قال

وقال عثمان بن مظعون يعاتب امية بن خلف وهو ابن عمه وكان يؤذيه في اسلامه وكان امية شريف قومه في زمانه ذلك

أتَيْمَ بن عمرو للذي جاء بغضة * ومن دونه الشرْمان والبرْك أكْتَعُ
أأخرجْتني من بطن مكة آمناً * وأسكنتني في صرح بيضاء تُقْذَع
تريش نبالا لا يواتيك ريشها * وتبري نبالا ريشها لك اجمع
وحاربتَ أقواماً كراماً أعزة * واهلكت اقواماً بهم كنت تفزع
ستعلم ان نابتْك يوماً ملمّةٌ * واسلمك الاوباش ما كنتَ تصنع

وتيم بن عمرو الذي يدعو عثمان هو جمح بن عمرو كان اسمه تيماً

قال ابن اسحاق فلما رأت قريش ان اصحاب رسول الله صلعم قد امنوا واطمأنوا بأرض الحبشة وانهم قد اصابوا بها داراً وقراراً ائتمروا بينهم ان يبعثوا فيهم رجلين من قريش جلْدَيْن الى النجاشي فيردهم عليهم ليفتنوهم في دينهم ويُخرجهم من دارهم التي اطمأنوا بها وامنوا فيها فبعثوا عبد الله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاصي وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته ثم بعثوهما اليه فقال ابو طالب حين راى

ذلك أبياتاً يحض النجاشي على حُسن جوارهم والدفع عنهم

الاليت شعري كيف في النأى جعفر * وعمرو وأعداء العدو الاقارب

فهل فال أفعال النجاشي جعفرا * وأصحابه اوعاق ذلك شاغب

تعلّمْ أبيت اللعن أنك ماجد * كريم فلايشقى لديك المجانب

تعلم بأن الله زادك بسطة * وأسباب خير كلها بك لازب

وانك فيض ذو سجال غزيرة * ينال الاعادى نفعها والاقارب

وذكر ابن اسحاق من حديث ام سلمة زوج النبى صلعم قالت لما نزلنا ارض الحبشة تعنى مع زوجها الاول ابى سلمة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنّا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم ان يبعثوا الى النجاشي رجلين منهم جلدين وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستظرف من متاع مكة وكان من اعجب ما يأتيه منها الأَدَم فجمعوا له ادماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً الا اهدوا له هدية ثم بعثوا بذلك عبد الله بن ابى ربيعة وعمر بن العاصى وقالوا لهما ادفعا الى كل بطريق هديته قبل ان تكلما النجاشي فيهم ثم قدّما الى النجاشي هداياه ثم سألاه

ان يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم قالت فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق الا دفعا اليه هديته قبل ان يكلماه وقالا لكل بطريق انه قد ضوى الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قومهم ليردهم اليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بأن يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم اعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم ثم انهما قربا هداياهما الى النجاشي فقبلها ثم قالا له ايها الملك انه ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا انت وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من ابائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم فهم اعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه قالت ولم يكن شيء ابغض الى عبد الله بن ابى ربيعة وعمرو بن العاصي من ان يسمع كلامهم النجاشي فقالت بطارقته صدقا ايها الملك قومهم اعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم

فأسلمهم اليهما فليرداهم الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشى ثم قال
لا ها الله اذاً لا أسلمهم اليهما ولا يُكاد قوم جاورونى ونزلوا بلادى
واختارونى على من سواى حتى أدعُوَهم فأسئلهم عما يقول هذان فى
امرهم فإن كانوا كما يقولان لاسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم وإن
كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاورونى ثم
ارسل الى اصحاب رسول الله صلعم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم
قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه قالوا نقول والله ما علمنا
وما امرنا به نبينا كائناً فى ذلك ما هو كائن فلما جاءوا وقد دعا
النجاشى اساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم ما هذا
الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا فى دين
احد من هذه الملل قالت فكان الذى كلمه جعفر بن ابى طالب
فقال له ايها الملك كنا قوماً اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة
ونأتى الفواحش ونقطع الارحام ونسِيءُ الجوار ويأكل القوى الضعيف
فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه
وأمانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد

نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان وأمرنا بصدق الحديث
واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء
ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المُحْصَنات
وأمرنا ان نعبد الله لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام
قالت فعدد عليه امور الاسلام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء
به من الله وعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم الله
علينا واحللنا ما أحلّ لنا فعدى قومنا علينا فعذبونا وفتنونا عن ديننا
ليردّونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله وأن نستحلّ ما كنا نستحلّ من
الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا
خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك
ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك فقال له النجاشى هل معك
مما جاء به عن الله من شىء فقال له جعفر نعم قال فاقرأه علىّ فقرأ
عليه صدراً من كهيعص (١) فبكى والله النجاشى حتى أخضل لحيته

---

(١) س ١٩

وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ثم
قال له النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة
واحدة انطلقا فوالله لا أسلمهم اليكما ابداً ولا يكاد فلما خرجا من عنده
قال عمرو بن العاصي والله لاتينه عنهم غداً بما أستأصل به خضراءهم
قالت فقال له عبد الله بن ابى ربيعة وكان أبقى الرجلين فينا لا
تفعل فان لهم أرحاماً وان كانوا قد خالفونا قال والله لاخبرنه انهم
يزعمون ان عيسى بن مريم عبدٌ ثم غدا عليه فقال ايها الملك انهم
يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيماً فسلهم عما يقولون فيه قالت
فأرسل اليهم ليسئلهم عنه ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم ثم قال
بعضهم لبعض ما ذا تقولون فى عيسى بن مريم اذا سألكم عنه
فقالوا نقول والله ما قال الله وما جاء به نبينا كائناً فى ذلك ما هو
كائن قالت فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون فى عيسى
بن مريم قالت فقال جعفر بن ابى طالب نقول فيه الذى جاء
به نبينا يقول هو عبد الله و رسوله و روحه وكلمته ألقاها الى مريم
العذراء البتول فضرب النجاشي بيده الى الارض فأخذ منها عوداً ثم

قال ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود قالت فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال فقال وإن نخرتم والله اذهبوا فأنتم شُيوم بأرضى آمنون مَنْ سَبَّكم غُرِّم من سبّكم غرم من سبكم غرم فما احب ان لى دَبْراً من ذهب وانى اذيت رجلا منكم ويقال دِبْراً وهو الجبل بلسان الحبشة فيما قال ابن هشام ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها فوالله ما اخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فىّ فأُطِيعهم فيه قالت فخرجا من عنده مقبوحَيْن مردوداً عليهما ما جاءا به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار قالت فوالله انا لعَلَى ذلك اذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى مُلْكه قالت فوالله ما علمنا حَزِنّا حُزناً قطّ كان أشد علينا من حزن حزنّاه عند ذلك تخوفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشى فيأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشىّ يعرف منه وسار اليه النجاشى وبينهما عُرْضُ النيل فقال أصحاب رسول الله صلعم من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر قالت فقال الزبير بن العوّام انا قالوا فأنت وكان من أحدث القوم سنّا فنفخوا

له قربةً فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج الي ناحية النيل
التي بها مُلتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم قالت فدعونا الله
للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده قالت فوالله انّا
لعلى ذلك متوقّعون لما هو كائنٌ اذ طلع علينا الزبير وهو يسعى
فلمع بثوبه وهو يقول الا أبشروا فقد ظهر النجاشي وأهلك الله عدوه
قالت فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها قالت ورجع النجاشي
وقد أهلك الله عدوه ومكّن له في بلاده واستوسق عليه أمر الحبشة
فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلعم

قال الزهري فحدثت عروة بن الزبير هذا الحديث فقال هل
تدري ما قوله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ مُلكي فآخذ
الرشوة فيه وما أطاع الناس فيّ فأُطِيعَ الناسَ فيه قال قلت لا قال
فان عائشة أم المؤمنين حدّثتني ان أباه كان ملك قومه ولم يكن
له ولد الا النجاشي وكان للنجاشي عمٌّ له من صُلبه اثنا عشر رجلا
وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة فقالت الحبشة بينها لو انا
قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فانه لا ولد له غير هذا الغلام وانّ

لاخيه من صُلبه اثنى عشر رجلا فتوارثوا ملكه من بعده بقيت
الحبشة بعده دهراً فعَدَوْا على أبي النجاشي فقتلوه وملّكوا أخاه
فمكثوا على ذلك حيناً ونشأ النجاشي مع عمه وكان لبيباً حازما
من الرجال فغلب على أمر عمه ونزل منه بكل منزلة فلما رأت الحبشة
مكانه قالت بينها والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه وانا
لنتخوّف ان يملّكه علينا وإن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين لقد عرف
انا نحن قتلنا أباه فمشوا الى عمه فقالوا إما أن تقتل هذا الفتى
وإما أن تُخْرجه من بين أظهُرنا فانا قد خفناه على أنفسنا قال
ويلكم قتلت أباه بالامس واقتله اليوم بل اخرجه من بلادكم
قالت فخرجوا به الى السوق فباعوه من رجل من التجار بستّمائة
درهم فقذفه فى سفينة فانطلق به حتى اذا كان العشيّ من ذلك
اليوم هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يستمطر
تحتها فاصابته صاعقة فقتلته قالت ففزعت الحبشة الى ولده
فاذا هو مُحمِق ليس فى ولده خير فمَرِجَ على الحبشة أمرهم فلما ضاق
عليهم ما هم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض تعلموا والله ان مَلِككم

الذى لا يقيم أمركم غيره للذى بعثتم غدوة فان كان لكم بأمر الحبشة
حاجة فأدركوه قالت فخرجوا فى طلبه وطلب الرجل الذى باعوه
منه حتى أدركوه فاخذوه منه ثم جاؤا به فعقدوا عليه التاج وأقعدوه
على سرير الملك فملّكوه فجاءهم التاجر الذى كانوا باعوه منه فقال امّا
أن تُعطونى مالى واما أن أكلّمه فى ذلك قالوا لا نعطيك شيئا قال اذن
والله أكلمه قالوا فدونك قالت فجاءه فجلس بين يديه فقال
أيها الملك ابتعتُ غلاماً من قوم بالسوق بستمائة درهم فاسلموا الىّ
غلامى وأخذوا دراهمى حتى اذا سِرْت بغلامى أدركونى فاخذوا غلامى
ومنعونى دراهمى قالت فقال لهم النجاشى لتُعْطُنّه دراهمه أو ليضعنّ
غلامه يده فى يده فليذهبن به حيث شاء قالوا بل نعطيه دراهمه
فلذلك يقول ما أخذ الله منى رشوة حين رد علىّ مُلكى فآخذ
الرشوة فيه وما أطاع الناس فىّ فأطيع الناس فيه قالت وكان ذلك
أول ما خُبِّرَ من صلابته فى دينه وعدله فى حكمه وعن عائشة قالت
لما مات النجاشى كان يتحدث انه لايزال يُرى على قبره نورٌ وذكر
ابن اسحق ايضا عن جعفر بن محمد عن أبيه ان الحبشة اجتمعت

فقالوا للنجاشي انك قد فارقتَ ديننا وخرجوا عليه فأرسل الى جعفر وأصحابه فهيّأ لهم سُفُناً وقال اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فان هُزِمْتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وان ظفرت فاثبتوا ثم عمد الى كتاب فكتب فيه وهو يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم ثم جعله فى قبائه عند المَنْكِب الايمن وخرج الى الحبشة وصفّوا له فقال يا معشر الحبشة ألست أحق الناس بكم قالوا بلى قال فكيف رأيتم سيرتى فيكم قالوا خير سيرة قال فما بالكم قالوا فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبدٌ قال فما تقولون أنتم فى عيسى قالوا نقول هو ابن الله فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه هو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزدْ على هذا شيئاً وانما يعنى ما كتب فرضوا وانصرفوا فبلغ ذلك النبى صلعم فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له

تم الجزء الاول بعون الله وحسن توفيقه

﴿ جدول الخطاء والصواب ﴾

صفحة	سطر	خطاء	صواب
٦	٥	واسماه	وسمّاه
٦	١٥	هانين	هاتين
٩	١١	ونكتته ونفتته والسحر الحلال	ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال
١٠	١٣	من ذي حجة	من ذي الحجة
١٢	٩	ونكثة الامثال	ونكتة الامثال
٢٣	١١	بونه	بونة
٢٤	٧	للموليد	للمواليد
٢٨	٩	ب لرضى	بالرضى
»	١٣	لذي حجة	لذي الحجة
٢٩	١٢	نوبة	بونة
٣٣	٧	ويعرب	ويعرف
٣٥	٥	ابي علي المقري	ابي العلاء المعرّي
٤٥	٣	ابي المعري	ابي العلاء المعرّي
٤٩	٧	بهديه	بهديه
٥٠	١٠	نبونه	نبوته
٥١	٤	اردب	اردت
»	١١	اخض	اخص
٦٣	١ و١٠	عمّ	عمّ
٦٣	٥	مشتق بن	مشتقّ من
»	١٤	مُضَرًا	مُضَرَ

﴿ تابع جدول الخطاء والصواب ﴾

صفحة	سطر	خطاء	صواب
٦٥	١٥	قـ ل	قـال
٦٨	٨	وطـاخـة	وطـابـخـة
٦٩	٨	خـزنـاً	حـزنـاً
«	١٤	لا حـب	لاحـت
٧٠	٥	الـعـذل	الـعـذل
«	١٣	بـخـظ	بـخـط
٧٣	٥	مجـيـىء	مـجـيـئ
«	٨	قـول بن اسحـاق	قـول ابـن اسحـاق
«	١١	أخـمـلـه	أخـمـلـه
٧٤	١١	وصـعـت	وضـعـت
٧٦	١	المـواخـات	المـواخـاة
٧٩	١٣	أحـبـاراً	أخـبـاراً
٨٠	١٥	الجـدره	الجـدرة
٨١	٥	كـلاب	كـلاب
٩٠	٦	كـلاّ	كـلا
«	١٢	لحـنـدف	لخِـنْـدِف
٩٢	١٢	ليـالَـى	ليـالـيَ
٩٣	١٤	اليـارد	الـبـارد
١٠٢	١٠	الـخِـلـف	الـخلـف
١٠٧	٣	ملّـيـاً	مـلـيّـاً
«	٩	وفـارت	فـاروت

﴿ تابع جدول الخطاء والصواب ﴾

صفحة	سطر	خطاء	صواب
١١٣	٧	دكور	ذكور
١١٦	٢	الهمّ	اللهمّ
«	١٣	يتوكأ	يتوّكأ
١١٨	٦	يلّبى	يلبّى
١٢٢	١٢	مستهزيئاً	مستهزئاً
١٢٥	٨	حرمّ	حرّم
١٣٣	٦	بالمجارة	بالحجارة
١٣٥	٩	حنثى	خنثى
١٣٦	٣	بفرْج	بفرَج
١٣٧	١	جُرُهم	جُرهُم
١٤٥	١٣	الفصول	الفضول
١٤٨	١	لو أدَّعى	لَو ادَّعِى
١٥٣	٢	يعقلون	يعقلون (سورة ٥ آية ١٠٣)
«	١٣	كطوّافهم	كطوافهم
١٥٤	٧	فأخد	فأخذ
١٥٥	١٢	طوغيث	[illegible]اغيت
١٥٩	٧	بتظهيره	[illegible]طهيره
١٦١	١٠	الهمذاني	[illegible]همداني
١٦٧	١	ما زُلتُ	[illegible]ا زِلْتُ
«	٢	تَبَرح	تَبْرَح

﴿ تابع جدول الخطاء والصواب ﴾

صفحة	سطر	خطاء	صواب
١٦٧	٧	وحُلِىَّ النساء	وحُلِيِّ النساءِ
١٦٩	٧	كذا وكذا	قال هو كذا وكذا
«	١٤	الط يل	الطويل
١٧٠	٥	بعضى	بعضاً
١٧٤	١٠	أخدد	أخدود
١٧٥	٧	تبّان	تِبان
١٧٩	٦	الخضْر ... دَجْلةُ	الخَضْر ... دِجْلة
١٨٣	٣	تلّقّه	تلقّه
١٨٣	١	تبّان	تِبان
١٨٧	٣	فخاض به وضحضاح البحر	فخاض به ضحضاح البحر
١٨٨	١٠	امرى	أمرى
١٩٠	١	وأخِد	وأُخذ
١٩٢	٨	برهة	أبَرهة
١٩٤	٤	وعبّا	وعبّى
١٩٧	٤	يؤبوا	يؤوبوا
١٩٩	٩	حشية	خشية
٢٠٣	٧	قلقلا	قلقالا
٢٠٦	٤	ه يا عشر	يا معشر
٢٠٧	٤	فتعجل	فتجعل
٢١٢	٦	من احداث	باحداث (?)

﴿ تابع جدول الخطاء والصواب ﴾

صفحة	سطر	خطاء	صواب
٢١٤	٧	وأخبرهم وخبرَه	وأخبرهم خبرَه
٢١٩	٦	الرواء	الروا
٢٢٥	١٠	رُبكم	ربَّكم
٢٣٥	١٤	غوالله ... دت	فوالله ما رأيت
٢٤٠	٤	جفرُ	جفرُ
٢٤٢	٨	يهنّئونه	يهنّئونه
٢٤٨	٦	لبَيْكِ	ليَبْكِ
٢٤٩	٢	مَلَوا	مَلَؤُا
٢٥٠	١٥	نُحلّه	يُجِلّه
٢٥٦	١٠	مرؤوة	مروؤة
٢٦٤	١٢	جوجا	لَجوجاً
٢٦٥	١	بان	بأنّ
٢٧٠	٣	يد وا	يدروا
«	٥	أخشابها	أخشباها
٢٧١	١٣	يُكسَى	تُكْسَى
٢٧٨	٧	للرمىّ	للتّرْمي
٢٨٧	١٥	بظيبة	بظبية
٢٩٠	١٣	مطيتي	مطيّتي
٣٠٣	١٥	بلعني	بلغني
٣٠٥	٨	نقرب	نقرّب
٣٥٤	٦	بالا ماثل	بالاماثل
٣٥٦	٨	أفْخَخَ	أقْحَط

فهرســة الابــواب

٥ ـــ كلمة المصحّح .

٨ ـــ ترجمة الكلاعيّ .

٤٩ ـــ كتاب الاكتفاء : كلمة المؤلّف .

٥٧ ـــ ذكر نسب رسول الله صلعم .

٩٦ ـــ ذكر أولية بيت الله المحرم وركنه المستلم ومن تولّى بناءه من ملائكته وأنبيائه صلّى الله على جميعهم وسلّم .

١٨٦ ـــ ذكر دخول الحبشة ارض اليمن واستيلائهم على ملكهم وذكر السبب فى ذلك مع ما يتصل به من أمر الفيل .

٢١٦ ـــ ذكر حفر عبد المطلب زمزم وما يتصل بذلك من حديث مولد رسول الله صلعم .

٢٦٧ ـــ ذكر بنيان قريش الكعبة مع ذكر ما أحدثوه فى المناسك .

فهرسة الابواب

٢٧٦ — ذكر ما حفظ عن الاحبار والرهبان والكهان من أمر رسول الله
صلعم قبل مبعثه سوى ما تقدّم من ذلك مع ذكر شيء
مما سمع من ذلك عند الأصنام او هتفت به الهواتف .

٣٢٦ — ذكر المبعث .

٣٦٢ — ذكر اسلام حمزة بن عبد المطلب رضه .

٣٨٤ — ذكر الهجرة الى أرض الحبشة .

٣٩٨ — جدول الخطاء والصواب .

